المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدّعوة وأصول الدين
قسم الدّعوة والثّقافة الإسلاميّة
شعبة الثّقافة الإسلاميّة

العصبيّة القبليّة في ميزان الإسلام

دراسة تحليلية

رسالة ماجستير مقدمة في الثّقافة الإسلاميّة

إعداد الطالب

عبد الله بن عقاب بن مسفر الذِّيابي

الرقم الجامعي: (٤٣٢٨٨١١٢)

المشرف الشّيخ الدكتور

حمود بن جابر الحارثي

العام الجامعي: ١٤٣٥/١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الدِّراسة

العنوان : العصبيَّة القبيلة في ميزان الإسلام ، للباحث : عبد الله عقاب مسفر الذيابي ، للحصول على درجة الماجستير من قسم الدَّعوة والثَّقافة الإسلاميَّة ، يتحدَّث فيها عن هذه الظاهرة الاجتماعيَّة الخطيرة العصبيَّة القبليَّة ، والتي يهدف من خلالها الــدَّارس إلى معرفــة أسباب العصبيَّة القبليَّة ، ومفهومها ، وتشخيص وسائل وطرق انتشارها ، والوقوف علــى آثارها ، وكيفية علاجها ، وتشتمل الدِّراسة على : تعريف لها ، وبيان عــام لمفهومهــا ، ومظاهرها ، وصورها من التَّفاخر ، والأخذ بالثأر ، والحروب القبليَّــة ، والتحالفــات ، والمحسوبيات ، والإجارة ، وكذلك تشمل الحديث عن قسميها : المحمود والمذموم ، ومــتى يكون كذلك ، وجُلّ هذه الدِّراسة يتناول الجانب السلبي والمذموم للعصبية القبليّة – ومــع ذلك يقوم الباحث ببيان الممدوح إذا احتيج إليه – وعن درجاتها العليا والصغرى ، والمعاني المرادفة لها من الكتاب والسنة، وما هي طبقات القبائل عند العرب وتصــنيفها، ولإعطــاء الموضوع شمولًا أكثر ؛ وضَّح الباحث لمحة تاريخية لظهور العصبيَّة في الأمم السَّابقة ، وبعــد ذلك بين الباحث أسباب العصبيَّة القبليَّة العامة والخاصة ، والأسس التي تقوم عليها ، ثم ما هي الوسائل والقنوات والطرق التي تنتشر من خلالها العصبيَّة القبليَّة ، كالشعر ، وحفلات القبائل ، والإعلام بجميع قنواته القديمة وما يسمى بالإعلام الجديد ، وما هي الآثار الناتجــة عن هذه الظاهرة من جميع الجوانب والمجالات الاجتماعيَّــة ، والأخلاقيــة ، أو الدِّينيَّــة ، والفكريَّة ، أو السِّياسيَّة ، والاقتصاديّة ، وبيان خطر هذه الآثار على الفرد والمجتمع ، وما هو دور الثَّقافة الإسلاميَّة الوقائي والعلاجي لتوجيه وإعلاء العصبيَّة القبليَّة ، وكيفية العلاج لهذه الظاهرة من القران ، والسنة ، وسيرة النبي ﷺ وأصحابه ، وتعزيــز الأخــلاق الإســلاميَّة ومبادئها بدلاً من التعصب القبلي ، ومن أهم نتائجها : بيان ذم العصبيَّة القبليَّــة المذمومــة بجميع أشكالها ، وأنها جاهلية منهي عنها ويجب اجتنابها ، وإحلال الأخوة الإيمانية بدلاً منها ، وأن لها آثارًا سلبية على الفرد والسلوك والمجتمع .

Summary

title: Tribalism in The Balance of Islam, researcher: Abdullah Egab Mosfer Altheyabi to get a master,s degree from the Department of da,wa and Islamic culture talking about this dangerous tribalism social phenomenon which aims which the student to know the tribalism causes of tribal and concept and diagnosis means and methods of deployment and stand on their effects and how to treat and study includes a definition and a general statement of the concept and its manifestations and forms of pride, tribal wars, alliances, and favoritism as well as include a talk about the two kinds: praised and disrepute and when to be well and graduate degrees and lo and meanings corresponding her from the Quran and Sunnah, and what are the tribes layers when Arabs and classification and to give Thread inclusion explained researcher historical overview of tribalism to be displayed on the previous nations, and then between the researcher and public and private tribalism causes of tribal underpinnings of, then what are the means and channels, ways that are spread through tribalism poetry and concerts tribes and the media all the old channels and what is called the new, and what are the effects of this phenomenon from all aspects of social, ethical, religious, intellectual, political and economic fields and explaining the danger of these effects on the individual and society, and what is the role of culture Preventive Islamic treatments to direct tribalism uphold tribal, and how treatment of this phenomenon from the Quran and Sunnah and the biography of the Prophet God,s peace be upon him and his companions and the promotion of Islamic morals and principles, rather than tribal fanaticism, and the most important results statement condemn tribalism Bad behavior in all its forms and they ignorance is forbidden and must be avoided and the establishment of the brothers in faith instead of them, and have negative effects on individual behavior and socie

شكر وتقدير

الشكر لله أوّلا وآخرًا ، فله الفضل والمنة والحمد ثم " لا يشكر الله من لا يشكر الناس "، وإني أدعو الله لكل من دعمني برأي أو مشورة أو توجيه أو تصويب أو خصني بدعوة في ظهر الغيب، وأخصّ والدتي الكريمة فقد كانت نعم المربية والمسددة رزقني الله برها وأطال عمرها في طاعته تعالى، ورحم الله والدي وجمعني به في جنته ، وأشكر من قلبي زوجتي وأبنائي الكرام وأخص منهم عبدالسلام فقد كان الناسخ للبحث أصلحهم الله ورزقنا برهم .

والشكر موصول لهذا الصرح الشامخ حيث رزقنا فيه شرف المكان والمكانة جامعة أم القرى ممثّلة في كليّة الدّعوة وأصول الدِّين ؛ رئيسًا وأعضاء هيئة تدريس ، وأخص فيها المشرف على هذه الرسالة فضيلة الشيخ الدكتور / حمود جابر الحارثي الذي فتح لي قلبه وبيته وانتفعت بتوجيهه وعلمه وأدبه الجم مع طلابه فكان لنا مثل الوالد، فجزاه الله خير الجزاء وأوفاه . ثمَّ الشُّكر والتَّقدير للمناقشين الفاضلين : فضيلة الشَّيخ الدّكتور / عبد الله محمّد الغراري الأستاذ المشارك بقسم الدّعوة والثّقافة الإسلاميّة بجامعة أمّ القرى ، وفضيلة الشَّيخ الدّكتور / حمدي حميد القريقري الأستاذ المشارك بقسم الدّعوة والثّقافة الإسلاميّة بجامعة أمّ القرى على تفضّلهما والإذن بمناقشة هذه الرِّسالة ، وقد أفدت منهما كثيرًا ، كتب الله لهما الأجر والمثوبة .

المقدّمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألّا إلـه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً .

فإنَّ من أصول الإسلام الحثّ على التعاون والتراحم والاجتماع والوحدة فيما بين المسلمين ، والنهي عن الاختلاف والتخاصم والافتراق ؛ لتكون القلوب متصافية ، والأيدي متصافحة ، والنفوس متسامحة ، والأمّة صفًّا واحدًا لا يقبل الانقسام والاختراق، قال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

فعقيدة التوحيد تجمعنا ، ورابطة الأخوَّة الإسلاميَّة شعارنا عليها وبها نحب ونعادي ؛ إذ لا فخر إلا بطاعة الرحمن ، ولا عزة لنا إلا بالإسلام ، ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله .

إن الأُمَّة الإسلاميَّة في حاجة عظيمة إلى الاجتماع والوحدة ، وتآلف القلوب ، وتقابل الوجوه بالبسمة والمحبة ، إنها في حاجة للتكاتف والتكافل القائم على صلة الرحم ، فالمسلم أخو المسلم ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا .

ولا يمكن أن تجتمع القلوب إلا بالأخوة والرابطة الإيمانية التي تتصاغر وتتلاشى إلى جانبها الأحقاد التاريخية ، والثارات القبليَّة ، والنعرات الجاهليَّة ، والأطماع الشخصية ، والرايات العنصرية ؛ حتى يكون المسلمون أمة واحدة متكافئة دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم :

وأينما ذكر اسم الله في بلد ❁ عددت ذاك الحمى من صلب أوطاني

فالعدالة الاجتماعيَّة والمساواة بين النَّاس هي إحدى الأسس التي قامت عليها ثقافة المسلم، فلقد ساوى رسول الله ﷺ بين عبيد مكة وأشرافها، وأغنيائها وفقرائها، وآخى بين

المهاجرين والأنصار، وبين العرب ومواليهم من الأحباش والعرب والفرس والروم ؛ يقــول شيخ الإسلام ابن تيميَّة[١] رحمه الله : "كلّ ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب، أو بلد، أو جنس، أو مذهب، أو طريقة، فهو من عزاء الجاهليَّة، بل لما اختصم مهــاجريّ وأنصاريّ فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار؛ غضب الرَّسول ﷺ لذلك غضباً شديداً فقال: « أبدعوى الجاهليَّة وأنا بين أظهركم »[٢] " ا.هــ كلامه رحمــه الله.

ليس مستغربًا أن توجد أو تتفشى العصبيَّة القبليَّة في كثيرٍ من المجتمعــات الإســلاميَّة، وبخاصة العربية منها، وفي جزيرة العرب تحديدًا، حيث أصل العروبة ومهدها؛ فقد أنبأ بذلك رسول الله ﷺ منذ أربعة عشر قرنًا، فأخبر أن أربع خصال من خصال الجاهليَّة تظل في أمّته، ولا يدعها أهل الإسلام؛ منها : التَّفاخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، فقال عليه الصلاة والسلام : « أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْــنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ »[٣]، قال الشَّيخ صالح الفوزان[٤] حفظه الله في

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية، الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفــتى بهــا، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢هــ واعتقل بها سنة ٧٢٠ه وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ه، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعيــة إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، وله تصانيف كثيرة ، من أشهرها : الفتاوى، والعقيدة الواسطية، وغيرها . انظر : الأعلام للزركلي: (١/١٤٤).

(٢) رواه الطبري في جامع البيان في تأويل القرآن . تحقيق أحمد شــاكر ، الرِّســالة ، ط١ ، ١٤٢٠ هــــ ، (٥٦/٦). ورواه البخاري، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوة الجاهليَّة، ومسلم، كتاب الــبر والصــلة والآداب، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما، برقم : (٢٥٨٤) بلفظ : (ما بال دعوى الجاهلية) .

(٣) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، برقم : (٩٣٤).

(٤) هو الشيخ الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان. ولد في ١ رجب ١٣٥٤ هــ، وهو عضو في هيئة كبار العلماء، وعضو في المجمع الفقهي بمكة المكرمة التابع للرابطة، وعضو في لجنة الإشراف على الــدعاة في الحج، إلى جانب عمله عضوا في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وإمام وخطيب ومدرس في جــامع الأمير متعب بن عبد العزيز آل سعود في الملز، ويشارك في الإجابة في برنامج (نور على الدرب) في الإذاعــة، =

شرحه لمسائل الجاهليَّة التي ألفها الشَّيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ما نصه : ((من مسائل الجاهليَّة الفخر ولو بحق، فهم يفخرون بأفعالهم وأفعال آبائهم، وهذا منهي عنه؛ لأن الفخر بالأعمال يؤدي إلى الإعجاب بالنفس واحتقار الآخرين، وهو منهي عنه وهو من أفعال الجاهليَّة. فلا يجوز للمسلم أن يفخر؛ لأنه مهما بذل ومهما عمل؛ فإنه مقصّر ولا يؤدي كل ما أوجب الله عليه، والحاصل أن الافتخار لا ينبغي أن يصدر من مسلم، وإنما هو من أفعال الجاهليَّة، والنبي ﷺ لما ذكر أنَّه سيد ولد آدم قال: ((ولا فخر)) [(١)] مع أن مقامه هذا لا يساويه فيه أحد، ومع هذا قال: ((ولا فخر)) نفى عن نفسه الفخر، وإنما أخبر بذلك من باب التحدّث بنعمة الله عز وجل والشكر عليها، لا من باب الفخر))[(٢)]. انتهى كلامه حفظه الله.

وللعلم فإن هذه الدِّراسة تتحدّث عن الجانب السلبي والمذموم في العصبية القبلية ، وأمَّا ما كان من محاسن القبيلة ومزاياها الإيجابية فهذا ليس مدار البحث ، حيث سيكون محور الحديث حول القبليّة وليس حول القبيلة، وفرق بين الكلام حول القبليّة بثوبها المذموم وبين الحديث عن القبيلة في الميزان الشرعي، وسيشير الباحث في التمهيد إلى ما يهمّ البحث من عناصر تتعلق بالقبيلة ، واقتحام مثل هذا الموضوع له شيء من الحساسية وقد خشي الكثيرون من مجرد محاولة البحث فيه، ومن تطرق إليه لم يسلم من توجيه النقد ، ولكن حسبنا أن نستعين بالله وحده ثم نبذل الوسع والطاقة للإفادة والله الهادي إلى سواء السبيل .

أولاً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

إن المتأمّل في الكتاب الكريم والسنّة النبويّة ليجدهما قد تطرقّا للعصبيَّة القبليَّة بنوعيها المحمود والمذموم، ففي القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ

=

كما أن له مشاركات منتظمة في المجلات العلمية على هيئة بحوث ودراسات ورسائل وفتاوى، جمع وطبع بعضها. انظر : موقع الشيخ على الشبكة العنكبوتية http://alfawzan.af.org.sa.

(١) والحديث أخرجه الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، (ح ٣١٤٨) .

(٢) انظر ، شرح مسائل الجاهلية ، صالح فوزان الفوزان ، دار العاصمة للنشر ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢١هـ ، ص ٢٤٧.

وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣]، فجعل القبيلة نظامًا اجتماعيًّا ومظهرًا من مظاهر الاجتماع البشري، وعلّل ذلك بالتعارف والتكامل، وليس بالتناحر والتفاخر والاختلاف الذي يدعو للحمية الجاهليَّة التي ذكرها الله تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفتح: ٢٦] .

وقد ذكر النبي ﷺ العصبيَّة على سبيل المدح، وهي العصبيَّة التي تحثّ على الحق ونصرة المظلوم على الظالم، قال ﷺ : « خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم »(١). وقد استخدمها أحيانًا لشحذ الهمم والمنافسة في العمل الصالح .

أما العصبيَّة القبليَّة المذمومة فبسببها انتشرت البغضاء، ومنها انبعثت الأحقاد، ولأجلها رفعت شعارات شيطانية، ولها تعدّدت الحزبيات العنصرية، ومع كل أضرارها وجدت رواجاً عند ضعاف الإيمان، واستغلها الأعداء أبشع استغلال .

وفي مثل هذا المعنى قال رسول الله ﷺ : « إنّ الله عزّ وجلّ أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليَّة وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي. أنتم بنو آدم وآدم من تراب. ليدعنّ رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنّم أو ليكوننّ أهون على الله من الجعلان(٢) التي تدفع بأنفها النتن »(٣).

العصبيَّة المذمومة لم تدخل في مجتمع إلا فرّقته، ولا في صالح إلا أفسدته، ولا في كثير إلا قللته، ولا في قوي إلا أضعفته، ما نجح الشيطان في شيء مثلما نجح فيها، شب عليها

---

(١) رواه أبو داود ، أبواب النوم ، باب العصبية ، برقم : (٥١٢٠) ، وضعفه الألباني.

(٢) الْجِعْلَان: بكسر الجيم وسكون العين جمع جعل بضم ففتح دويبة سوداء تدير الخراء بأنفها (التي تدفع بأنفها النتن) : أَيْ الْعَذِرَة انظر عون المعبود شرح سنن أبي داوود ٢٣٩٥/٩ .

(٣) رواه أبو داود، كتاب أبواب النوم، باب في التَّفاخر بالأحساب، برقم : (٥١١٦) . والترمذي، أبواب تفسير القرآن الكريم، باب: ومن سورة الحجرات، برقم : (٣٢٧٠)، وصححه الألباني.

الصغير، وشاب عليها الكبير، وتبناها حثالة المجتمع، تبرز هذه القضية من خلال فلتات اللسان، وصفحات الوجوه، وما يكتب على الجدران وطاولات التلاميذ، مجالس الدهماء تروجها، وأشعار الجهلاء ترددها، كلما خبت نارها جاء من يسعرها ويحذر من نسيانها والغفلة عنها، ولذلك كان لزاماً على العلماء والدعاة والمفكرين وضع هذه العصبيَّة القبليَّة في ميزان الشَّرع ، ومعرفة الخير من الشر؛ مستندين في ذلك على الكتاب والسنة وكلام العلماء وسلف الأُمَّة .

أسباب اختيار الموضوع :

لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب من أهمها :

- ما يرى ويشاهد في بعض مجتمعاتنا من تفرق وتمزق واختلاف وتحارب بسبب العصبيَّة القبليَّة وحاجة المجتمع لبيان خطر ذلك.
- الوقوف على الأسباب الحقيقة لظاهرة العصبيَّة القبليَّة وأنواعها وسبل ترشيدها.
- رصد واقعي وميداني لمشكلات العصبيَّة القبليَّة مظاهرها وآثارها .
- معرفة الآثار الناتجة عن العصبيَّة القبليَّة في جميع المجالات .
- المساهمة العلمية من خلال الدِّراسة التي تفيد وتساعد أهل الاختصاص في ميدان عملهم بتقديم الاقتراحات والحلول المناسبة لمشكلات العصبيَّة القبليَّة .
- طبيعة عمل الباحث حيث يدور ويتركز حول هذه الظاهرة (العصبيَّة القبليَّة) .

ثانياً : أهداف البحث :

إن أهداف هذه الرسالة التي يقوم بها الباحث تتلخص فيما يلي :

- التعرّف على مفهوم العصبيَّة القبليَّة .
- تشخيص أسباب العصبيَّة القبليَّة والأسس التي تقوم عليها .
- الوقوف على وسائل انتشار العصبيَّة القبليَّة .
- التعرف على آثار العصبيَّة القبليَّة .

– تفعيل دور الثَّقافة الإسلاميَّة في توجيه العصبيَّة القبليَّة .

ثالثاً : **منهج البحث** :

اعتمد الباحث في الدِّراسة على المنهج الاستقرائي التأصيلي لجمع المعلومات من الكتب العلمية، والأدلة الشرعية من الكتاب والسنة والسيرة، ثم أقوال السلف والعلماء، وكذلك على المنهج الوصفي؛ وذلك بوصف ما هو كائن وتفسيره؛ حيث يقوم الباحث بوصف ظاهرة العصبيَّة القبليَّة وميزان ذلك في الثَّقافة الإسلاميَّة .

رابعًا : **الدِّراسات السَّابقة** :

من خلال البحث وحسب حدود علم الباحث لا توجد رسالة علميَّة تتحدَّث عن العصبيَّة القبليَّة في ميزان الإسلام .

وإنما هناك دراسة معيّنة أشار إليها الباحث في قائمة المراجع، وسيفيد منها إن شاء الله تعالى كبقية المراجع وهي بعنوان : (العصبيَّة القبليَّة من المنظور الإسلامي النَّاس كلهم بنو آدم وآدم من تراب)، للشيخ / خالد عبد الرَّحمن الجريسي وهي جهد مشكور ومبارك، نسأل الله أن يثيبه عليها وأن ينفع بها .

وبعد قراءتها والتدقيق فيها تبين أن هذه الدِّراسة تختلف عن الدِّراسة الحالية اختلافاً تاماً، يتبين من خلال النقاط التالية :

أولا : أن الدِّراسة المذكورة ليست رسالة علمية .

ثانياً : أن الدِّراسة المذكورة ذكر عنها مؤلفها في بداية الخاتمة والتوصيات بأنها خطوة متواضعة، وهنا نعلم أنه يبقى خطوات حتى يكتمل الموضوع، ونسأل الله أن ييسر بتوفيقه أن نتطرق لذلك في الدِّراسة الحالية .

ثالثاً : أن الدِّراسة المذكورة عبارة عن مؤلف يحتوي على ١٧٩ صفحة، منها على سبيل المثال ٨٠ صفحة ملحق فتاوى كبار العلماء واللجنة الدائمة والفهارس، ومنها أيضاً ٣٠ صفحة عبارة عن مثالين للطبقية في دولة اليمن وفي نجد واستبانات حول ذلك، فيكون الحديث المباشر والمتعلق بالموضوع محصوراً في ٦٩ صفحة في ثلاثة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول : العصبيَّة القبليَّة في العصر الجاهلي مفهومها ومظاهرها، وتحدَّث فيه عن تعريفات العصبيَّة والقبلية ومظاهر ذلك من الفخر بالأنساب والطعن في الأحساب والطبقية والثأر والحروب، وكل ما ذكره في هذا الفصل سأشير له في الدِّراسة الحالية في التَّمهيد بإذن الله .

الفصل الثاني : العصبيَّة القبليَّة المعاصرة ومظاهرها، وذكر فيه أمثلة للطبقية، وتحدث أيضا عن التكافؤ في النكاح وعن المحسوبية .

الفصل الثالث : معالجة الإسلام للعصبيات وفتاوى لكبار العلماء .

رابعاً : أن الدِّراسة المذكورة لم تتطرق أبداً إلى موضوعات فصول الدِّراسة الحالية وهي :

أسباب العصبيَّة القبليَّة والأسس التي تقوم عليها .
وسائل انتشار العصبيَّة القبليَّة .
آثار العصبيَّة القبليَّة .
دور الثَّقافة الإسلاميَّة في توجيه العصبيَّة القبليَّة (الوقائي والعلاجي) .

ومن خلال ما ذكرنا آنفاً يتبين الفرق بين مضمون الكتاب وما سيقدمه الباحث إن شاء الله في الدِّراسة الحالية، ووجوه التشابه محصورة فيما تحدّث عنه الشَّيخ عن مفهوم العصبيَّة القبليَّة ومظاهرها، وهذا ما سأشير إليه في التَّمهيد، أما فصول الدِّراسة الحالية فلا تشابهها ألبته .

خامساً : **مشكلة البحث** :

إن العصبيَّة القبليَّة قد انتشرت في هذه الأزمنة أسبابها ومظاهرها، ومن خلال عمل الباحث الرسمي والتطوعي الخيري، حيث إنه يعمل مشرفا للقضايا التربوية في مكتب التربية والتعليم في قطاع شمال الطائف، وفي المساء يعمل رئيسا للجنة إصلاح ذات البين بمركز حي العطيف التابع لجمعية مراكز الأحياء بالطائف، فقد أحسّ بظهور العصبيَّة القبليَّة وكثرتها بين النَّاس، بل أصبحت حديث سامرهم، وشغل شاعرهم، فتفشى فيهم التَّفاخر والتعاظم، والتعالي والطعن، وغمط النَّاس واحتقارهم؛ مما يخالف هدي الرسول الكريم عليه

الصَّلاة والسَّلام .

وحيث أضحت العصبيَّة القبليَّة المذمومة تصنيفًا اجتماعيًا قاسيًا، ينافي مبدأ العدالة الاجتماعيَّة في جميع جوانبها، حتى إنَّه لا يمر يومٌ خالٍ من هذا المرض العضال ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعلى هذا فقد دعت الحاجة الماسة لدراسة تلك الظاهرة، ومعرفة أسبابها ومظاهرها، وطرق علاجها، وترشيدها بطرق تربوية شرعية؛ لتكون مساهمة في بذل الخير والدعوة إليه، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

سادساً : منهج الباحث في كتابة البحث :

سأنقل نصوص القرآن الكريم بالرسم العثماني من مصحف المدينة النبوية طباعة مجمع الملك فهد، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية .

أنقل نصوص السنة النبوية من مصادرها الأصلية، وبيان الحكم على الحديث إن أمكن .

أترجم للأعلام الذين استفدت من نقولاتهم في هذه الدِّراسة؛ معتمداً على كتب الأعلام المشهورة .

أعزو كل نص لمصدره الذي أخذته منه، مع ذكر الكتاب والمؤلف وبيانات ذلك في المرة الأولى، وبعد ذلك يكون بالإشارة إليه، وتكون جميع النصوص بين أقواس معينة لكل نص .

سأقوم بوضع عدة فهارس في آخر البحث للآيات، والأحاديث، والأعلام، والمراجع والمصادر، وكذلك للموضوعات .

سابعًا : تساؤلات البحث :

يتركز التساؤل الرئيسي لهذه الدِّراسة في بيان :

ما هو أثر العصبيَّة القبليَّة في الإسلام ؟

وهذا السؤال الرئيسي تنبثق منه أسئلة فرعية من أهمها :

- ما أسباب العصبيَّة القبليَّة والأسس التي تقوم عليها ؟
- ما وسائل انتشار العصبيَّة القبليَّة ؟

- ما الآثار الناتجة عن العصبيَّة القبليَّة ؟
- ما دور الثَّقافة الإسلاميَّة في توجيه العصبيَّة القبليَّة ؟

ثامناً : خطة البحث :

وتشتمل على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وذلك على النحو التالي :

المقدمة : وتتناول بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف الدِّراسة، وحدودها، والدراسات السَّابقة، ومشكلة البحث، وتساؤلات الدِّراسة، والمنهج المتبع في الدِّراسة.

التَّمهيد : ويشتمل على :

التَّعريف بـــــــــــــ (مفردات عنوان البحث) .

مفهوم العصبيَّة القبليَّة ومظاهرها .

الفصل الأول : أسباب العصبيَّة القبليَّة، والأسس التي تقوم عليها.

المبحث الأول : أسباب العصبيَّة القبليَّة .

المبحث الثاني : الأسس التي تقوم عليها العصبيَّة القبليَّة .

الفصل الثاني: وسائل انتشار العصبيَّة القبليَّة.

المبحث الأول : الإعلام .

المبحث الثاني :الشعر

المبحث الثالث : الحفلات والنوادي القبليَّة .

المبحث الرابع : وسائل التواصل الاجتماعيّ الحديثة .

الفصل الثالث : آثار العصبيَّة القبليَّة .

المبحث الأول : الآثار الدِّينيَّة والفكريَّة.

المبحث الثاني : الآثار الاجتماعيَّة والأخلاقية.

المبحث الثالث : الآثار السِّياسيَّة والاقتصاديّة .

الفصل الرابع : دور الثَّقافة الإسلاميَّة في توجيه العصبيَّة القبليَّة .

المبحث الأول : الدَّور الوقائي .

المبحث الثاني : الدَّور العلاجي .

تاسعًا : **الخاتمة** :

وتتضمن أبرز النتائج والتوصيات .

عاشراً : **المصادر والمراجع** .

الحادي عشر : **الفهارس** .

التَّمهيد

أوَّلاً : التَّعريف بمفردات البحث

ثانياً : مفهوم العصبيَّة القبليَّة ومظاهرها

التَّمهيد

أولاً : التَّعريف بمفردات البحث :

العصبيَّة لغة :

مشتقَّة من العصب، ويأتي على عدة معانٍ من أهمها :

١ – الطيّ والشّد والضّم : ومنه ضم ما تفرق من الشجر، والعصب محركة أطناب جمع طنب، وهو حبل طويل يشد به سرادق البيت[(١)]، وقيل من مادة عصب وهو التمسك بالشيء والتشدد له[(٢)]. والعصب عصب الإنسان والدابة، والأعصاب هي أطناب المفاصل التي تلائم بينها وتشدها، ومنه قوله تعالى : ﴿يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ [هود: ٧٧]؛ أي شديد[(٣)].

٢ – الاجتماع على الشيء الواحد، والعصبة هم الأقارب من جهة الأب؛ لأنهم يعصبونه ويتعصب بهم؛ أي يحيطون به ويشتد بهم، والعصبة واحد العصب، وهي أطناب المفاصل، وهم بنو الإنسان وقرابته لأبيه، فالأب والابن طرف، والعم جانب، والأخ جانب، والجمع عصبات[(٤)].

٣ – المحاماة والمدافعة والنصرة، والعصبية والتعصب المحاماة والمدافعة، وتعصبنا له أو معه نصرناه، وقيل للرجل الذي يغضب لعصبته ويحامي عنهم ويعينهم ولو على الظلم: عصبي[(٥)].

٤ – العمائم، والعصابة بالكسر ما عصب به كالعصاب والعمامة وتعصّب أي شد

(١) انظر القاموس المحيط، محمد يعقوب الفيروز آبادي، العربية للطباعة، ص ١٤٨.

(٢) انظر تاج العروس، الزبيدي، الطبعة الخيرية، مصر، ٣٨٩/٣ مادة عصب.

(٣) انظر، لسان العرب، ابن منظور، طبعة بولاق الميرية، ١٤٠٣هـ، ٩٦/٢ مادة عصب.

(٤) انظر الصحاح، إسماعيل حماد الجوهري، طبعة الشربتلي، ط٢، ١٨٢/١-١٨٣.

(٥) انظر لسان العرب، ابن منظور، طبعة بولاق الميرية، ١٤٠٣هـ، ٩٦/٢ مادة عصب.

العصابة، وتقول: عصَّب رأسه بالعصابة تعصيباً وتعصب يعني شدّ العصابة(١)، وكذلك فإنّ "كل شيء استدار حول شيء وأستكف فقد عصب به، ومنه العصائب وهي العمائم "(٢).

٥ – الجماعة، والعصبة بالضم من الرجال والخيل والطير ما بين العشرة إلى الأربعين(٣)، ومنه قوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: ٨]، ومنه حديث « اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض »(٤)، ومنه حديث الفتن : « قال : فإذا رأى النَّاس ذلك أتته أبدال الشام وعصائب العراق فيتبعونه »(٥).

وفي لغة الفقهاء العصبيَّة :

مناصرة من يهمك أمره في حق أو باطل(٦).

العصبيَّة في الاصطلاح :

وهي أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوئهم؛ ظالمين كانوا أو مظلومين(٧).

وعرفها البعض بأنها " الانتصار والالتفاف والتحلق حول مجموعة من النَّاس انتظمت لمصلحة ذاتية محدودة قد يكون فيها أذيّة للآخرين، وقد تكون على منافع خاصة "(٨).

---

(١) انظر القاموس المحيط، محمد يعقوب الفيروز آبادي، الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ، إشراف محمد العرقسوسي، ١٤٨.

(٢) انظر غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبه الدينوري، تحقيق :عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٧هـ، ٢١٧/١.

(٣) انظر القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ١١٥/١.

(٤) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوه بدر، برقم : (١٧٦٣).

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده : (٢٨٦/٤٤)، برقم : (٢٦٦٨٩). وضعفه شعيب الأرناؤوط.

(٦) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس و حامد قنيبي، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ ص ٣١٣.

(٧) تهذيب اللغة، محمد أحمد الأزهري، تحقيق : محمد مرعب، إحياء التراث، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ٣٠/٢.

(٨) انظر العصبيَّة في ضوء الإسلام، هاشم محمد المشهداني، دار الثّقافة، قطر، ط١، ١٤٣٣هـ، ص٤٢.

وعرَّفها ابن خلدون[١] عالم الاجتماع المعروف فقال : " النُّعَرَة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة؛ فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه، ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك "[٢].

العصبيَّة هي : الانتصار للقبيلة بغير وجه حق شرعي، وجاء في الحديث عن فسيلة قالت : ((سمعت أبي يقول : أمن العصبيَّة أن يحب الرجل قومه ؟ قال لا، ولكن أن ينصر الرجل قومه على الظلم))[٣].

ومن العصبيَّة إعانة قومك على الظلم، روى أبو داوود في سننه في باب العصبيَّة من كتاب الأدب عن بنت واثلة بن الأسقع : ((أنها سمعت أباها يقول : قلت يا رسول الله : ما العصبيَّة ؟ قال : أن تعين قومك على الظلم))[٤].

وعرفها البعض بأنها : " رابطة اجتماعية سيكولوجية نفسية شعورية ولا شعورية معاً، تربط أفراد جماعة ما قائمة على القرابة ربطاً مستمراً، يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد كأفراد أو جماعة[٥].

ويذكر عن زين العابدين علي بن الحسين[٦] رحمه الله أنه سئل عن التعصب المذموم فقال

---

(١) ابن خلدون هو : عبد الرَّحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، وليّ الدين الحضرميّ الإشبيلي، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعيّ البحاثة. مولده ومنشأه بتونس . رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالا، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها، وولي فيها قضاء المالكية، وعزل، وأعيد. وتوفي فجأة في القاهرة سنة ٨٠٨هـ . انظر : الأعلام للزركلي : (٣٣٠/٣).

(٢) مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : أحمد جاد ، دار الغد الجديد، القاهرة، ط١ ، ١٤٢٨ هـ ، ص ١٢٨.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده : (١٩٨/٢٨) برقم : (١٦٩٨٩)، وحسنه شعيب الأرناؤوط.

(٤) رواه أبو داود ، أبواب النوم ، باب في العصبية ، برقم : (٥١١٩). وضعفه الألباني.

(٥) انظر فكر ابن خلدون العصبيَّة والدولة معالم نظرية خلدونبة في التاريخ الإسلامي محمد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٥، ١٩٩٢م، ص٢٥٤.

(٦) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو الحسن، الملقب بزين العابدين: رابع الائمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع. مولده ووفاته بالمدينة، توفي سنة ٩٤م.
=

: ((العصبيَّة التي يأثم صاحبها : أن يرى الرجل شرار قومه خيرًا من خيار قوم آخرين))[(١)].

وذكرت بعض الدِّراسات أنها : " التلاحم بالعصب، والالتصاق بالدم، والتكاثر بالنسل، ووفرة العدد، والتفاخر بالغلبة والقوة والتطاول "[(٢)].

ومن التعاريف التي تناسب أن تكون تحليلاً للعصبيَّة : "هي بداية نعرة فئوية دموية رحمية ملازمة لنمو النوازع الأولية يتربى عليها الطفل وتبدأ مع الأم في الأسرة "[(٣)].

وفي الدِّراسات النَّفسيَّة الاجتماعيَّة ذُكر بأن التعصب على نوعين : تعصب سلبي (الميل للابتعاد والأذى)، وتعصب إيجابي (الميل للمودة والتسامح والمساعدة)، وسرد عدداً من المفاهيم للتعصب في مجموعها تعني : مشاعر بالتفضيل أو عدم التفضيل تجاه شخص أو شيء ما سابقة للخبرة أو لا تقوم على أساس الخبرات الفعلية، وأنه اتجاه انفعالي نحو جماعة من الأشخاص أو أعضائها من الأفراد[(٤)].

القبليَّة لغة :

هي مصدر صناعي من قبيلة، مفردها قبليّ نسبة إلى قبيلة وهي الجماعة من النَّاس تنتسب إلى أب أو جد واحد، أو مجموعة من النَّاس يوحّدهم نسب واحد[(٥)].

وفي الصحاح مادة ((قبل)) واحد قبائل الرأس وهي القطع المشعوب بعضها إلى بعض

=

انظر : الأعلام للزركلي : (٢٧٧/٤).

(١) انظر الأدلة الشرعية في الزجر عن العصبيَّة القبليَّة، جمع وترتيب وتعليق، أحمد عبد الرَّحمن حيفو، ص ٦، وانظر : موقع جماعة الاعتصام بالكتاب والسنة، http://ictisaam.net/.

(٢) انظر دراسات اجتماعية أخلاقية خلق ودين، إبراهيم سلامه، شركة و مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٧٣هـ، ص ٨١.

(٣) انظر العصبيَّة بنية المجتمع العربي، عبد العزيز قباني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ص ٤٥.

(٤) انظر : التعصب دراسة نفسية اجتماعية، معتز سيد، دار غريب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م، ص ٥٨ – ٥٩ –٦١.

(٥) انظر لسان العرب، محمد مكرم علي ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ، ٣٥١٩/٥.

تصل بها الشؤون، وبها سميت قبائل العرب(١)، وهي أيضاً جماعة من أب أو جد واحد والقبائل من قبائل الشجرة وهي أغصانها(٢).

والقبليَّة اصطلاحاً :

جماعة من النَّاس تضم طوائف أصغر منها، تنتمي كلها إلى أصل واحد وجذر راسخ، ولها نسب مشترك يتصل بأب واحد هو أبعد الآباء والجد الأكبر للقبيلة(٣).

وهي أيضاً : كيان اجتماعي طبيعي يقوم فيه رؤساء العشائر والبطون برعاية شؤون الجماعة، تقوم فيه الرابطة على أساس وحدة الدم والنسب(٤).

والقبيلة هي: قيمة اجتماعية ثقافية نشأت لضرورة معاشية وبيئية، وهي دولة لمن لا دولة له، وفي كتاب القبيلة والقبائلية حينما أراد أن يفرق المؤلف بين نظام القبيلة والدولة ذكر بأنها : نظام اجتماعي يقوم على أساس ثقافي وسلوكي وأمني واقتصادي واضح المعالم، وتنشأ فيه التحالفات الداخلية والخارجية؛ بناءً على المصالح الجوهريّة(٥).

وعرفها صاحب معجم « لغة الفقهاء » بأنها : " كيان اجتماعي اقتصادي سياسي يضم عائلات تجمعها روابط الدم، وتخضع لرئيس واحد، ولها عادات وأعراف خاصة(٦).

والقبيلة : "عبارة عن مجموعة من الأسر تجمع بينها أواصر الرحم، وتلتقي أنسابها عند الأب المشترك الذي تنتمي إليه القبيلة، وربما استقلّت أسرة أو مجموعة من الأسر مكونة قبيلة

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل حماد الجوهري، تحقيق : أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ ، ج٥ ص ١٧٩٧.

(٢) تاج العروس، محمد عبدالرزاق الحسيني الزبيدي، تحقيق مجموعة من المؤلفين، دار الهداية، ٧٢/٨.

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د . جواد علي، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ، ٣١٤/٧.

(٤) مكة والمدينة في الجاهليَّة وعصر الرسول، أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي، ص ٢٩.

(٥) القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، عبد الله محمد الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٢٠٠٩، ٢ م، ص ١٥٩ و ص ٢٥.

(٦) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي و حامد صادق قنيبي، دار النفائس، ط٢، ١٤٠٨هـ، ص٣٥٦ - ٣٥٧.

جديدة "[١].

وهنا نستطيع القول بأن القبيلة مجموعة ومنظومة تتكّون من أفراد يختلف كل فرد عن الآخر من حيث الأهمية والقدرات والمواهب، فتجد السيد المطاع وهو رئيس القبيلة ورأسها وله صفات وخصال يجب أن تتوفر فيه[٢]، وكذلك الخطيب المتحدث صاحب الحجة والبيان الذي يبرع في الخطابة والإلقاء، ومن أفراد القبيلة المعتبرين الشَّاعر الذي هو لسان القبيلة والإعلامي الأبرز بها[٣]، وتجد كذلك القضاة والمحكمين بين المتخاصمين من القبيلة ويجب الرضاء والقبول بحكمهم وقضائهم[٤]، وفي طليعتهم الفرسان أهل الخبرة في القتال والحرب والخيل، ولا تخلو القبيلة من كبار القوم وأهل الحل والعقد ممن كبر بهم السن وكانوا أهلاً للشورى، وكذلك منهم من يكون له علم ودراية بالنسب والأنساب[٥]، وهؤلاء هم أعضاء مجلس القبيلة وناديهم[٦]، وكلّما برز أحد من سائر القبيلة فيما ذكر يفرحون به، ويقدمونه ولو كان صغيراً في السن.

ثانياً : مفهوم العصبيَّة القبليَّة :

العصبيَّة القبليَّة شعور قوي بالهوية القبليَّة وولاء الشخص لقبيلته أو مجموعته، والتماسك عند حدوث مشاحنات وصراعات[٧].

وهي تعني كذلك تضامن قوم تجمعهم آصرة النسب ونصرة بعضهم بعضاً ظالمين كانوا أو مظلومين ضد من يناوئهم[٨]، فكانت الذهنية البدوية الجاهليَّة لا تتصور الكائن الإنسان إلا داخل مجموعة شريعتها العصبيَّة القبليَّة، حيث يعدّ أفرادها نسخاً يطابق بعضها البعض،

(١) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، دار الفكر، ط٢، ١٩٧٣م، ص٥٩.

(٢) سيأتي الحديث عنها في ص ١٠٥ من هذا البحث .

(٣) سيأتي الحديث عنها في ص ١٢٩ من هذا البحث .

(٤) سيأتي الحديث عنها في ١٦٧ من هذا البحث .

(٥) سيأتي الحديث عنها في ٢٦٤ من هذا البحث .

(٦) سيأتي الحديث عنها في ١٤٨ من هذا البحث .

(٧) معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ، ١٧٧٢/٣.

(٨) لسان العرب، ابن منظور، ٩٧/٣.

ويذوب كل شخص في القبيلة، و لم تكن العصبيَّة القبليَّة لتعترف بالتضامن والعلاقات الودية إلا بين من تجمعهم رابطة القرابة، وتبني واقعية العصبيَّة على تقديس الجد المشترك(١).

ومفهوم عصبيَّة القبيلة هي: أن قبيلة ما يتناصر أفرادها ويجتمعون ويتعاونون بالباطل ـــ غالبًا ـــ ضد قوم غيرهم، ويؤدي هذا إلى استئثار القبيلة المتعصبة بكل حقوق وضروريات غيرهم، وإذا كان التناصر والتجمع والتعاضد على مستوى قبيلة واحدة إن كان قام على الحق وبالحق ونحو الحق فهذا أمر طيب، بل إن فيه الأجر العظيم، والثواب الجزيل إن شاء الله؛ لأن الأمور بمقاصدها(٢).

وَلْيُعْلَمْ أنَّه لا علاقة بين الانتماء إلى القبيلة وبين التعصب لها، فالأوَّل أقرَّه الشرع، والثاني حذر منه، ومثله الانتماء إلى المذهب الفقهي، فلا يلزم من كون المرء يتمذهب بمذهب معين ويتفق عليه أن يتعصب له(٣). والعصبية في الجماعة شعور فئوي بوحداها المتميزة بشوكتها، بكونها سلطة واحدة، وجسماً واحداً، ومصلحة واحدة، قوية التضامن والتماسك، يشد أفرادها بعضهم إلى بعض، شعور بالانتماء إليها لا إلى غيرها من الجماعات، وشعور الانتماء هذا يولّد في أفرادها التزاماً قيمياً فئوياً نحوها، بكلّ ما لها وما عليها التزاماً واجباً ومسئولا، يجعل الأخ ينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً، ويجعل جماعة العصبيَّة ترى "شرارها أفضل من أخيار غيرها"(٤).

والعصبية في حياة القبائل لا تكون للقرابة الأدنين فحسب، بل تشمل كل أفراد القبيلة، وتلحق التبعات والمسؤوليات القبيلة إزاء كل فرد من أفرادها، فالقبيلة ملزمة بنصرة كل رجل ينتمي إليها، وفي هذا يقول الشَّاعر(٥):

قومٌ إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ۞ طاروا إليه زرافات ووحدانا

---

(١) انظر الإسلام والعنصرية، عبد العزيز عبد الرَّحمن قاره، دار البشير، جده، ط٢، ١٤١٦هـ.

(٢) العصبيَّة، عبدالملك الشيباني، دار الكتب اليمنية، صنعاء، ط٥، ١٤٣٤هـ، ص ٢٦.

(٣) الادلة الشرعية في الزجر عن العصبيَّة، حيفو، ص ٦.

(٤) العصبيَّة بنية المجتمع العربي، قباني، ص٤٠.

(٥) وهو : قريط بن أنيف من بني العنبر من بني عمرو من تميم.

لا يســـألون أخـــاهم حـــين ينـــدبهم ❁ في النائبـــات علـــى مـــا قـــال برهانـــا [(١)]

والمثل القبلي المشهور يقول " في الجريرة تشترك العشيرة "[(٢)]، والوقوف مع القبيلة أمـــر محتوم وفرض مقسوم ، وهو واجب يمليه على الفرد واجب القبيلة حتى لو خالف ذلك رأيه وفي هذا يقول دريد بن الصمة[(٣)]:

أمـــرتهم أمـــري بمنعـــرج اللـــوى ❁ فلم يستبينوا الرشـد إلاّ ضحى الغد
فلمـا عصوني كنت منهم وقد أرى ❁ غوايتـــهم وأنـــني غـــير مهتـــد
وهـــل أنـــا إلا مـــن غزيـــة إن غـــوت ❁ غويـــت وإن ترشـــد غزيـــة أرشـــد

فغيّه وضلاله وكذلك رشده مرتبط بقبيلته، فإن ضلت ضل معها وأمعن في ضلاله، وإن اهتدت اهتدى معها.

والعصبيَّة القبليَّة في أبسط صورها هي : مسؤولية جماعية موزعة بين الفـــرد والقبيلـــة، فالفرد من حيث هو عنصر من هذه القبيلة عليها أن تحميه وتقدم العون له، والفرد يجب أن يدافع عن قبيلته إذا ما لحقها أذى[(٤)].

وتعرف عند العرب بأنها : الميل والمحاباة دون النظر لمصلحة المجموع ولأسباب اجتماعية يحب الإنسان أسرته ويختص عشيرته بعونه ومساعدته، وكثيراً ما يكون هذا الحب أو تلـــك

---

(١) ديوان الحماسة، أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٨هـــ، ج١ ص١٦.

(٢) مجمع الأمثال، أبي الفضل أحمد محمد النيسابوري الميداني، مطبعة السنة المحمدية، تحقيق : محمد عبدالحميـــد، ج٢ ص ٢٠.

(٣) دريد بن معاوية بن الحارث من بني جشم بن بكر من هوازن من أبطال الجاهليَّة وفرسانها، أدرك الإسلام و لم يسلم، وقتل في وقعة حنين وهو شيخ طاعن في السن أعمى خرجت به هوازن معها تيمناً به ، انظر : جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٨٦ والبغدادي في خزانة الأدب ٤/٤٤٦.

(٤) العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، د محمد خريسات، دار اليازوري، عمان الأردن، ط١، ص٨٩.

المساعدة ضد مصالح الآخرين(١).

ويرى ابن خلدون فقيه علم الاجتماع رأيًا مختلفًا، حيث يؤكد على أهمية العصبيَّة القبليَّة، وربطها بالبناء الاجتماعيّ وبحركة التاريخ السياسي، ودورها الهام في بنية المجتمع البدوي، وأن نشأة الدولة تعتمد على العصبيَّات، وأنها مصدر القوة والغلبة، فيقول : " اعلم أن مبنى الملك على أساسين لا بُدَّ منهما : فالأول الشوكة والعصبية وهو المعبر عنه بالجند، والثاني : المال الذي هو قوام أولئك الجند، وإقامة ما يحتاج إليه الملك من الأحوال "(٢).

ويقول أيضاً : "أن دوام الملك ونظام الحكم بدوام العصبيَّة كشوكة ونعرة دم، ولا يصدق دفاعهم وذيادهم إلّا إذا كانوا عصبيَّة وأهل نسب واحد؛ لأنهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم، والملك يحصل بالتغلب، والتغلب يكون بالعصبية "(٣).

ويرى الباحث أن العصبيَّة القبليَّة هي : الاجتماع والتناصر والدفاع عن القبيلة ومصالحها، والوقوف معها حمية أو نعرة ومحاباة للتغلب على الغير في كل ما تحتاج إليه .

ومن خلال التعاريف السَّابقة للعصبيَّة القبليَّة في المعاني اللغوية والشرعية والاجتماعيَّة والنفسية، يرى الباحث أن هذا المفهوم يشتمل على عدد من المعاني لعل من أبرزها ما يلي :

أن العصبيَّة القبليَّة قد تكون على حق ودفع ظلم وهذا محمود، وقد يكون التعصب على باطل وظلم للغير، وهذا مذموم .

أن الأغلب في العصبيَّة القبليَّة أنها تقوم على الفخر والتعالي والظلم والبعد عن المساواة والعدل والتسامح .

أن هناك أنواعًا من العصبيَّات وعدداً من المفاهيم والمعاني المرادفة والتي لها ارتباط وثيق

---

(١) العصبيَّة عند العرب، علي مظهر، مطبعة مصر، ١٢٤٢هـ .

(٢) المقدمة، ابن خلدون، ص٢٧٦.

(٣) مقدمة ابن خلدون، ص ١٢٨.

بالعصبيَّة القبليَّة ودرجاتها وأقسامها، وكذلك بمفهوم القبيلة من حيث طبقاتها وتصنيفها، وهذا ما سنتحدث عنه في العناصر التالية :

أولاً : أنواع العصبيَّات في معناها الشامل :

والعصبيَّة القبليَّة هي نوع من أنواع العصبيَّات في مفهومها العام والشامل، وإذا قمت بإسقاط معاني ومفاهيم العصبيَّة اللغوية والشرعية على حاضرنا اليوم، وباستقراء الماضي أمكن أن نتبين عدة أنواع من العصبيَّات[1] وهي كالتالي :

العصبيَّة المذهبية :

وهي المغالاة في الانتصار للمذهب الفقهي دون دليل[٢]، أو تعني عداوة وتجمع وتناصر أهل مذهب بالباطل في مقابلة مذهب أو مذاهب أخرى[٣].

والتعصب المذهبي هو تقليد باطل، "والتقليد الباطل المذموم هو قبول قول الغير بلا حجة"[٤]، ومن مظاهر التعصب للمذهب الانتصار له حتى ولو خالف الدليل من الكتاب والسنة، فظهرت فتاوى منكرة من بعض المذاهب ضد بعض، وكثر الجدل، وساد التباغض والتفرق والعداوة، لدرجة أن الواحد لا يصلّي خلف من يخالفه في المذهب[٥]، حتى كان للعصبيَّة المذهبية جنايات عظيمة، فأشغلت المسلمين ردحاً من الزمن وهم يكتبون في ردود ضد بعضهم، مع أن اختلاف العلماء إنما هو اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد، فلماذا يجعل منه حقاً نهائياً مطلقاً لا يلتفت لغيره، ويتخذه ديناً ينافح عنه ويتعصب له وينصره في

(١) العصبيَّة عبدالملك الشيباني ص ١٩.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلاميَّة محمد أبو زهره ج١ ص ٧-٨ دار الفكر العربي بيروت ١٩٨٧ م.

(٣) العصبيَّة، للشيباني، ص ٢٣.

(٤) الفتاوى، أحمد بن عبدالحليم ابن تيميَّة الحراني، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ، ج ٢٠ ص ١٥.

(٥) التعصب المذهبي والتطرف الديني وأثرهم على الدَّعوة الإسلاميَّة د حسن الجوجو الجامعة الإسلاميَّة بغزة كلية الدَّعوة واصول الدين مؤتمر الدَّعوة الإسلاميَّة ومتغيرات العصر ٨ ربيع الاول ١٤٢٦ هـ.

كل ميدان، بيد أن خلاف العلماء إنما هو في المسائل الفرعية دون الأصول والكليات[١].

وقد كان الأئمَّة رضوان الله عليهم قد دعوا إلى تحكيم الكتاب والسنة وترك آرائهم واجتهاداتهم إذا خالفت الشرع المطهر (انظر أقوال الأئمَّة الأربعة)[٢].

وقد كتب ابن تيميَّة رحمه الله رسالة قيّمة في رفع الملام عن الأئمَّة الأعلام، وذكر عشرة أعذار لمخالفة الإمام للأحاديث الصحيحة[٣]، وللاستزادة والفائدة انظر : (قرار المجمع الفقهي حول التعصّب المذهبي برئاسة الشَّيخ ابن باز[٤] رحمه الله)[٥].

العصبيَّة الحزبية :

الحزب لغة : (جماعة من النَّاس، والجمع أحزاب، وحزب الرجل أصحابه وجنده الذين على رأيه، وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب وإن لم يلق بعضهم بعضا، وكل طائفة هواهم واحد)[٦].

وهنا يقصد الباحث بالعصبية الحزبية سواءً أكانت هذه الأحزاب أحزابًا ومجموعات سياسية، أو كانت أحزابا وجماعات فكرية .

---

(١) العصبيَّة، الشيباني، ص ٢٣-٢٥.

(٢) إعلام الموقعين ابن القيم دار الفكر ط ٢ بيروت ج٢ص٣٠٩.

(٣) الفتاوى، ابن تيميه، ج٢٩ ص ٢٣٢.

(٤) انظر : سماحة الشيخ الإمام العلامة المجدد عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرَّحمن بن محمد بن عبد الله آل باز، المفتي العام السابق للمملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء، وإدارة البحوث العلمية والإفتاء، ولد في الرياض في ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ، وكان بصيراً في أول طلبه للعلم، ثم أصيب بمرض في عينه فضعف بصره إلى أن ذهب بالكلية سنة ١٣٥٠هـ، تتلمذ على عدد كبير من المشايخ المعروفين في المملكة، وله العديد من الدروس والكتب العلمية والجهود الدعوية في جميع أنحاء العالم، توفي صباح الخميس الموافق ١٤٢٠/١/٢٧هـ . انظر: موقع الشيخ عبد العزيز بن باز على الشبكة العنكبوتية : www.binbaz.org.sa.

(٥) في دورته العاشرة بمكة المكرمة تاريخ ٢/٢٤ /١٤٠٨ هـ انظر مجلة المجمع رقم ج ١ ص ٥٩.

(٦) لسان العر ب مادة حزب ج١ ص ٢٩٩.

وهي عصبيَّة مجموعات من النَّاس يلتقون ويجتمعون ويتناصرون على آصـــرة؛ قطباهـــا الرئيسان المبادئ والأفكار ضد كل من ليس منهم، ويعملون أعمالاً يجلبون منـــها المصـــالح والمنافع لحزبهم، والعصبية إذا أصابت حزباً فإنها تنسي أصحابها ما قد يحمله غيرهم من حق أو يقومون له ومنه وعلى أساسه(١). وقد ظهرت الظواهر الحزبية السِّياسيَّة في هذا العصـــر، وقد حذّر كثير من رجال الحكم والسياسة شعوبهم من الأخذ بالحزبية ؛ ذلك أنها عامل من عوامل التمزق المنظم لوحدة الأُمَّة ، وتؤدي إلى التخلف والتقلبات السِّياسيَّة المستمرة بـــدلا من التقدم والاستقرار، خصوصا إذا اهتم الحزب بمصالحه على المصالح العامة، وقامت هـــذه الأحزاب على وسائل تزييف وتشويه للرأي العام ويمثل حكم الأقلية للأكثرية(٢).

ولقد وقع الاختلاف والتفرق والتعصب بين الجماعات الإسلاميَّة والأحزاب الفكريَّـــة، قال شيخ الإسلام : " وأما رأس الحزب فإنه رأس الطائفة التي تتحزب، أي : تصير حزبـــاً، فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله ﷺ من غير زيادة أو نقصان؛ فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإن كانوا قد زادوا في ذلك أو نقصوا مثل : التعصّب لمن دخل في حزبهم سواء كان على حق أو على باطل، فهذا من التفرق الذي ذمه الله ورسوله ﷺ ؛ فإن الله ورسوله ﷺ أمرا بالجماعة والائتلاف، ونهيا عن التفرق والاختلاف، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى، ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان "(٣).

ونؤكد على كل التنظيمات والحركات والجماعات إنما هي جماعـــة مـــن المســـلمين، وليست جماعة المسلمين، وبذلك فإن الأخوة بين المسلمين إنما هي بأصل الإيمـــان ولـــيس بالانتماء لها، وحينما نبتعد عن التشرذم والطائفيات الجديدة التي تتمزق على أرضها رقعـــة التفكير وتنمو الحزبيات وتغيب الكليات ويضطرب سلّم الأولويات(٤).

---

(١) العصبيَّة للشيباني ٢٨.

(٢) انظر العصبيَّة في ضوء الإسلام للمشهداني ص ٢٣٢ وما بعدها.

(٣) الفتاوى ابن تيميَّة ج٢٠ ص ٤٥.

(٤) نصيحة ذهبية إلي الجماعات الإسلاميَّة من درر ابن تيميَّة جمع وتعليق مشهور حســـن ســـلمان دار الرايـــة ط ١- ١٤١٠هـــ.

العصبيَّة القومية :

"والقوم الجماعة من الرجال والنساء، وقيل للرجال خاصة "[١]، وهي" صلة اجتماعية عاطفية تنشأ في الاشتراك في شعور مجموعة من الأفراد بأنهم يؤلِّفون وحدة اجتماعية نتيجة لما يجمعهم من روابط عنصرية لا لغوية "[٢]، لقد أدرك الغرب أنَّ خير وسيلة لضرب الأُمَّة الإسلاميَّة من داخلها هي إثارة العصبيَّة القومية لإقامة الحواجز بين أجزاء العالم الإسلامي، وإماتة روح الأخوَّة الإسلاميَّة، وإقامة أحزاب علمانية تعصبية أفسدت البلاد والعباد[٣].

والقومية العربية تهدف وتدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم على أساس روابط الدم والقربى واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين، وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا[٤]. ولقد كان للقومية الطورانية في تركيا دور بارز في ضياع الخلافة العثمانية، حتى حوربت لغة القرآن اللغة العربية، وأبعدوا النَّاس عن حضارتهم الإسلاميَّة العريقة إلى دعوات عرقية مقيتة، وانتشرت الجمعيات التي تدعو إلى ذلك في بلاد العرب، وفي الغرب كذلك يقوم عليها نصارى العرب، وأحزاب البعث زمن ناصرهم من القوميين[٥].

عصبيَّة اللون :

ظلّت عصبيَّة اللون من أشدّ أنواع العصبيَّات، ومن أقدم العصبيَّات ظهورًا، هذه العصبيَّة التي راح ضحيتها الكثير، و لم يكن لهم ذنب إلَّا بشرتهم السوداء التي حكمت عليهم أن

---

(١) لسان العرب، مادة قوم ١/٢٩٩.

(٢) معجم العلوم الاجتماعيَّة، إبراهيم مدكور و نخبة من الأساتذة المختصين، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٥م، ص٤٥٠.

(٣) العصبيَّة في ضوء الإسلام، المشهداني، ص ٢٢٥.

(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، مانع حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ط٤، ١٤٢٠هـ، ص٤٤٨.

(٥) انظر، دور التربية الإسلاميَّة في مواجهة العصبيَّة في زمن العولمة الاجتماعيَّة، عايض محمد عايض حجراف، بحث منشور، كلية التربية، جامعة أم القرى ١٤٣٣هـ، ص ٣٢.

يكونوا عبيدًا، وضحية لأساليب الاحتقار والقتل[1].

ولعلَّ من أشهر نماذجها : قضية السود في أمريكا، والتمييز في جنوب أفريقيا، وكذلك قضيَّة الرق الموجودة في بعض البلاد، ولكننا نستطيع القول بأن ذلك قلّ وخفّ نوعـــاً مـــا بسبب إلغاء الرق في قوانين حقوق الإنسان، ودخول الديمقراطية الحديثة[2].

وتظهر عصبيَّة اللون في الأحياء التي يسكنها السود، فهي ما زالت تفتقر إلى كثير مـــن الخدمات الهامة حتى أصبحت مهملة، مما يدلّ على بقاء آثار العقلية المتعصبة ضد اللون .

العصبيَّة الدِّينيَّة :

وتعتبر العصبيَّة الدِّينيَّة من أشدّ وأخطر أنواع العصبيَّات؛ لكونها مرتبطـــة بمـــا يعتقـــد الإنسان ويدين الله به، وهي : " عصبيَّة أهل دين، فيتناصرون ويلتقون ويجتمعون على دينهم بالباطل ضد غيرهم من الأديان والأمم والشعوب، وضد كل من يخالفهم. وخير شاهد على هذه العصبيَّة : ما نراه ونشاهده من عصبيَّة اليهود والنَّصارى وحلفائهم، فهم من يستخدم قوتهم ونفوذهم في فرض مواقفهم وأعمالهم، وإلزام أحكامهم رغـــم تحريفهـــا وفســـادها وانحرافها[3].

وستأتي الإشارة عن هذه العصبيَّة في اللمحة التاريخية للعصبيَّة القبليَّة في الأمم السَّابقة

العصبيَّة الطَّبقيَّة :

ومن أنواع العصبيَّات : العصبيَّة الطَّبقيَّة، وكان لها أثرٌ قويٌّ في تقسيم النَّـــاس علـــى مستويات، يحمل بعضهم بعض الحقد والتعالي، والطبقية هي الجماعة من النَّـــاس يعـــدلون جماعة مثلهم(٤). وتعرف : بأنها مجموعة من الأفراد في مستوى اجتماعي واحد يـــربطهم

(١) العصبيَّة في ضوء الإسلام، المشهداني، ص ٢٦١.

(٢) انظر دور التربية الإسلاميَّة في مواجهة العصبيَّة، حجراف، ص ٣٣.

(٣) العصبيَّة، الشيباني، ص ٣٢.

(٤) انظر لسان العرب، ابن منظور، مادة طبق، ج١٢ ص٧٨.

شعور مشترك بأنهم يلتقون في بعض النواحي الخاصة بهم من صفات وعادات(١).

فكانت هناك طبقات عديدة في بعض المجتمعات والأمم والشعوب، ولكلّ شعب وأمّـــة طبقات خاصة بهم، فتجد الطبقات العليا الحاكمة، وطبقة رجال الدين، وطبقة الضـــعفاء، وطبقة المهنيين أو ما يسمى بالطبقة الوظيفية، وطبقات الفلاحين والمزارعين، وطبقات التجار ورجال الأعمال.

وتجدر الإشارة إلى نوع مهم وخطير من أنواع العصبيّة التي عمّت بها البلوى في كثير من المجتمعات اليوم ، وسالت بسببها الدماء أنهارًا ـــــ كما حصل في مصر وغيرها ـــــ وهي العصبيّة للفرق والنوادي الرياضية .

ثانياً : معاني مرادفة للعصبيَّة القبليَّة ومرتبطة بها :

من خلال القراءة عن مفهوم العصبيَّة القبليَّة تبين أن هناك معاني مرادفة لها، مـــن هـــذه المعاني ما ذكر في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومنها ما هو متداول عند النَّاس، وقد قام الباحث بحصر أهمّ هذه المعاني، وهي كالتالي :

١- الحمية :

الحمية في اللغة : يقال : حمى فلان أنفه بحمية، وفلان ذو حمية منكـــرة : ذو غضـــب وأنفة، والحمية هي الأنفة والغيرة وعدم احتمال الضيم[٢]، والحمية : القتال غضـــبا لـــدفع المضرّة وجلب المنفعة[٣]، وهي : الغضب الناشئ من عصبيَّة حركت الإنســـان ليســـت لله والرغبة في مرضاته، وإنما هي من أجل آخرين سواءً كان حزباً أو قبيلة أو طبقة[٤]، ومنـــها قوله تعالى :﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾[الفـتح: ٢٦]،

(١) انظر، معجم العلوم الاجتماعيَّة، مدكور، ص ٣٦٣.

(٢) انظر، لسان العرب، ابن منظور، مادة حمى، ١٨/٢١٦-٢١٧.

(٣) نيل الأوطار، للشوكاني، ج٤ص٣٣.

(٤) العصبيَّة في ضوء الإسلام، المشهداني، ص٤٤.

وذلك حين جعل سهيل بن عمرو في قلبه الحمية، فامتنع أن يكتب في كتاب المقاضاة الذي كتب بين الرسول ﷺ والمشركين : بسم الله الرحمن الرحيم، وأن يكتب فيه محمد رسول الله، وامتنع هو وقومه من دخول رسول الله ﷺ إلى مكة عامه ذلك(١)، فوضع الإسلام السكينة موضع الجاهليَّة(٢)، ومنه قول الرسول ﷺ عندما سئل عن الرجل يقاتل حمية فقال : ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله))(٣)، ومعنى حمية: أنفة وغيرة ومحاماة عن عشيرته(٤).

٢- عُبَيَّةَ الجاهليَّة :

العُبَيَّةُ : هي الكبر والفخر، وعُبَيَّةَ الجاهليَّة : نخوها، وفي الحديث : ((إن الله وضع عنكم عُبَيَّةَ الجاهليَّة وفخرها بالآباء ، مؤمن تقي، وفاجر شقي ، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب))(٥)، وقد وصفت قريش ونعتت بتكبرها حتى قيل (هذه عبية قريش)، وقد ذم الإسلام ونهى المسلمين عن عُبَيَّةَ الجاهليَّة(٦)، ومعنى عُبَيَّةَ الجاهليَّة : "أي الكبر والنخوة، يريد بهذا القول ما كان عليه أهل الجاهليَّة من التَّفاخر بالأنساب والتَّباهي بها"(٧).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر، الرسالة ط١، ١٤٢٠ هـ، ٦٥/٢٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد أحمد القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٤٨هـ، ٢٨٨/١٦.

(٣) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسِّير ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، برقم : (٢٨١٠) . ومسلم في كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، برقم (١٩٠٤).

(٤) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، مصطفى الخن ومصطفى البغا، الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٧٧م، ج١ ص٢٦.

(٥) تقدَّم تخريجه ص ٩.

(٦) انظر، تاج العروس، الزبيدي، الطبعة الخيرية، مصر، ٥٧٤/١ مادة عبب.

(٧) انظر، غريب الحديث، أبو سليمان أحمد محمد إبراهيم الخطابي، تحقيق : عبدالكريم العزباوي، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ، ٢٩٠/١.

٣- النُّعَرَةُ :

هي الصِّياح ومناداة القوم بشعارهم؛ طلباً للغوث والاستعانة، أو لإهاجتهم ولتجمعهم في الحرب، ومن هنا ورد حديث : ((ما كانت فتنة إلا نعر فيها فلان))(١)، أي نهض فيها يدعوهم إلى الفتنة ويصيح إليها(٢)، وقال في القاموس : نعر القوم : هاجوا واجتمعوا في الحرب(٣)، وفي مقاييس اللغة : نعر في الفتنة : سعى وجاء وذهب، والنعار في الفتن يسعى فيها ويصوت بالناس(٤). ولكون العرب أصحاب حسّ مرهف، وعاطفة ذات حساسية شديدة، فقد لعبت فيهم دوراً خطيراً في إثارة الفتن بهم، وكانت سبباً لحوادث مؤسفة، فإذا أصيب شخص بضيم أو نزلت بهم نازلة؛ نادى قومه بشعائر العصبيَّة، وعلى قومه تلبيته ونصرته(٥).

وتأتي أحياناً بمعنى الفزعة في عرف القبائل، حتى في وقتنا المعاصر، ويكفي فيها أن ينادي الفرد أي فرد آخر من قبيلته ويصيح فيه بشعار القبيلة؛ فيحرك فيه النخوة والنعرة، فتقبل عليه القبيلة من كل حدب وصوب إذا وقع خلاف أو احتاج لنصرة.

٤- دعوى الجاهليَّة :

وهي تداعي النَّاس إلى العصبيَّة في القتال، وإذا أرادوا إهاجة قومهم نادوا بالعصبية وتداعوا بها، وحين وقع خلاف بين الأنصار والمهاجرين في المدينة والرَّسول ﷺ فيها، فقال قوم : ياللأنصار وقال قوم : ياللمهاجرين فسمع النَّبيّ ﷺ تداعيهم وصراخهم فقال لهم :

---

(١) شرح السنة للبغوي : (٥/ ٢٣٠).

(٢) انظر، تاج العروس، مادة نعر ٣، /٥٧٧.

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة نعر، ٤٨٥/١.

(٤) مقاييس اللغة، أحمد فارس زكريا القزويني الرازي، تحقيق : عبد السَّلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، مادة نعر، ٤٤٩/٥.

(٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ٣٩٦/٧.

" دعوها فإنها منتنة " ، وسمَّاها دعوى الجاهليَّة فقال : " ما بال دعوى الجاهليَّة "(١).

قال ابن حجر(٢) " ودعوى الجاهليَّة الاستغاثة عند الحرب، وكانوا يقولون: يا آل فلان، فيجتمعون فينصرون القائل ولو كان ظالماً "(٣).

٥- الفخر والتفاخر :

ومعنى الفخر لغة : ادعاء العظم والكبر والشرف(٤)، وهو يدل على العظم والقدم، وتفاخر القوم فيما بينهم إذا افتخر كل منهم مفاخرة(٥)، وقد جاء الفخر في القرآن الكريم في خمسة مواضع، كلها جاءت في مقام الذم، إلّا أنها تكون مقرونة بصفة مقاربة من الصفات غير المحمودة كالفرح والاختيال ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠﴾ [هود: ١٠]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝٢٣﴾ [الحديد: ٢٣]، وقال الرسول ﷺ : " أنا سيد ولد آدم ولا فخر "(٦).

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوة الجاهليَّة، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما، برقم : (٢٥٨٤).

(٢) أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، المعروف بابن حَجَر العسقلاني، كان من أئمة العلم والتاريخ، ولد بالقاهرة وتوفي بها سنة ٨٥٢هـ، كانت له شهرة واسعة حيث قصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، له تصانيف كثيرة من أشهرها : (فتح الباري شرح صحيح البخاري) . انظر : الأعلام للزركلي : (١٧٨/١).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد علي بن حجر، دار الريان للتراث، القاهرة ط٢، ١٤٠٧هـ، ٦/ ٦٧٨.

(٤) النهاية في غريب الحديث والاثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الاثير، تحقيق : محمود الطناحي و طاهر الزاوي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ٤١٨/٣.

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد محمد الفيومي الحموي، المكتبة العلمية، بيروت، ٤٦٤/٢.

(٦) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق، برقم : (٢٢٧٨)، من دون زيادة (ولا فخر)، ورواه بهذه الزيادة أبو داود، كتاب السنة، باب في التخيير بين الأنبياء، برقم : (٤٦٧٣)، والترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل، برقم : (٣١٤٨). وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، برقم : (٤٣٠٨)، وصحح الألباني هذه الزيادة.

وقال ﷺ : ((إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ))(١)، فيجب على الإنسان أن يبتعد عن التظاهر أمام النَّاس بالعظمة والكبرياء، والفخر صفة ذميمة؛ لأنه مباهاة في غير محلها(٢).

٦- العنصرية :

العنصر في اللغة الأصل؛ يقال : لئيم العنصر أي الأصل، وقال الأزهري : العنصر : "أصل الحسب "(٣)، والعنصرية تعتبر عزلًا كاملًا بين مجتمع وآخر، وتتمتع بالحقوق فئة معينة وتحرم منها أخرى، وليس للتميز العنصري من مبرر سوى اضطهاد الإنسان للإنسان(٤).

إنَّ العنصرية عصبيَّة قاتلة مدمرة تسحق الإنسان وتهدّ كيانه ومقوماته هداً، وتهدر حقوقه وقيمته في مستوى التعامل والحقوق والرعاية والتكريم والمزايا(٥).

وقد حارب الإسلام العنصرية فقال ﷺ : ((يا أيها النَّاس إنَّكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي إلا بالتقوى))(٦).

٧- الشّعوبيّة :

الشّعوبية حركة تقوم على أساس عنصري يدفعها الحسد والحقد، فهي طائفة تفضل الأجناس الأخرى على العرب فبعد أن تولى العرب حمل رسالة الإسلام وإظهاره ومن شاركهم قامت الشّعوبيّة مناهضة للأمة العربية ولدولة الإسلام، وبعضهم اتصف في ظاهره بالإسلام ، ولكنه بهدف التشويه لمبادئ الإسلام وهدمه من الداخل، وإزالة السلطان العربي

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم : (٢٨٦٥).

(٢) انظر مقال : أكرم ضياء العمري، بعنوان : الفخر والتفاخر، موقع الألوكة نت، alukakh.net.

(٣) لسان العرب لابن منظور ١٠ /٣٠٢.

(٤) انظر، معجم مصطلحات عصر العولمة إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي الدار الثقافية للنشر بيروت ١٤٢٥ هـ ص ١٣٢.

(٥) العصبيَّة القبليَّة، للشيباني، ص ٣.

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند : (٤٧٤/٣٨)، برقم : (٢٣٤٨٩). وصححه شعيب الأرناؤوط.

وإحلال السلطان الفارسي، وتشويه الحضارة العربية[١]، وقال في القاموس المحيط : الشعوبي محتقر أمر العرب[٢].

وفي العصر العباسي استعمل الجاحظ لفظ الشّعوبيّة، وأطلقه على المعادين للعرب فقال : "واعلم أنك لم تر قوما أشقى من هؤلاء الشّعوبيّة ولا أعدى على دينه، ولا أشد استهلاكا لعرضه، ولا أطول نصباً، ولا أقل غنما، من أهل هذه النحلة "[٣].

وقال : إن عامة من ارتاب بالإسلام إنما جاءه ذلك من الشّعوبيّة، فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام؛ إذ كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف[٤].

ومن علامات أهل السنة كذلك التي غفل عنها كثير من المسلمين حب العرب والتشبه بهم، وحب العربية وتعلمها؛ لأنها لغة القرآن ورسول الإسلام، كثير من العادات والأعراف التي كانت عند العرب عند ظهور الإسلام هي من بقايا ملة إبراهيم عليه السلام.

قال الإمام أحمد[٥] رحمه الله معدّداً للفرق المنحرفة ومحذراً منها: (والشّعوبيّة وهم أصحاب بدعة وضلالة، وهم يقولون: إن العرب والموالي عندنا واحد، لا يرون للعرب حقاً، ولا يعرفون لهم فضلاً، ولا يحبونهم، بل يبغضون العرب ويضمرون لهم الغل والحسد والبغضة في قلوبهم، وهذا قول قبيح ابتدعه رجل من أهل العراق، فتابعه عليه يسير)، هذا مع يقيننا أن الكرم الحقيقي

---

(١) انظر، الشّعوبيّة حركة مضادة للإسلام والأمَّة العربية د عبد الله سلوم السامرائي مكتبة جزيرة الورد القاهرة ط ١ – ٢٠١٢ ص ٣ – ١١٩ – ١٣٧.

(٢) القاموس المحيط، الفيروز أبادي ١، /٨٨.

(٣) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق السندوي، طبعة الرحمانية، القاهرة، ١٩٣٢م، ١/١٦٤ – ١٦٥.

(٤) انظر : الحيوان، الجاحظ، تحقيق محمد بدر، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٥هـ، ٦٨/٧.

(٥) أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيبانيّ الوائلي، إمام المذهب الحنبليّ، وأحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس. وولد ببغداد، فنشأ منكبّا على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفارا كبيرة، وسجن وعذب في محنة القول بخلق القرآن الكريم، توفي ببغداد سنة ٢٤١ه، ومن أشهر مصنفاته : المسند . انظر : الأعلام للزركلي : (٢٠٣/١).

هو في الإيمان والتقـوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجـرات: ١٣]، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله: "فإن الذي عليه أهل السُّنَّة أن جنس العرب أفضل من جنس العجم، عبرانيهم، وسريانيهم، ورومهم، وفرسهم، وغيرهـم، وأن قريشًـا أفضـل العرب، وأن بني هاشم أفضل قريش، وأن رسول الله ﷺ أفضل بني هاشم، فهو أفضـل الخلـق نفساً، وأفضلهم نسباً"، وذهب فرقة من النَّاس إلى أن لا فضل لجنس العرب على جنس العجم، وهؤلاء يسمُّون الشّعوبيّة، لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل، كما يقـال: القبائـل للعرب، والشعوب للعجم(١).

إن استيقاظ الوطنيات الأولى التي تربط النَّاس بمذاهبهم ونحلـهم وتـاريخهم الخـاص، وتشعرهم أن الإسلام غريب عنهم، وأن أهله دخلاء، وأن لكل شعب أن يلتحق بجاهليتـه الأولى، وأن يتخلّى عن دين الله هذه هي الشّعوبيّة، ليست الشّعوبيّة التراع بين جنسين على أنَّ أيهما أحق بالسلطان، إنما الشّعوبيّة أن يزهد قبيل من النَّاس في نسبه الإسلامي، وأن يدع الاستقاء من معين الدين، مؤثرًا عليه نسبه الخاص، ومعينه القومي طاعنًا بذلك في العروبـة التي حملت الإسلام، وضائقًا بالإسلام الذي نقله من حال إلى حال(٢).

ولا بُدَّ أن تبقى العروبة وسط هالة من الإجلال، وأن تبقى أمّتها مصونة القدر، نابهـة الذكر، من أجل ذلك نحن نرد الهجوم على العرب، ونتوجس من فتح أبوابه، ونرتـاب في نيات القائمين به، ونحسب أن جلّتهم إنما يقصدون هدفًا أبعد، هو النيل من الإسلام نفسه، وإهانته بإهانة العروبة التي تحتويه، كتابًا، ونبوة، وقبلة، وتاريخًا، وثقافة(٣).

والشّعوبيّة الحديثة زادت على ذلك أشياء أخرى، لقد تحوّلت من بغضـاء للعـرب إلى بغض للغة والدين جميعًا، وأمست شاراتها المميزة الجهر بإبعاد الشَّريعة الإسـلاميَّة، وازدراء اللغة العربية، والتمرد على القيم والتقاليد التي جاء بها تاريخنا، وعاش عليها آباؤنا، وإحيـاء

---

(١) موسوعة الدين النصيحة، علي نايف الشحود، ١٥٧/٤ http://www.islamadvice.com/.

(٢) الخديعة حقيقة القومية العربية، محمد الغزالي، دار نهضة، مصر، ط ١، ص ٣٦.

(٣) المرجع السابق ص ١٣٩.

الفرعونية في مصر، والآشورية في الشام، والبربرية في المغرب وغير ذلك[(١)].

وقد أطلق أبو الفرج الأصفهاني الحكم بالشّعوبيّة على الشَّاعر إسماعيل بن يسار مولى تيم بن مرّة فقال فيه : كان شعوبياً شديد التعّصب للعجم، وله شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم، وقد كان مبتلى بالعصبية للعجم والفخر بهم، وهو الذي أنشد يقول :

إني وجدك مات عودي بذي خور ❁ عند الحفاظ ولا حوضي بمهدوم
أصلي كريم ومجدي لا يقاس به ❁ ولي لسان كحد السيف مسموم
أحمي به مجد أقوام ذوي حسب ❁ من كل قرم بتاج الملك معموم
من مثل كسرى وسابور الجنود معا ❁ والهرمزان لفخر أو لتعظيم
هناك إن تسألي تنبي بأن لنا ❁ جرثومة قهرت عز الجراثيم [(٢)]

وكان غيره من الشعراء كبشّار بن برد في قصائده في ذم العرب والفخر بالفرس، وكذلك أبي نواس السمعاني شعوبي اللسان، يتعرض للعرب في حضارهم، ويشيد بالفرس وآثارهم، وغيرهم الكثير من الشعراء الموالي[(٣)].

ثالثا : درجات العصبيَّة القبليَّة :

العصبيَّة القبليَّة لا تكون لقرابة الرجل وذوي رحمه الأدنين فحسب، وإنما تكون للقبيلة بأسرها، على تفاوت في شدة هذه العصبيَّة ودرجاها داخل القبليَّة الواحدة[(٤)]، لهذا نستطيع القول بأن شدة العصبيَّة تختلف باختلاف درجة القرابة وهي بذلك على درجتين :

١ - العصبيَّة القبليَّة العليا :

وتكون العصبيَّة القبليَّة العليا في النسب الخاص للعرب ويمكن أن نسميها العصبيَّة

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٠.

(٢) الأغاني، للأصفهاني، ٤/١٢٤.

(٣) انظر، الشّعوبيّة، للسامرائي، ٣٩ - ١٠٦.

(٤) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، ص ١٠٧.

الخالصة أو الكبرى وهي الأكثر صراحة[١] وحيث أن عصبيَّة الأسرة القريبة من أشد العصبيَّات وتخف كلما امتدت إلى الفخذ[٢].

وأقرب دم للإنسان هو دم أسرته وعلى رأسها الأبوان والإخوة والأخوات، ثم الأبعد فالأبعد، ولهذا تكون شدة العصبيَّة وقوتها تابعة لدرجة قرب الدم والنسب، وإذا ما حل حادث بإنسان فعلى أقرب النَّاس دماً إليه أن يهب لإسعافه، والأخذ بالثأر ممن ألحق الأذى بقريبه، ولهذا صارت درجات العصبيَّة متفاوتة بحسب تفاوت الدم ومنازل النسب[٣]، وعلى هذا فالعصبية العليا تبدأ من الأسرة، وتستمر حسب التقسيم الشائع في البناء والتصنيف القبلي[٤].

٢- العصبيَّة القبيلة الصغرى :

تكون العصبيَّة أقل شدة كلما أتسع وبعد الرحم دون أن يخل هذا التفاوت بوحدة القبيلة، ومن هنا نجد أن التبعات التي تفرضها العصبيَّة كالثأر مثلاً والديات في العاقلة تتناسب مع درجات القرابة[٥].

وهذه العصبيَّة بمثابة الوعاء الكبير الذي يحتوي بداخله عصبيات وهي عند العرب تتمثل بالفرعين الكبيرين اللذين تعارف عليهما علماء الأنساب والمؤرخون على تقسيم العرب إليهما وهما عدنان وقحطان[٦].

فيكون آخر مرحلة من مراحل العصبيَّة العصيبة للقبيلة عامة، والعصبية للحلف أو العصبيَّة للنسب الأكبر، وكما تشمل العصبيَّة الأحرار الخلص، تشمل بعدها الموالي

---

(١) انظر، مقدمة ابن خلدون، ٦٤.

(٢) دراسات على مقدمة ابن خلدون، ساطع الحصري، دارالكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ.

(٣) المفصل في تاريخ العرب، جواد علي، ٧/٣٩٤.

(٤) العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، د خريسات، ص ٢١.

(٥) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، ص ١٠٧.

(٦) العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، د خريسات، ص ٢١.

والعبيد[١].

رابعًا : أقسام العصبيَّة القبليَّة :

ويمكن تقسيم العصبيَّة القبليَّة إلى قسمين : العصبيَّة القبليَّة الممدوحة، والعصبيَّة القبليَّة المذمومة، فالعصبية الممدوحة ما كانت تدور مع الحق وتحث عليه وتنصر المظلوم على الظالم، أما المذمومة فهي ما تقوم على الباطل ونصرة الظالمين .

العصبيَّة الممدوحة :

وهي التي تحث على الحق ونصرة المظلوم، قال ﷺ : ((خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم))[٢]، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة " المحذور من ذلك تعصب الرجل لطائفته مطلقاً فعلى أصل الجاهليَّة فأما نصرها بالحق من غير عدوان فحسن واجب أو مستحب "[٣].

ولقد بين الله سبحانه وتعالى الحكمة من تفريق النَّاس إلى شعوب وقبائل وهي التعارف بينهم، ومسألة الحفاظ على شرف القبيلة أمر مركوز في النفس بالنسبة للمجتمع القبلي، وهو وإن كان موجودًا بالنسبة للمجتمع المدني إلا أنه لا يبلغ في العمق والصلابة ما يبلغه في المجتمع القبلي، وهذا الأمر له سلطان قوي في كبح جماح النفس عن الوقوع في حومة الرذيلة، قد يفوق سلطان الوازع الذاتي المبني على الإيمان برقابة الله عز وجل بالنسبة لضعفاء الإيمان[٤].

وهذه النظرة القبليَّة وُجدت حتى في عصر النبي ﷺ والصحابة ﷺ في مجال التنافس في الحرب ضد الأعداء، كما وقع يوم فتح مكة فقد جاءوا متمايزين كل قبيلة تحت لوائها[٥]، بينما كان المهاجرون والأنصار أوسهم وخزرجهم في كتيبة واحدة سميت بالكتيبة الخضراء

(١) المفصل في تاريخ العرب ٣٩٥/٧.

(٢) تقدَّم تخريجه ص ٩.

(٣) الفتاوى لابن تيميَّة، ج١ ص٧٢.

(٤) الأخوَّة الإسلاميَّة هي الرَّابطة العالميَّة، عبد العزيز الحميدي، ص٣٦.

(٥) وهنا إشارة إلى التنافس في الحق وهو الجهاد في سبيل الله.

لكثرة ما فيها من السلاح وفيها النبي ﷺ، وكذلك كما وقع في قتال المسلمين لمسيلمة الكذاب يوم اليمامة حيث اختلط الصحابة بمن انضم إليهم من الأعراب، فطلب منهم خالد رضي الله عنه أن يتمايزوا حتى ينشطوا في القتال، وكما وقع في حرب القادسية وغيرها حيث كانت كل قبيلة لها مكان معين وهذا تصرف حكيم من رسول الله ﷺ ، أصبح سنة للمسلمين بعد ذلك؛ لأنه تتحقق به مصلحة المسلمين في القتال[١].

ومعرفة الأنساب والقبائل أمر تقتضيه الشَّريعة، فبها يتعارف النَّاس حتى لا يعتزي أحد إلى غير آبائه، ولا ينتسب إلى سوى أجداده، وعلى ذلك تترتب أحكام الورثة، فيحجب بعضهم بعضاً، وأحكام الأولياء في النكاح، فيقدم بعضهم على بعض، وأحكام الوقف إذا خص الواقف بعض الأقارب أو بعض الطبقات دون بعض، وأحكام العاقلة في الدية على بعض العصبة دون بعض، وما يجرى مجرى ذلك فلولا معرفة الأنساب لفات إدراك هذه الأمور، وتعذر الوصول إليها[٢].

إن كل أمر تحمل عليه الكافة فلا بُدَّ له من العصبيَّة، وفي الحديث الصحيح : « ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه »[٣]، وإذا كان هذا في الأنبياء وهم أولى النَّاس بخرق العوائد، فما ظنك بغيرهم ألا تخرق له العادة في الغلب بغير عصبيَّة[٤].

وإن الله ما بعث نبياً بعد لوط عليه السلام إلا في منعة من قومه ومنعة من عشيرته[٥]، فقال الله تعالى عن لوط عليه السلام : ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ [هود: ٨٠]، وهنا العصبيَّة القبليَّة تنفع وتكون محمودة في النصرة على الحق، وقال الله تعالى عن

---

(١) الأخوَّة الإسلاميَّة هي الرَّابطة العالميَّة، عبد العزيز الحميدي، ص٣٧.

(٢) نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، أحمد بن عبد الله القلقشندي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط٢ ١٤٠٠هـ، ص ٦- ٧.

(٣) رواه أحمد في المسند : (٥٢٥/١٦) ، برقم : (١٠٩٠٤). وصححه شعيب الأرناؤوط.

(٤) مقدمة ابن خلدون، ١٥٥.

(٥) العقد الفريد، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، ج ٢ ص١٨٣.

شعيب عليه السلام : ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾ [هود: ٩١]، فنفعت هنا القرابة والرحم، وقال الله كذلك عن صالح عليه السلام: ﴿ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النمل: ٤٩]، فالقبيلة تصنع كثيرا من الأحيان نوعاً من الوحدة والقوة.

إن العصبيَّة القبليَّة كان لها الأثر الكبير في مجريات الأحداث في عهد النبي ﷺ بدءاً من دار الأرقم المخزومي ومكانته وبيته وبحكم القرابات الاجتماعيَّة وعصبيّة الدم تمكن المسلمون من التحصن بهذه الدار بأمن وسلام، وكانت حماية أبي طالب عم الرسول ﷺ له قائمة على العصبيَّة القبليَّة حتى تمكن من تأسيس دعوته ﷺ، وكان للعصبيَّة دور لا يخفى في نقض صحيفة المقاطعة وفك حصار الشعب سواءً لحكيم بن حزام الأسدي لقرابة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، حيث كان يقوم بتحويل العير إلى شعب أبي طالب محمّلة بالحنطة، أو لهشام بن عمرو بن الحارث؛ لأنه كان أخاً لنظلة بن هاشم بن عبد مناف لأمّه، وقام هشام بتحميس أقارب وعصبات بني هاشم حتى نقضت الصحيفة(١).

و لم يكن الرسول ﷺ وحده الذي حمته العصبيَّة القبليَّة، فهذا أبو بكر رضي الله عنه عندما ضربه عتبة بن ربيعة قالت تيم : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن به عتبة. وهشام بن الوليد بن المغيرة رفض تسليم أخيه الوليد بن الوليد و ـــ كان قد أسلم ـــ إلى بني مخزوم و لم يكتفِ بذلك، فقال: احذروا على أنفسكم، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلاً(٢)، وأنقذت العصبيَّة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد ائتمرت قريش بقتله، فقال بعضهم : أترون بني عدي يسلمون صاحبهم ؟ فعدلت قريش عن ذلك(٣).

ومن إيجابيات العصبية عند القبائل : تعظيم الأشهر الحرم؛ والتي فيها يأمن الناس على أنفسهم وأموالهم، وينصرفون إلى الزيارة والحج والعمرة وإقامة الشعائر التعبدية، ويكثر البيع ومواسم الشراء وافتداء الأسرى، ودفع ديات القتلى، وفي هذه الأشهر الحرم يحرم القتال والعدوان فيها، وقد جاء الإسلام وأقر ذلك، قال ﷺ : « ألا إنَّ الزَّمان استدار كهيئته يوم

(١) انظر العصبيَّة في صدر الإسلام، د خريسات، ص ١١٥ – ١٢٨.

(٢) السيرة، ابن هشام، ج ١ ص ٣٢١- ٣٤٤.

(٣) السيرة الحلبية، علي إبراهيم أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ، ج١ ص٤٧٥.

خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات : ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب مضر بين جمادى وشعبان، ثم قال : أي يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال : أليس هذا يوم النحر ؟ قلنا : بلى، ثم قال : أي شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال : أليس هذا ذا الحجة ؟ قلنا : بلى، قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، وستلقون ربكم ويسألكم عن أعمالكم، ألا لا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا هل بلغت ؟ ألا فيبلغ الشاهد منكم الغائب))[1].

ومن الآثار والمبادئ الإيجابية المعترف بها في المجتمع القبلي القِرى وإكرام الضيف حتى أصبح عرفاً قائماً، فكل من كان مسافراً و لم يجد مأوى أو طعامًا استضيف ، ويعدّ ذلك من المفاخر والمآثر عند القبائل، ومن الآثار أيضاً المصاهرة بين القبائل خصوصاً المتجاورة فاتخذت بينهم الصلات والتي ارتبطت معها روابط القرابة والصلة والرحم[2].

ونجد أن القبيلة تحرص على التماسك والتعاضد فيتعلق الرجل بقبيلته ويحافظ عليها ويسير في ركابها ويطوي كل خلاف بينه وبين بني عمه كما قال المقنع الكندي[3] :

وإن الذي بيني وبين بني أبي ❁ وبين بني عمي لمختلف جدا
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم ❁ وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم ❁ وإن هم هووا غيي هويت لهم رشدا
وليسوا إلى نصري سراعاً وإن ❁ هم دعوني إلى نصر أتيتهم شدا

---

(١) رواه مسلم ، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص ... ، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ، برقم : (١٦٧٩).

(٢) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، النص، ٨٧-٨٨.

(٣) هو : محمد بن عميرة بن أبي شمر بن فرعان بن قيس بن الأسود بن عبد الله الكندي، شاعر، من أهل حضرموت. مولده بها في (وادي دوعن) . اشتهر في العصر الأموي. وكان مقنعا طول حياته، و(القناع من سيما الرؤساء)، توفي سنة ٧٠ه، انظر : الأعلام للزركلي : (٦/ ٣٢٠).

وإن زجروا طيري بنحس يمر بي ❁ زجرت لهم طيراً يمر بهم سعدا
لهم جل مالي عن تتابع لي غنى ❁ وإن قّل مالي لم أكلفهم رفدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم ❁ وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا [(١)]

ومن الآثار الاجتماعيَّة الحميدة لدى المجتمعات القبليَّة الترابط والتكافل الاجتماعيّ والتعاون ورعاية الأيتام والمساهمة في إعانة الزواج .

ومن مبادرات بعض القبائل الإيجابية : إنشاء الصناديق التعاونية، والتي لها أثر إيجابي ونافع؛ انطلاقاً من مبدأ التعاون على البر والتقوى في جميع ما تحتاجه القبيلة وأفرادها، بشرط أن لا يكون فيه إجبار على غير القادر ومن لا يستطيع دفع الدعم الدوري أو السنوي[(٢)].

العصبيَّة المذمومة :

وهي التي تقوم على الباطل ونصرة الظالمين، وقد ذمّ الإسلام هذا النوع من العصبيَّة القبليَّة بآيات وأحاديث عديدة سيأتي الحديث عنها بالتفصيل في علاج القرآن الكر يم والسنة النبوية[(٣)] للعصبيّة ، نذكر منها قوله ﷺ : ((العصبيَّة أن يعين الرَّجُل قومه على الظلم))[(٤)].

ولها شعارات عديدة من أشهرها الشعار الجاهلي (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) ، والذي بينه الرسول الكريم ﷺ، وقام فيه بإعلاء العصبيَّة القبليَّة ((قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ قال : تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره)) وفي

---

(١) انظر ديوان الحماسة لأبي تمام، ٣/١٧١.

(٢) المقصود بصندوق القبيلة هو : وعاء اعتباري تواضع عليه كثير من القبائل يجمعون فيه مبلغاً من المال تأسيسياً ودعماً سنوياً أو شهرياً بالتساوي بينهم بالشروط الموضوعة يستثمرونه ويصرفون منه ومن أرباحه في دفع الديات الواجبة على أحد أعضائه جراء حوادث السيارات وغيرها وقد يصرف منه على بعض المصالح المادية والمعنوية المتعلقة بالقبيلة. انظر، صندوق القبيلة أحكامه وضوابطه وعلاقته بالعاقلة، د صالح علي الشمراني، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشَّريعة والدراسات الإسلاميَّة، عدد ٥٠، رجب ١٤٣١هـ، ص١٨٢.

(٣) في ص ٢٨٣ من هذا البحث .

(٤) سبق تخريجه ص ١٩.

رواية أخرى : « تأخذ فوق يديه »[(١)].

وهذا النوع من العصبيَّة سيكون أغلب مدار دراستنا هذه ومحورها ، من حيث الأسباب والوسائل والآثار، وكذلك الدور الوقائي والعلاجي، وهذه هي فصول الدِّراسة بإذن الله، وهذا لا يعفينا من ذكر ما كان ممدوحاً، وذلك في موضعه الذي يحتاج إليه .

خامساً : تصنيف القبائل :

اعلم أن للأقارب أسماء تجمع بها وترتبط بها على حسب تباعد أنسابها وتقاربها، وقد ورد في القرآن الكريم أسماء خمسة من تصانيف القبائل وهي : الشعب والقبيلة والعشيرة والرهط والفصيلة كل هذه الأسماء وردت في كتاب الله جل وعلا[(٢)].

وقال مؤلف نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب " وفي معرفة طبقات الأنساب وما يلحق بذلك عند أهل اللغة ست طبقات، الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة، وبالجملة فالفخذ يجمع الفصائل، والبطن يجمع الأفخاذ، والقبيلة تجمع العمائر، والشعب يجمع القبائل"[(٣)].

قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣]؛ جاء في الجامع لأحكام القرآن : الشعوب رأس القبائل، مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج، وحكى أبو عبيد عن ابن الكلبي عن أبيه : الشعب أكبر من القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ[(٤)]، وقال ابن كثير : الشعوب أعم من القبائل وبعد القبائل مراتب أخر كالفصائل والعشائر

---

(١) روى البخاري كلا الروايتين، الرواية الأولى، كتاب الإكراه، باب، برقم : (٦٩٥٢)، والرواية الثانية، كتاب المظالم والغصب، باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما، برقم : (٢٤٤٤).

(٢) المنح الوهبية في ذم القبليَّة والعصبية، عثمان شيخ عمر الصومالي، راجعه وصححه : عبدالناصر حسين، ط٢، ١٤٢٨هـ، ص ١٠٩.

(٣) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب لأبي العباس أحمد القلقشندي تحقيق إبراهيم الأبياري دار الكتاب اللبناني بيروت ط ٢ ١٤٠٠.

(٤) تفسير القرطبي، ١٦/٣٤٠.

والعمائر والأفخاذ وغير ذلك، والمراد بالشعوب بطون العجم، والقبائل بطـــون العـــرب، والأسباط بطون بني إسرائيل[١].

وقد اختلف علماء النسب في عدد المراتب، فمنهم من عدها سبعًا ومنهم مـــن عـــدها عشرًا ولعل الأقرب " أن العرب كلها ترجع إلى أصلين : عدنان وقحطان وكان الملـــك في الجاهليَّة لقحطان حتى نقله الإسلام إلى عدنان، ولكل واحد منهم فروع اتفقت العرب فيما نقل إلينا على جعلها ست طبقات، وكذلك عدها أهل اللغة "[٢]، والمراتب تكون كالتَّالي :

الشَّعب : بفتح الشين وهو النسب الأبعد كعدنان وقحطان مثلًا وقال الجوهري : وهو أبو القبائل الذي ينتسبون ويجمع على شعوب، وقال الماوردي[٣] في الأحكام الســـلطانية : وسمي شَعبا؛ لان القبائل تتشعب منه.

القبيلة : وهي ما انقسم فيها الشعب كربيعة ومضر، قال الماوردي : وسميت قبائـــل؛ لتقابل الأنساب فيها، وربما سميت القبائل جماجم أيضا، وقال الجوهري جماجم العرب هـــي القبائل التي تجمع البطون.

العمارة : بكسر العين وهي ما انقسم فيه أقسام القبيلة كقريش وكنانة وتجمـــع علـــى عمارات وعمائر.

البطن : وهو ما انقسم فيه أقسام العمارة كبني عبد مناف وبني مخزوم، ويجمـــع علـــى بطون وأبطن.

الفخذ : وهو ما انقسم فيه أقسام البطن كبني هاشم وبني أمية ويجمع على أفخاذ.

---

(١) تفسير ابن كثير، ٣٨٥/٧.

(٢) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب محمد أمين البغدادي المشهور بالسويدي منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي، ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد وتوفي بها سنة ٤٥٠هـ، كان من علماء المذهب الشافعي، وولي القضاء في بلدان كثيرة، وله تصانيف كثيرة نافعة، من أشهرها : الحـــاوي في الفقه الشافعي، والنكت والعيون . انظر : الأعلام للزركلي : (٣٢٧/٤).

الفصيلة : وهي ما انقسم منه أقسام الفخذ كبني العباس وبني أبي طالب[(١)].

وفي هذا المعنى قال الشَّاعر :

اقصد الشعب فهو أكثر حي ❀ عددا في الحواء ثم القبيلة
ثم يتلوهما العمارة ثم الـ ❀ بطن والفخذ بعدها والفصيلة
ثم بعدها العشيرة لكن ❀ هي في جنب ما ذكرنا قليلة [(٢)]

سادساً : طبقات القبيلة

كانت القبيلة العربية وحدة الحياة الاجتماعيَّة كما كانت وحدة الحياة السِّياسيَّة، وكانت كل قبيلة تؤمن بوجود رابطة تجمع بين أفرادها على أساس من وحدة الدم ووحدة الجماعة، وفي ظل هذه الرابطة وفي ظل القانون العرفي الذي نشأ على أساسها انقسم المجتمع القبلي إلى طبقات اجتماعية ثلاث[(٣)]:

طبقة الأحرار الصرحاء :

وهي الطبقة التي يعتبر أفرادها بنية القبيلة، فهم أبناؤها الذين يجمعهم نسب واحد ودم مشترك لم تلحقه هجنة، وكانت هذه الطبقة تتمتع بحقوق مدنية كثيرة، يقابلها كثير من الواجبات، نظمها القانون العرفي على أساس من التضامن التام بين الفرد والجماعة، فالحر يتمتع بحماية القبيلة حيًّا وميتًا، فهي المسئولة عن أي جريرة يرتكبها أحد أبنائها، وعليها واجب الانتصار له مظلومًا، والوقوف إلى جانبه ظالما، وكان يكفي أن يستغيث فإذا السيوف مصلتة والرماح مشرعة، وهكذا تسبغ القبيلة حمايتها كاملة عليه حيًّا، أما حمايته ميتًا، فإنها تأخذ بثأره إذا قتل ولا تترك دمه يطل[(٤)].

---

(١) انظر، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، محمد أمين البغدادي المشهور بالسويدي، ص ١٣.

(٢) انظر، محاسن التأويل، محمد جمال الدين محمد سعيد قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق : محمد السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ١٥/١٣٦.

(٣) مكة والمدينة في الجاهليَّة وعصر الرسول، أحمد الشريف، دار الفكر العربي، ص ٣٥.

(٤) مكّة والمدينة في الجاهليَّة وعصر الرسول أحمد الشريف ص ٣٥.

وهي الطبقة الممتازة التي لها الصدارة في القبيلة وتحظى بامتيازات لا يظفر بها سواها وتنظر إلى سائر الطبقات نظرة تنطوي على التعالي والإحساس بالتفوق والتمايز(١).

طبقة الموالي :

والمولى: الولي والقريب والحليف وابن العم والعم والتزيل والمعتق والجار والشريك(٢)، فللفظة إذن معانٍ عديدة، والمولى: العبد، أي: المملوك الذي يمن عليه صاحبه، بأن يفك رقبته فيعتقه، ويصير المملوك بذلك مولى لعاتقه(٣)، وقيل هم من انضموا إلى القبيلة من العرب الأحرار من غير أبنائها عن طريق الجوار أو الحلف أو العتقاء من الأرقاء فيها(٤).

والموالي أنواع، موالي عتق وهو الرقيق أو الأسير الذي تفك رقبته بعتقه، كأن يشتري رجل مملوكًا فيشتريه فيعتقه، وفي جملة ما كان يفعله الجاهليون في مقابل فك رقبة المملوك اشتراطهم على المملوك عمل يعيَّن له، فإن قام به وأتمه أعتقت رقبته، ويصير مولى لمعتقه إن شاء، وله الخيار في أن يختار غير سيده مولى له، إن اشترط ذلك على سيده، أو اشترط سيده عليه ذلك الشرط، وقد يقع الاختيار على ذلك بعد وقوع العتق، ومن الموالي: موالي مكاتبة، وذلك بأن يشترط في عقد البيع، أن العبد يكاتب على نفسه بثمنه، فإذا سعى وأدّاه عتق ، وذُكر أيضًا أن المكاتبة : أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجَّمًا، فإذا أداه صار حرًّا(٥).

طبقة العبيد والرقيق :

وهم المجلوبون عن طريق الشراء أو أسرى الحروب، كان في المجتمع العربي طبقة كبيرة من الأرقاء، وكانت كل قبيلة لا تخلو من أفراد من الرقيق من الرجال والنساء، البيض

---

(١) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، ص ٦٦.

(٢) تاج العروس، الزبيدي، ٣٩٨/١٠.

(٣) المفصل في تاريخ العرب، جواد علي، ٣٦٦/٧.

(٤) مكّة والمدينة في الجاهليَّة وعصر الرسول، أحمد الشريف، ص ٣٥.

(٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ٣٦٦/٧.

والسود على السواء. والمصدر الأصلي للرقيق هو الحرب، فالقبيلة التي تنتصر على الأخرى تأخذ الأسرى وتستعبدهم، وإلى جانب الحرب وجد الاتجار بالرقيق، وكان هذا النوع من الاتجار شائعًا، فكان العرب يأتون بهم من شواطئ أفريقيا ويبيعونهم في أسواق العرب بالمال، وإذا لاحظنا أنهم يؤخذون بالعنف، تبينا أن الحرب والغزو والقوة هي السبب الأول، كما كانت القبائل المنتصرة تتصرف في بعض الأحيان في أسراها بالبيع(١).

ونظام الرق من الأنظمة التي عرفتها جلّ الأمم في العصور القديمة، والعبد ملك لمولاه هو وأسرته وما يملك من مال أو متاع، وله أن يبيعه أو يهبه، وحين جاء الإسلام أقر مبدأ الاسترقاق الذي عرفه المجتمع القبلي في العصر الجاهلي، وسبى الرسول ﷺ في بعض غزواته نساء المشركين وذراريهم، وقسمهم على المسلمين(٢).

والإسلام جاء والرقّ معترف به في جميع أنحاء العالم، بل كان عُملة اقتصادية واجتماعية لا يستنكرها إنسان، ولا يفكر في إمكان تغييرها أحد، وكان موقف الإسلام هو تخفيف منابع الرق القديمة كلها، فيما عدا منبعٍ واحدٍ هو منبع استرقاق الأسرى في حرب شرعية إذا رأى إمام المسلمين مصلحة فيه، وله أن يعدل عن الاسترقاق إلى ثلاثة خيارات هي : المنّ (إطلاق سراحهم دون مقابل)، أو الفداء (إطلاق سراحهم بمقابل)، وفي هذا يقول تعالى : ﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ [محمد: ٤]، أو يكون القتل، قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنفال: ٦٧]، ووضع الإسلام الوسائل الإيجابية في تحريره والترغيب في ذلك، ورتب كذلك أسساً عظيمة للتعامل مع الرقيق، ولم يترك الأمر مبهماً(٣).

سابعًا : لمحة تاريخية لظهور العصبيَّة القبليَّة في الأمم السَّابقة :

إن العصبيَّة لم تكن وليدة العصر، بل هي قديمة قدم الإنسان، وقد أشار القرآن الكريم إلى بداية ظهور العصبيَّة، فإبليس وضع اللبنة الأولى للعصبيَّة عندما رفض امتثال أمر الله

(١) انظر : سيرة ابن هشام، ٢٣٤/٣.

(٢) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، ص ٧٠.

(٣) انظر نظام الرق في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، دار السلام للنشر، ط ٥، ٢٠٠٤، ص ١١- ٤٣.

الخالق جل وعلا بسبب حسده لآدم عليه السلام، وظن أن الله تعالى فضله عليه[١]، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[ص: ٧١ - ٧٢]، قال ابن كثير : "كأنه امتنع عن الطاعة لأنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول، وأنا خير منه فكيف تأمرني بالسجود له ؟ ثم أنه خير منه خلق من نار والنار أشرف مما خلقته منه وهو الطين، فنظر اللعين إلى أصل العنصر، و لم ينظر إلى التشريف العظيم، وهو أن الله خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه "[٢].

إن العصبيَّة والتفرقة العنصرية ليست جديدة على المجتمع البشري، بل هي ضاربة في التاريخ عند المجتمعات السَّابقة، وهي من أقوى الأسباب التي تؤدي إلى التزاع والصراع، والبغضاء ونشر الأحقاد، فهي لا زالت قائمة، وتزداد يوماً يعد يوم في أغلب مناطق العالم[٣].

ولا يعرف فضل الإسلام ومبدأ الأخوّة الإيمانية إلا من كان له سابق اطّلاع ومعرفة عما جرى في الأمم السَّابقة، من تعصب مقيت، مبني على الكبر والاستعلاء، وكما قيل "وبضدها تتمايز الأشياء" ، وما يهمنا في هذا الجزء (اللمحة التاريخية) الوقوف على واقع الأمم الماضية، من حيث العصبيَّة ؛ التي تنقطع بها الروابط الاجتماعيَّة والعلاقات، وما هو المقياس الحقيقي لتلك الروابط، وكما قال ﷺ : « إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلاَّ بقايا من أهل الكتاب »[٤]، وفيما يلي نقف باختصار عند واقع العصبيَّة في الأمم السَّابقة :

---

(١) دور التربية الإسلاميَّة في مواجهة العصبيَّة، حجراف، ص ٥٨.

(٢) تفسير ابن كثير، ٢/٢٧٤.

(٣) العنصرية عند الأمم وموقف الإسلام منها، عابد سليمان المشوخي، بحث غير منشور، ماجستير من قسم الثّقافة بكلية الشَّريعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة، " النتائج والخاتمة "، ١٤٠٥ – ١٤٠٦هـ.

(٤) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم : (٢٨٦٥).

أولاً : اليونان

ظهرت النزعة العصبيَّة والعنصرية عند اليونان من خلال نظرتهم للشعوب القريبة منهم، فكانوا ينظرون إلى الرومان والفرس على أنهم همج برابرة، وحيوانات متوحشة، لا نصيب لها في الإنسانية، ويرجع ذلك إلى انتصارات ملوك اليونان على ملوك الفرس، من زمن الإسكندر المقدوني وإلى سيطرة اليونان الثقافية على الشعوب الرومانية(١).

ووصف اليونان كان خاصاً بسكان مدينتي أثينا وإسبارطة، ولهم وحدهم التمتع بالحقوق المدنية كاملة، أما أفراد الشعوب الأخرى فهم مجرّدون من جميع الحقوق إذا كانوا من طبقة الرقيق، أو من كثير من هذه الحقوق إذ كانوا من طبقة الموالي، و لم تكن لهم في اليونان مترلة غير هاتين المترلتين(٢).

ثانياً : الرومان

وأما الرومان ؛ فقد اعتبروا أنفسهم أوصياء على الإنسانية كلها، وبسطوا سلطانهم بحد السيف على الكثير من شعوب الدنيا، واستعملوا في سبيل ذلك كل الوسائل التي توصلهم إلى ما يبتغونه، سواء أكانت هذه الوسائل شريفة أم حقيرة، واستطاعوا في النهاية أن يسيطروا على معظم أجزاء العالم، معتبرين أنفسهم سادته، و لم تكن قوانينهم ونظمهم تساوي بين الرومان وغيرهم من سائر الشعوب التي يتحكمون في مصائرها، وإنما يعتبرون غير الروماني طبقة أدنى من طبقة الرومان، ليس له الحقوق التي يتمتع بها هؤلاء، وإنما قد خلق ليكون رقيقاً يخدم فقط، وليس من حقه التطلع إلى ما وراء ذلك(٣).

ولذلك فإنهم انطلاقاً من هذا المعتقد وضعوا نوعين متباينين من القوانين، أحدهما : القانون المدني، وهو خاص بالشعب الروماني نفسه. وثانيهما : قانون الشعوب، وهو خاص بسكان البلاد التي احتلها الرومان(٤).

---

(١) انظر، العنصرية عند الأمم، المشوخي، ص ٤٠.

(٢) انظر، نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري، عمرعوده الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٣٩٥هـ، ص٣٧.

(٣) انظر، مقال : نقد فهم المساواة، فؤاد العبدالكريم، موقع المسلم، ١٤٢٨/٤/٥هـ، http://www.almoslim.net/node/82345.

(٤) المرجع السابق.

وكان المبدأ الروماني يقوم على أساس تقديس الوطن الروماني والشعب الروماني، أما الأمم والبلاد الأخرى فليست إلا عروقا يجري منها الدم إلى روما، ولا تستحق أن تحكم نفسها بنفسها، أو تتمتع بأي حق من حقوقها في أرضها، وحسبها أن تقوم بخدمة الإمبراطورية، وأن تقوم شعوبها بمهمة الناقة الركوب، أو البقرة الحلوب للعنصر الروماني الرفيع، وليس لها أن تنال أكثر من أن يقدم لها من العلف إلا ما يقيم صلبها ويدر ضرعها(١).

فالدولة الرومية كانت تتنازعها الخلافات الدِّينيَّة العقيمة، وكان من جراء هذا الخلاف العقائدي أن وقعت صراعات عنيفة، واضطهاد فظيع من قِبل الدولة الرومية للأقباط المصريين، ولم يخلصهم من هذا الاضطهاد إلا الفتح الإسلامي(٢)، أما ما اشتهر عن الرومان من العدل فهو لأنفسهم فقط، أما من تحت أيديهم من الشعوب فإنهم يستغلونها لترفيه الطبقة الممتازة منهم(٣).

ثالثاً : الفرس

عرف عن الفرس منذ قديم الزمان النظام الطبقي، والذي يعد من أهم أنواع العصبيَّات وأشدها، ومن أشهر أنواع التوزيع الطبقي عند الفرس : ما حصل في عهد الملك جمشيد الذي صنف النَّاس إلى أربع طبقات وهي : الطبقة المقاتلة، وطبقة الفقهاء، وطبقة الكُتّاب والصناع والحراثين والفلاحين(٤).

وفي بلاد الفرس، كانت الأكاسرة ملوك فارس، يدّعون أنه يجري في عروقهم دم إلهي، وكان الفرس ينظرون إليهم كالآلهة، ويعتقدون أن في طبيعتهم شيئاً علوياً مقدساً، فكانوا ينشدون الأناشيد بألوهيتهم، ويرونهم فوق القانون، وفوق الانتقاد، وفوق البشر، لا يجري

---

(١) انظر، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوي، مكتبة المنصورة، مصر طبعة جديدة شرعية، ص٦٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر، الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ص٣٨.

(٤) انظر، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، بكري حسين محمد الديار، المطبعة الوهابية، ج١ ص٧٦.

اسمهم على لسانهم، ولا يجلس أحد في مجلسهم، ويعتقدون أن لهم حقاً على كل إنسان، وليس لإنسان حق عليهم. وكذلك كان اعتقادهم في البيوتات الروحية، والأشراف من قومهم، فيرونهم فوق العامة في طينتهم، وفوق مستوى النَّاس في عقولهم، ونفوسهم، ويعطونهم سلطة لا حد لها، ويخضعون لهم خضوعاً كاملاً[١].

ثم يبالغون في تمجيد القومية الفارسية، ويرون أن لها فضلاً على سائر الأجناس والأمم، وأن الله خصها بمواهب ومنح لم يشرك فيها أحدًا، وكانوا ينظرون إلى الأمم من حولهم نظرة ازدراء وامتهان، ويلقبونها بألقاب فيها الاحتقار والسخرية[٢].

ويتبين ذلك جليا في المحاورة العالية التي جرت بين قائد الفرس وبين المغيرة بن شعبة حيث قال : قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام، ولا أرى قوما أسفه منكم، إنا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضا إلا أن يكون محاربا لصاحبه، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى، فكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، فإن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه أحد، وإني لم آتكم ولكن دعوتموني، اليوم علمت أن أمركم مضمحل، وأنكم مغلوبون، وأن مُلكًا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول، فقالت السفلة : صدق والله العربي، وقالت الدهاقين : والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون إليه، قاتل الله أوّلينا ما كان أحمقهم حين كانوا يصغِّرون أمر هذه الأُمَّة[٣].

رابعاً : الهنود

لا يعرف تاريخ العالم نظاماً أشدّ قسوة على الإنسان واستهانة بكرامته وهدراً لقيمته من النظام الذي اعترفت به الهند دينياً ومدنياً، وخضعت له آلافاً من السنين، حيث تكون النظام الطبقي الذي وضع بعض السلالات في الطبقة الدنيا، ونفى طبقة أخرى من البشر من البنية

(١) انظر، مقال : نقد فهم المساواة، العبدالكريم، ص ٢.

(٢) انظر، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوي، ص ٤٥.

(٣) التاريخ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ، ٣ /٥١٧ - ٥٢٠.

الاجتماعيَّة أصلاً، وهي طبقة المنبوذين مقابلاً لطبقة السادة وهي الطبقة الممتازة[١].

إنَّ من أشدّ الأنظمة الطَّبقيَّة وأعظمها جورًا هو القانون المعمول به في الهند في العصر الجاهلي، ولا يزال حتى الآن، وهو المعروف الآن بـ "منوشاستر" حيث يقسم أهل البلاد إلى أربع طبقات وهي :

١ – البراهمة وهم الكهنة ورجال الدين .

٢ – شتَّرى وهم رجال الحرب .

٣ – ويش وهم رجال الزراعة والتجارة .

٤ – شَودَرْ وهم رجال الخدمة .

وقد رفع هذا القانون شأن البراهمة وجعل لهم امتيازات وحقوقا ألحقتهم بالآلهة، ووضع من شأن الطبقة الرابعة، حتى عدَّهم أحط من البهائم ومن الشَّرف لهم أن يقوموا بخدمة البراهمة[٢].

خامساً : اليهود

يزعم اليهود أنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن ما عداهم من بني الإنسان ليسوا إلا كالحيوانات لهم، وجاءت بروتوكولات حكماء صهيون تأكيداً لهذه النزعة، وتجديداً لأهدافها في السيطرة والنفوذ، والتحكم بمصائر شعوب العالم[٣].

عرف اليهود منذ القدم بعصبيتهم واحتقارهم للشعوب الأخرى، وقد كانت بداية عصبيتهم عندما حرّفوا كتابهم التوراة، وذلك حين رأوا في أثناء الأسر في بابل العراق إدبار الدنيا عنهم بزوال ملكهم، وخشيتهم من إقبالها على بني عمومتهم العرب نسل إسماعيل عليه السلام، وعلى رأسها البشارة ببعثة النبي محمد ﷺ لقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ

---

(١) نظرات إسلاميَّة في مشكلة التمييز العنصري، عمر الخطيب، ص٤٦.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوي، ص ٤٩ – ٥٠.

(٣) نظرات إسلاميَّة في مشكلة التمييز العنصري، عمر الخطيب، ص٥٤.

وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فرأوا أن يحتفظوا بكيان مستقل إلى الأبد، حيث شكلوا لجنة العلماء، وتضمن ما كتبوه لمبادئ العصبيَّة والعنصرية المقيتة، ومنها أن الله اختار العنصر اليهودي وحده دون سائر العناصر البشرية التي خلقها الله من غير اليهود(١).

ومن معتقداتهم : وصفهم غير اليهود أنهم بمترلة الحيوانات، وأنهم مسخرون لخدمتهم، وأن اليهودي أفضل الأجناس على الإطلاق، يقول ناحوم سوكولوف : " إن جنس الأُمَّة اليهودية هو أفضل الأجناس جميعاً "(٢).

سادساً : النَّصارى :

إن معرفة تصور الديانة النَّصرانيّة الكامل للإنسان من خلال النصوص الدِّينيَّة عندهم أمر تكتنفه صعوبات كثيرة ؛ بسبب اختلافهم الشَّديد حول هذه النصوص، وما قررته الكنائس المختلفة ورجال الدين من الطوائف النَّصرانيّة، كالخلاف حول طبيعة المسيح عليه السلام، فكانت طائفة منهم تعتقد بازدواج طبيعة المسيح بين البشرية والإلهية وهي الطائفة (الملكانية) التي هي مذهب حزب الدولة، والطائفة الثانية (المنوفيسية) وهي حزب القبط المصريين؛ القائلين بأن للسيّد المسيح طبيعة واحدة وهي الإلهية التي تلاشت فيها طبيعة المسيح البشرية(٣).

وحول هذا الاختلاف أراد الإمبراطور هرقل جمع القول على المذهب المنوثيلي مذهباً رسمياً للدولة، وبعث إلى جهات العالم الشرقي، ولكن الرسالة لم تهدئ العاصفة في مصر، فوقع اضطهاد فظيع على يد قيرس في مصر، استمر عشر سنين وقع خلالها ما تقشعر منه

---

(١) العنصرية اليهودية وأثرها على المجتمع، أحمد عبد الله الزغيبي، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٧ هـ، ٦٦-٦٧.

(٢) العنصرية والفصل العنصري في جنوب إفريقيا واسرائيل، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٧م، ص ٢٣.

(٣) نظرات إسلاميَّة، للخطيب، ص ٥٨ - ٦٤.

الجلود، فرجال كانوا يُعذّبون ثم يقتلون إغراقاً، وتوقد المشاعل وتسلط نارها على الأشقياء حتى يسيل الدهن من الجانبين إلى الأرض، ويوضع السجين في كيس مملوء من الرمل ويرمى به في البحر، إلى غير ذلك من الفظائع[١].

وقد قُسِّم النَّاس في المجتمع النَّصرانيّ إلى ثلاث طبقات وهي :

- طبقة رجال الدِّين، وهي طبقة المصلين، وقد وجد التفاوت الطبقي بين الرهبان والقساوسة في المستوى الاجتماعيّ، فمنهم أبناء أسياد ونبلاء يعيشون في رفاهية، وبين رجال دين ضعفاء قائمين على الخدمة الروحية في الأرياف وأكثرهم أبناء الفلاحين .
- طبقة المحاربين وهم من أسند إليهم مهمة الدفاع عن البلاد، ولا يقبل في هذه الطبقة إلّا من يملك المال والسلاح وبعدها أسست لطبقة وراثية تعتمد على النسب وحده فورث أبناء الفرسان صفة الفروسية وحق لهم دون غيرهم من النَّاس الانخراط في المعارك.

طبقة الفلّاحين وهذه الطبقة مهمتها خدمة الطبقتين السابقتين رجال الدين والمحاربين وهي الزراعة وفرض عليهم من يحميهم ويقودهم ويعاقبهم، وهم للأعمال الشاقة والمتعبة[٢].

سابعاً : العرب قبل الإسلام

أما العرب في الجاهليَّة فقد كانوا في فوضى واضطراب وتناحر، وكان انعدام الرابطة الإنسانية بينهم أشد خطرا عليهم وأبلغ ضررا من الأمم الأخرى؛ نظرا لوجود الحكومات في هذه الأمم التي تمنع من وقوع الحروب بين رعيتها أو تخفف من ذلك على الأقل، أما العرب فلم يكونوا يعرفون نظام الحكم الشامل، بل كانت كل قبيلة تحكم نفسها بنفسها بمقتضى أعراف وتقاليد اتفقوا عليها[٣].

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوي، ص ٣٣- ٣٤.

(٢) انظر العنصرية عند الأمم، للمشوخي، ٢٤٤.

(٣) الأخوَّة الإسلاميَّة هي الرَّابطة العالميَّة، للحميدي، ص ١٣.

تُعدّ القبيلة الوحدة السِّياسيَّة، عند العرب في الجاهليَّة؛ ذلك لأنّ القبيلة هي جماعة من النَّاس ينتمون إلى أصل واحد وينحدرون من أب واحد. والواقع أنّ الذي يجمع أفراد تلك الجماعة فيما يسمى القبيلة إنما هو الشعور بذلك الانتماء، وهذا الشعور يدعى العصبيَّة[١]، كان مجتمع شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ينقسم إلى عرب : وهم سكان المدن والمراكز الحضرية، وكانوا يسمّون "أهل المدر"، أي أصحاب البيوت المبنية، والأعراب : وهم الذين يقطنون البادية، وكان يطلق عليهم "أهل الوبر"، أي الذين يعيشون في الخيام، وبين البداوة والحضارة فَرْق أساسيّ واحد يكتفي البدويّ بالضروريّ من أسباب المعاش، بينما يتوسّع أهل الحضر في أسباب الترف من المطاعم والملابس والمساكن. من هذا الفَرْق الأساسيّ تتفرّع جميع خصائص البداوة وجميع خصائص الحضارة المدنية بما في البداوة وفي الحضارة البدوية من المحاسن والمساوئ[٢].

لقد نظر أكثر المؤرخين إلى وضع المجتمع العربيّ في الجاهليَّة فوجدوه مفكّكًا سياسيًّا ينقسم إلى وحدات متعدّدة، قائمة بذاتها، تمثّلها القبائل المختلفة، ووجدوا أنّ العصبيَّة القبيلة هي التي قضت على فكرة الترابط السياسي[٣]، ووجد آخرون أنّ سعة الأرض في الجزيرة وقسوة الطبيعة وصعوبة المواصلات وتفشّي البداوة، منعت نشوء دولة موحَّدة، وأبطلت التنظيم السياسيّ الصحيح[٤].

وكانت العصبيَّة القبليّة والدمويّة عند العرب في الجاهليَّة شديدة جامحة، وأغرموا بالحرب، حتى صارت مسلاة لهم وملهى وهواية، ينتهزون للتسلية وقضاء هوى النّفس نشوب حرب لها مسوّغ، أو لا مسوّغ لها، يدلّ على ذلك ما قاله الشَّاعر الجاهليّ (الرقّاد بن المنذر بن ضرار الضبّي) :

إذا المهرة الشّقراء أدرك ظهرها ❁ فشبّ الإله الحرب بين القبائل

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٥٦.

(٢) تاريخ الجاهليَّة، د عمرو فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨ م، ص٥٦.

(٣) دراسات في تاريخ العرب، د السيد عبد العزيز سالم، الإسكندرية، ١٩٦٨م، ١/٥٧٠.

(٤) مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، د عبد العزيز الدوري، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط٢، ١٩٦٨م، ص٣٤.

وأوقــد نــارا بينــهم بضــرامها ❁ لهـا وهـج للمصـطلي غـير طائـل [١]

ويقول (عمير التّغلبيّ) المعروف بالقطامي، وهو يعبّر عن رغبة أهل الجاهليَّة في القتال، وتحيّن الفرص له :

وأحيانــا علــى بكــر أخينــا ❁ إذا مــا لم نجــد إلاّ أخانــا [٢]

وهانت عليهم إراقة الدّماء، فتثيرها حادثة تافهة، وتدوم الحرب أربعين سنة، يقتل فيها ألوف من النَّاس[٣].

ثامناً : مظاهر العصبيَّة القبليَّة :

إن العصبيَّة القبليَّة كان لها صور ومظاهر سلبية على المجتمع العربي، فقد وقفت سداً منيعا أمام إقامة مجتمع متماسك تربطه وتحكمه الرابطة الدِّينيَّة رابطة الأخوة الإيمانية، فكانت هذه العصبيَّة متغلغلة في الجسم العربي الجاهلي وكل ما يحيط به، فهو يتعصب لأسرته وعشيرته وقبيلته كما تعصب لأرضه ولغته ودينه وحليفه وجاره[٤].

ولقد كان النظام القبلي بعاداته وأعرافه وأحكامه متشرباً في نفوس القبائل ومتأصلاً فيها، وظهر ذلك جلياً واضحًا في كثير من نواحي الحياة عندهم، ومن أهم تلك المظاهر ما يلي :

(١) ديوان الحماسة، اب تمام، ص ٢٧١.

(٢) ديوان الحماسة، لأبي تمام، ص ٣٧٧، لعمير بن أشيم ، تغلبي ربعي نصراني وقيل : أسلم انظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢٧٧.

(٣) السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي، دار ابن كثير، دمشق، ص ٧٩.

(٤) العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، د خريسات، ص ٨٩.

المفاخرة[١] :

إن اعتزاز القبيلة بأصلها ونسبها وفخرها بمناقبها ومآثرها، وإيمانها بتفوقها الجنسي، وفضلها على القبائل الأخرى، كل هذه من سمات العصبيَّة القبليَّة الملازمة لها في شتى العصور، فالعصبية والفخر توأمان لا يفترقان أيًّا كان لون العصبيَّة[٢].

وكانت العرب لا يضمّها مجلس أو تلتقي في ندوة أو سوق حتى تنزع إلى المفاخرة والتَّباهي بذكر المآثر والمناقب، وكثيرا ما كانت هذه المفاخرات تجر وراءها حروباً قبلية ووقائع دموية، وروي أن قريشاً كانت تخرج إلى مكان من شعاب مكة فتتفاخر وتتشاتم ولا يفترق القوم إلا عن قتال[٣].

وقد كان إلى جانب الصراع الحربي لون آخر من الصراع انصرفت إليه القبائل العربية بدافع النصرة والنعرة القبليَّة، وهو الصراع اللساني الذي تولى أمره الشعراء والخطباء[٤]؛ إذ كانوا ينافحون عن قبائلهم بشعرهم وبيانهم، فيهاجمون خصومها ويفاخرون بمحامدها، ويمجدون فضائلها، ويشيدون بذكر بطولاتها ووقائعها الظافرة[٥].

وكان التَّفاخر والتعاظم بين أهل الجاهليَّة سمة اجتماعية سائدة؛ إذ كانت المفاخرة بمآثر الآباء والأجداد وبالسيادة والريادة أمراً شائعاً، حتى إنهم ينطلقون أحياناً إلى المقابر، فكانوا يشيرون إلى القبر بعد القبر ويقولون : فيكم مثل فلان ومثل فلان ؟[٦].

ومن مظاهر العصبيَّة القبليَّة وآثارها الموروثة عن العصر الجاهلي والتي خفف الإسلام من

---

(١) وأعني بها هنا الفخر بالأمجاد والافعال والتَّباهي لكل قبيلة أما الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب فسيأتي الحديث عنها كاملاً بالأدلة الشرعية التأصيلية وعلاج ذلك كله في الفصل الرابع ص ٢٥٧ - ٢٦٥.

(٢) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، النص، ص١٥٩.

(٣) الأغاني، للأصفهاني، ج٩ ص ١٤٧.

(٤) وهو ما تمثله القنوات الشعبية للشعر وسيأتي الحديث عنها في ص ١٣٩- ١٤٥.

(٥) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، النص، ص٣٣٥.

(٦) الإسلام والعروبة، مناقشة لآراء التيار الأصولي، مجدي رياض، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، ط١، ١٩٨٩ م، ص ٩٨.

غلوائها دون أن يقضي عليها[1]: التَّفاخر بالآباء والأجداد، والتغني بالمآثر القبليَّة، وهذه المفاخرات كانت تساير درجات العصبيَّة[2] وحدودها، فثمة مفاخرات تساير العصبيَّة في نطاقها الواسع، وهي التي كانت بين العدنانية والقحطانية، ومفاخرات أخرى أملتها العصبيَّة في نطاقها الضيق بين بطون القبيلة الواحدة أو بين أسر البطن الواحد[3].

وينزع العرب في مفاخرهم ومنافرهم إلى تعداد محامد القبيلة، والإشادة بنبل المحتد وكثرة العدد، والتَّباهي بالشجاعة ونجدة الملهوف وإجارة المستغيث وإباء الذل، وما إلى ذلك[4].

ومن أمثلة هذه المفاخرات : ما ذكره في العقد الفريد "مفاخرة الأبرش الكلبي وخالد بن صفوان في مجلس هشام بن عبد الملك قال الأبرش: لنا ربع البيت، ومنا حاتم طيء ، ومنا المهلب بن أبي صفره، وقال خالد : منا النّبي المرسل، وفينا الكتاب المنزل، ولنا الخليفة المؤمل، قال الأبرش : لا فاخرتُ مُضريًّاً بعدك[5].

وذكر أيضاً " قال يوماً معاوية ﷺ وعنده ابن عباس رضي الله عنهما : إذا جاءت بنو هاشم بقديمها وجديدها، وجاءت بنو أمية بأحلامها وسياستها، وبنو أسد ابن عبد العزى برفادتها ودياتها، وبنو عبد الدار بحجابها ولوائها، وبنو مخزوم بأفعالها وأموالها، وبنو تميم بصدّيقها وجوادها، وبنو عدي بفاروقها ومُتفكّرها، وبنو سهم بآرائها ودهائها، وبنو جمح بشرفها وأنفتها، وبنو عامر بن لؤي بفارسها وقريعها، فمن ذا يجلّي في مضمارها ويجري إلى غايتها ؟ ما تقول يا ابن عباس ؟ قال : أقول ليس حي يفخرون بأمر إلا وإلى

---

(١) وهذا بنص الحديث الشريف " أربع خصال لا تزال في أمتي إلي قيام الساعة الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب ...." أخرجه.. الإمام أحمد في المسند : (٣٧/٥٣٨)، برقم : (٢٢٩٠٤). وصححه شعيب الأرناؤوط.

(٢) سبق الكلام عنها في درجات العصبيَّة ص ٣٨ من هذا البحث .

(٣) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، النص، ص ١٩٥ و ص ٣٣٥.

(٤) ويقوم بهذا أمراؤهم وشعراؤهم وخطباؤهم ومن ذلك أن عمرو بن كلثوم كان يمثل تغلب عند عمرو بن هند ملك الحيرة والنعمان بن هرم يمثل بكراً في تفاخرها بين القبيلتين انظر شرح المعلقات، للتبريزي، ص ١٢٥.

(٥) العقد الفريد، أحمد عبد ربه، ج٣ ص٣٣٠.

جنبهم من يشركهم، إلّا قريشاً؛ فإنهم يفخرون بالنبوة التي لا يشاركون فيها، ولا يساوون بها، ولا يدفعون عنها، وأشهد أن الله لم يجعل محمداً ﷺ من قريش إلا وقريش خير البرية، ولم يجعله في بني عبد المطلب إلا وهم خير بني هاشم، ما نريد أن نفخر عليكم إلا بما تفخرون به "(١).

وأمثال هذه المفاخرات وقعت عند الخلفاء بين القبائل وبين الأوس والخزرج، وبين بطون قريش، وبين أسر البيت الأموي، ولم تقتصر على الصرحاء، بل انتقلت إلى الموالي، فكان موالي كل قبيلة يتفاخرون بمآثر قبيلتهم(٢).

وفي وقتنا المعاصر تجد الشعراء يتفاخرون بقبائلهم، حتى لا يكاد الشَّاعر يمدح أحدًا من قبيلة أخرى أو شخصاً أو قومًا معينين إلَّا ويختمها بالثناء والمدح على قبيلته، وعدّ أمجادها وأفعالها، وما تبرز به عن غيرها، حتى ولو كان ذلك افتعالاً وزوراً، ولربما يكون المدح في القتل والسلب المحرم في دين الله .

الأخذ بالثأر:

والثأر هو أحد متطلبات الوفاء والعشيرة، وأنه دليل الاعتزاز وعدم الخضوع للسيطرة، وإن الامتناع عن الثأر يؤدي إلى تزعزع مركز العشيرة المجني عليها، والثأر : هو من أشد أخطاء العصبيَّة القبليَّة؛ لأنه لا يهدف إلى إقامة العدل في المجتمع ومجازاة الفاعل بمثل ما فعل، لكنه يهدف للتعويض عن الخسارة التي أصيبت بها القبيلة بفقد أحد رجالها، فهو يتجه إلى إضعاف القبيلة التي وقع منها الاعتداء، ومن هنا قيل : إنَّ الدم لا يغسل إلا بالدم؛ تعبيرًا عن هذه العقيدة التي ما تزال راسخة في أذهان أبناء القبائل حتى اليوم؛ لمطابقتها مع مزاجهم القبلي(٣).

فكان الثأر هو الواجب الأوَّل الذي لا يتساهلون فيه، فكانوا يطلبونه في الأسواق والحج

---

(١) العقد الفريد، ابن عبدربه، ج٤ ص ١٠، جواد بني تيم عبيد الله بن معمر و المتفكر : أراد به زيد بن عمرو بن نفيل.

(٢) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، النص، "مبحث المفاخرات" ص ٣٣٥ - ٣٣٩.

(٣) شريعة العشائر في الوطن العربي، فاروق الكيلاني، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ت ١٩٨٢م، ص٥٠.

والصحراء وفي كل مكان، ومن هنا تحولت القبائل العربية وتوزعت ما بين طارد ومطرود، وغاز ومغزوّ، كل يسعى إلى أخذ غيره بسلطان قوته، وخاصة إذا لمس في الخصم ضعفا(١).

وهي صورة من صور العصبيَّة، وعادة جاهلية ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، وتجر إلى قيام عداوات طويلة الأمد بين النَّاس، وتؤدي إلى الاقتتال والتطاحن، حتى إنها قد تؤدي إلى فناء بطون بحالها(٢).

وأخطر ظاهرة اجتماعية نشأت بسبب العصبيَّة القبليَّة وما زلنا نعاني من عاقبتها إلى اليوم هي الثأر، فإذا قتل رجلٌ رجلاً من غير قبيلته طالب أولياء المقتول عشيرة القاتل بالقود، أي أن يدفعوا إليهم القاتل ليقتلوه بصاحبهم، ولكن القبائل الأخرى كانت تأبى في الغالب دفع من يرتكب جناية القتل من رجالها إلى غرمائهم من القبائل الأخرى؛ لأن هذا الصنيع يحطّ من شأن القبيلة، ويفصح عن ضعفها وهوانها، وتطمع فيها القبائل الأخرى(٣).

والمألوف أن تعرض القبيلة على آل المقتول الدية، فإن رضوا بها حسم الخلاف وحقنت الدماء، وأن أصروا على القود وكان الدم أحب إليهم من اللبن(٤) كان هذا بمثابة إعلان حالة عداوة دائمة بين القبلتين لا ينهيها إلا انتصاف الموتورين من قوم القاتل وأخذهم بثأر قتيلهم؛ لأن قانون التماسك القبلي يفرض على قوم القتيل كلهم الطلب بدمه، كما يفرض على عشيرة القاتل بأسرها حمايته والدفاع عنه(٥).

وبسبب الثأر حدثت جل الوقائع القبليَّة المعروفة بأيام العرب، وأصبحت كل قبيلة لا تخلو أن تكون إما واترة أو موتورة :

---

(١) العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، خريسات، ص ٩٠.

(٢) العصبيَّة، للشيباني، ص ٥٤.

(٣) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، ص ١٢١.

(٤) المراد بالدم القتل واللبن الدية لأنها تقوم عادة على الإبل.

(٥) المرجع السابق ص ١٢١.

يغـــار علينـــا واتـــرين فيشـــتفى ❀ بنـــا إن أصـبنا او نغـير علـى وتـر [(١)]

وفي سبيل الطلب بدم القتلى قد تقوم حروب طويلة الأمد بين القبيلتين، فتتصل بينهما الغارات، وتتجدد الدماء في كل وقعة، وتتجدد معها الثارات، حتى يسعى عقلاء الحيين في الصلح، فتؤدى الديات وتحقن الدماء، وبسبب هذه الدماء والثارات تأصلت وتأرثت الضغائن بين كثير من القبائل العربية يتوارثها الأبناء عن الآباء جيلا بعد جيل :

جنـى العـداوة آبـاء لنـا سـلفت ❀ فلـن تبيـد وللآبـاء أبنـاء [(٢)]

والثأر ذنب عظيم من الكبائر الموبقات، سواءً كان المقتول للثأر القاتل أو غيره، فإن كان غيره فظاهر، وإن كان القاتل فحرام أيضاً؛ لأن القصاص قد لا يجب عليه؛ لعدم استيفاء شروط القصاص المعروفة، وإن وجب عليه القصاص فتستحقه الورثة، ويستوفيه الإمام، ولا شيء للقبيلة منه، وهذه العادة قديمة جداً، قال ابن حجر[(٣)] في شرح قوله ﷺ : ((ولا هامه))[(٤)]، وكانت العرب في الجاهليَّة تقول : إذا قتل القتيل و لم يؤخذ بثأره خرجت من رأسه هامة – وهي دودة –[(٥)] فتدور حول قبره فتقول اسقوني اسقوني فإن أدرك بثأره ذهبت وإلا بقيت وفي ذلك يقول شاعرهم :

يا عمرو إلاَّ تدع شتمي ومنقصتي ❀ اضربك حتى تقول الهامة اسقوني

قال : وكانت اليهود تزعم أنها تدور حول قبره سبعة أيام ثم تذهب ا ه "[(٦)].

وتقع تبعة الثأر عادة على أقرب النَّاس للقتيل، فإذا عجز ذووه عن القيام بهذا الأمر وحدهم كان على القبيلة كلها أن تطلب بدمه، ونكوصها عن هذا الأمر يعرضها لمذمة آل

---

(١) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ١٠ / ٥، والبيت لدريد بن الصمة.

(٢) الحماسة، للبحتري، ص ١٧، والبيت لطريف بن ديسق التميمي.

(٣) فتح الباري ، كتاب الطب ، باب لا هامة ، ٢٤١/١٠ .

(٤) جزء من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال : ((لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر)) ، رواه البخاري في كتاب الطبّ ، باب لا هامة ولا صفر ، برقم ٥٤٢٥ .

(٥) وقيل طائر من طير الليل كأنه يعني البومه فتح الباري ، ٢٤١/١٠ .

(٦) انظر، المنح الوهبية في ذم العصبيَّة، عثمان شيخ عمر، ص ٧٧.

القتيل، وازدراء قوم القاتل، والأصل أن يؤخذ بالثأر من القاتل نفسه، ولكن قد يتعذّر الوصول إلى القاتل، فيكتفى بقتل أي رجل من قبيلته يوازي القتيل في مترلته[(١)].

ولقد كان العرف يجعل الثائر يلتزم باتخاذ شارات خاصة فهو يبتعد عن كل ملذات الحياة فلا يقرب النساء ولا يتطيب أو يتدهن، ولا يشرب الخمر، ولا يقول الشعر إلا في هجاء أو رثاء، ويظل على هذه الحال أيامًا وشهورًا وأحيانًا أعوامًا، فإذا أخذ ثأره حل له ما حرمه على نفسه، فنظام الثأر كان هامًّا جدًّا في حياة القبائل العربية قبل الإسلام، ولقد قاومه الإسلام مقاومة شديدة ولكنه لم يمت، ولتأصله في نفوس العرب ظل يحيا في المجتمع العربي حتى يومنا هذا[(٢)].

و لم يكن الثأر قائماً على الطلب في جناية القتل فحسب، بل ثمة أحوال أخرى تدعو للثأر، ومن ذلك الجرح والشج والبتر وكسر السن وغير ذلك من بقية الأعضاء، وكل شيء له ثمنه في المجتمع والعرف والقانون القبلي إذا أراد المجني عليه التعويض، ومثل هذا يقع كثيرًا حتى في الزمن الحاضر.

أيام العرب:

كانت الأيام أبرز مظاهر النزاع القبلي حتى جعلت قبائل الجزيرة العربية في صراع مستمر، وهذه الأيام تشكل سلسلة طويلة من الآثار الدموية حتى أصبحت رياضة محببة للعرب بل وهناك من رفض الدَّعوة الإسلاميَّة كبكر مثلًا؛ لان الدين الجديد يحرم الغزو والحروب القبليَّة، ويمنع المسلم من أن يقتل مسلما آخرا وقد طلبت هذه القبيلة من الرسول ﷺ أن يسمح لها بالإغارة على تميم ثم تعلن إسلامها فيما بعد[(٣)].

وقد اختلفت المصادر في عدد هذه الأيام فقد ذكر الميداني[(٤)] أن عددها ١٣٢٠يوما

(١) العصبيَّة القبيلية وأثرها في الشعر الأموي، النص، ص ١٢٣.

(٢) مكة والمدينة في الجاهليَّة وعصر الرسول، الشريف، ص ٣٨ – ٣٩.

(٣) انظر، حضارة الإسلام، صلاح الدين خودا بخش، دار الثَّقافة، بيروت، ١٩٧١ م، ص١٤.

(٤) مجمع الأمثال، للميداني، ج ٢ ص١٥٦.

وذكر أبو عبيد معمر بن المثنى في كتابه الكبير أنها ١٢٠٠يوما. وألف أبو الفرج الأصفهاني كتابا جمع فيه ١٧٠٠يوما ، أمَّا جاد المولى ورفاقه فقد جمعوا ٥٢يوما وأما أسباب هذه الأيام فهي في إطارها العام العصبيَّة القبليَّة والأنفة والحمية والمصالح القبليَّة، والأيام بمجموعها تمثل العصبيَّة القبليَّة في أشدّ مظاهرها سواء كانت هذه الأيام بين قبائل متباعدة النسب أو بين بطون القبيلة الواحدة(١).

ويعزو ابن خلدون أسباب النصر في هذه الأيام إلى العصبيَّة وليس لغيرها، ويقول: إنَّ أسباب الغلب في الأكثر مجتمعة من أمور ظاهرة، هي الجيوش ووفورها وكمال الأسلحة واستجادتها وكثرة الشجعان وترتيب المصاف ومنه صدق القتال، ومنها الخداع، ومن أمثال العرب رب حيلة أنفع من قبيلة .

وإنما الصحيح المعتبر في الغلب حال العصبيَّة، أن يكون في أحدى الجانبين عصبيَّة واحدة جامعة لكلهم وفي الجانب الأخر عصائب متقدمة؛ لأن العصائب إذا كانت متعددة يقع بينهما من التخاذل ما يقع في الوحدان المتفرقين الفاقدين للعصبيَّة تنزل كل عصابة منهم منزلة الواحد ويكون الجانب الذي عصابته متعددة لا يقاوم الجانب الذي عصبته واحدة (٢).

وقد روى لنا التاريخ سلسلة من أيام العرب في الجاهليَّة مما يدل على تمكن الروح الحربية من نفوس العرب وغلبتها على التعقل والتفكير، فمن تلك الأيام مثلا يوم البَسُوس، وقد قامت الحروب فيه بين بكر وتغلب بسبب ناقة للجَرْمي وهو جار للبسوس بنت منقذ خالة جساس بن مرة، وقد كان كليب سيد تغلب قد حمى لإبله مكانا خاصا به، فرأى فيه هذه الناقة فرماها فجزع الجرمي وجزعت البسوس، فلما رأى ذلك جساس تحين الفرصة لقتل كليب فقتله فقامت الحروب الطاحنة بين القبيلتين لمدة أربعين سنة (٣).

وكذلك يوم داحس والغبراء، فما كان سببه إلا سباقا أقيم بين داحس وهو فرس لقيس

---

(١) العصبيَّة القبليَّة، خريسات، ص ٨٤.

(٢) انظر : مقدمة ابن خلدون، ص ٢٧٧.

(٣) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ٣١٢/١.

بن زهير والغبراء وهي لحذيفة بن بدر، فأوعز هذا إلى رجل ليقف في الـوادي فـإن رأى داحسا قد سبق يرده، وقد فعل ذلك فلطم الفرس حتى أوقعها في الماء فسبقت الغـبراء، وحصل بعد ذلك القتل والأخذ بالثأر وقامت الحروب بين قبيلتي عبس وذبيان [١].

وكذلك الحروب التي قامت بين الأوس والخزرج في الجاهليَّة وهم أبناء عم، حيـث إن الأوس والخزرج أبناء حارثة بن ثعلبة الأزدي، وكانت بدايتها حرب "سمـير" وسـببها أن رجلا غطفانيا كان معه فرس فقال : ليأخذ هذا الفرس أعز أهل يثرب، فسمى الأوس رجالا وسمى الخزرج رجالا، فدفعها إلى مالك بن العجلان الخزرجي، فافتخر بذلك حليفه كعـب بن العجلان الذبياني، وقال : ألم أقل لكم إن حليفي مالكا أفضلكم ؟ فغضب مـن ذلـك رجل من الأوس يقال له "سمير" فترصد لكعب فقتله، فقامت الحرب بين الحـيين، وكـان الظفر فيها للأوس[٢].

ثم استمرت الحروب بينهما بعد ذلك مائة سنة، حتى كانت حرب "حاطب" وهي من أشهر أيامهم، وسببها أن رجلا من بني ثعلبة نزل على حاطب بن قيس الأوسي فرآه يزيـد بن الحارث الخزرجي في السوق فقال لرجل يهودي : لك ردائي إن كسعت هذا الثعلبي – يعني يضربه بقدمه من الخلف وهذه إهانة – فأخذ اليهودي الرداء وكسع الثعلبي، فنـادى الثعلبي : يا لحاطب كُسع ضيفك وفضح، وأخبر حاطب بذلك، فجاءه فسأله : من كسعك ؟ فأشار إلى اليهودي، فقتله حاطب، فجاء يزيد بن الحارث الخزرجي فأسرع ليقتل حاطبا ففاته وقتل رجلا آخر من قومه، فثارت الحرب بين الأوس والخزرج، وكان الظفـر فيهـا للخزرج، وتبع ذلك حروب أخرى[٣].

الأحلاف :

الحلف هو المعاقدة والمعاهدة بين قبيلتين لدفع الأذى والتعاضد والتناصر وكما يكـون بين قبيلتين فقد يكون بين بطنين أو شخصين، والأحلاف هي عصبيات صـناعية ربطـت

---

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ١/٣٤٣.

(٢) الأخوَّة الإسلاميَّة هي الرَّابطة العالميَّة، الحميدي، ١٥ -١٦.

(٣) الأخوَّة الإسلاميَّة هي الرَّابطة العالميَّة، الحميدي، ١٥ -١٦.

القبائل بعضها بعضاً نتيجة ظروف معينة وهي في أساسها مبنية على الحمية والمنعة(١).

ولما رأت القبائل ما وقع بينها من الاختلاف والفرقة، وتنافس النَّاس في الماء والكلأ والتماسهم المعاش في المتسع، وغلبة بعضهم بعضًا على البلاد والمعاش واستضعاف القوي الضعيف، انضم الذليل منهم إلى العزيز، وحالف القليل منهم الكثير، وتباين القوم في ديارهم ومحالهم، وانتشر كل قوم فيما يليهم(٢).

والفكرة التي حملت العرب على عقد الأحلاف، هي نفس الفكرة التي تدفعهم اليوم على عقد الأحلاف بينهم أو مع غيرهم، وهي الضرورة والدفاع عن مصالح خاصة أو عامة، أي: نفس الفكرة التي تدفع الدول على التكتل والتحزب وعقد الأحلاف الدولية في هذا اليوم، أو في المستقبل وهناك أحلاف عقدت لأغراض هجومية، وأحلاف عقدت لمصالح اقتصادية، مثل أكثر أحلاف قريش مع القبائل، وأحلاف لتثبيت نظم وإقرار قوانين وأخذ حقوق وردع ظالم وإنصاف مظلوم(٣).

وقد تعقد الأحلاف لأغراض معينة، فتكون لها آجال محددة، كأن تسعى قبيلة لعقد حلف مع قبيلة أخرى لمساعدتها في صد غزو سيقع عليها، أو لمساعدتها في غزو قبيلة أخرى، أو الوقوف موقف حياد تجاه الغزو، أو مساعدة قبيلة قبيلة أخرى للأخذ بثأر من قبيلة لها ثأر معها، ومثل هذه الأحلاف لا تعمر طويلًا، إذ ينتهي أجلها بانتهاء الغاية التي من أجلها عقد الحلف(٤).

وكانت المحالفات تقوم بين القبائل، فتحالف قبيلة قبيلة أخرى أو عدة قبائل، وهذا التحالف يشبه المعاهدات السِّياسيَّة في الوقت الحاضر، فإذا أحست قبيلة بضعفها أمام القبائل القوية انضمت إلى قبيلة قوية لتحميها، وقد تمر الأجيال وتنسى القبائل المتحالفة أسماءها

---

(١) العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، د خريسات، ص ٧٢.

(٢) معجم ما استعجم، عبد الله عبد العزيز محمد البكري الأندلسي، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ، ٥٣/١.

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ٣٧٢/٤.

(٤) المرجع السابق ٣٧٢/٤.

وشخصياتها، وتنضم تحت اسم واحد

ويظن أن هذه المحالفات لعبت دورًا كبيرًا في تكوين القبائل العربية، إذ كانت تنضم العشائر الضعيفة إلى العشائر القوية الكبيرة؛ لتحميها وترد العدوان عنها[1].

وكان الحلف بين القبائل قد يستمر جيلًا بعد جيل ولا ينقضي إلا بسبب أحداث جسيمة وعندئذٍ يصبح صلة لاحمة بين القبائل المتحالفة وقد استمرّ هذا النوع من التحالف وتبعاته إلى ما بعد البعثة النبوية، وقد ورد في القرآن آيات كثيرة تتحدّث عن الأحزاب والمحالفات : ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾[الأحزاب: ٢٢]، وتعني هذه الآية قريشًا وحلفاءها من القبائل التي تحالفت معها على غزو المدينة في موقعة الخندق[2].

وقيام علاقة الحلف تقترن عادة بمراسيم وطقوس خاصة تحرص القبائل على إتباعها نظرًا لأهمية النتائج المرتبة عليها؛ فقد اتخذت الأحلاف صبغة دينية وطقوسًا خاصة، إذ كانوا يغمسون أيديهم في طيب أو دم، وربما أوقدوا نارًا عند تحالفهم ودعوا الله على مَن ينكث العهد بالحرمان من منافعها. وكانوا يقولون: الدم الدم، والهدم الهدم، لا يزيد العهد طلوع الشمس إلا شدًّا، وطول الليل إلا مدًّا، ما بلَّ بحر صوفه، وأقام رضوى في مكانه إن كان رضوى جبلهم وإلا ذكروا ما يجاورهم من الجبال[3].

وتنقسم الأحلاف إلى قسمين :

حلف الأفراد :

وهو أن ينتظم رجل إلى غير قبيلته بالحلف أو الموالاة فينسب إليها أو إلى قبيلته أو ينسب إلى القبيلتين[4]، وقيل هو : تعاقد رجل صريح النسب مع آخر صريح مثله، وكان المتحالفان

---

(١) مكة والمدينة في الجاهليَّة وعصر الرسول، أحمد الشريف، ص ٤٦.

(٢) المرجع السابق ٥٧.

(٣) الحيوان، الجاحظ، ٣/٤.

(٤) انظر، صبح الأعشى، أحمد علي أحمد الفزاري القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٤٠٩/١.

يقولان : دمي دمك وثأري ثأرك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك[١]، " والحليف يؤخذ بجريرة حليفه وقد أفدى العباس بن عبدالمطلب حليفه عتبة بن عمرو عندما أسر في بدر من ماله الخاص "[٢].

حلف القبائل :

إن ظروف الحياة في المجتمع القبلي قد ألجأت بعض القبائل في كثير من الأحيان إلى عقد أواصر التحالف مع قبائل أخرى مجاورة لها أو مع جماعات أخرى تلتمس محالفتها والتزول بجوارها مما سبب اندماجًا لبعض القبائل مع بعض والدخول في نسب حليفتها وكان هذا منتشراً ومعروفاً عند بعض القبائل[٣]، أو يكون هذا التحالف لسبب خاص يدعو إليه سواء كان سلمياً أو حربياً وقريباً ما تكون هذه الأحلاف أشبه بالمعاهدات ومن أشهرها حلف الفضول وحلف المطيبين وغيرها من الأحلاف .

أ - حلف الفضول

نشأ حلف الفضول بسبب رجل من زبيد من اليمن قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي، فمطله بالثمن حتى يئس، فعلا جبل أبي قبيس، وقريش في مجلسها حول الكعبة فنادى بشكل يصف ظلامته :

يا للرجال لمظلوم بضاعته ❁ ببطن مكة نادى الحي والنفر
إن الحرام لمن تحت حرامته ❁ ولا حرام لثوب الفاجر الغدر [٤]

فاجتمعت القبائل الموجودة في مكة فتحالفوا على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم، وتداعت القبائل إلى دار عبد الله من جدعان لشرفه ونسبه، فتحالفوا وتعاقدوا على ألَّا يجدوا

---

(١) تفسير الطبري، ٨ /٢٧٥ - ٢٧٦.

(٢) الطبقات، لابن سعد، ١٣/٤.

(٣) العصبيَّة القبليَّة وأثرها على الشعر الأموي، النص، ٩-٩١.

(٤) مروج الذهب، للمسعودي، ٢٤٨/٢.

بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر النَّاس، إلا أقاموا معه وكانوا على ظلمه حتى ترد عليه مظلمته[1] وقال فيه الزبير بن عبد المطلب :

حلفت لنعقدن حلفا عليهم ❀ وأن كنا جميعنا أهل الدار
نسميه الفضول إذا عقدنا ❀ يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالي البيت أنا ❀ أباة الضيم نهجر كل عار

وقد شهد حلف الفضول الرسول محمد ﷺ بقوله : ((لقد شهدت حلفًا في دار عبد الله بن جدعان، لو دعيت إلى مثله لأجبت))[2].

ب - حلف المطيبين

لما كبر قصي فوض أمر الوظائف التي كانت إليه، من رئاسة قريش وشرفها من الرفادة والسقاية والحجابة واللواء والندوة إلى ابنه عبد الدار، أكبر أولاده، فكان إخوته ينازعونه في ذلك، فلما انقرضوا تشاجر أبناؤهم في ذلك، وانقسمت بطون قريش فرقتين، فرقة بايعت عبد الدار، وحالفتهم، وفرقة بايعت بني عبد مناف وحالفوهم على ذلك، ووضعوا أيديهم عند الحلف في جفنة فيها طيب، ثم لما قاموا مسحوا أيديهم بأركان الكعبة، فسموا حلف المطيبين ثم اصطلحوا واتفقوا على أن الرفادة والسقاية لبني عبد مناف، وأن تستقر الحجابة واللواء والندوة في بني عبد الدار[3]، فسموا أولئك ((الأحلاف)) وهؤلاء ((المطيبين)) ، وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي بذكر المطيبين والأحلاف :

ولها من المطيبين جدود ❀ ثم نالت ذوائب الأحلاف
أنها بين عامر بن لؤي ❀ حين تدعا وبين عبد مناف [4]

---

(١) سيرة ابن هشام، ١٣٢/١.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى ، كتاب قسم الفيء والغنيمة ، باب إعطاء الفيء على الديوان ومن يقع به البداية ، برقم : (١٣٠٨٠). بلفظ : « لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِيَ بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ ، وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ ».

(٣) مروج الذهب، للمسعودي، ٢٤٨/٢.

(٤) انظر، سيرة ابن هشام، ١٣٢/١ ، والبداية والنهاية ٢، /١٧٧.

الإجارة :

ومن مظاهر العصبيَّة القبليَّة الإجارة فإذا فر الرجل من قومه إما لجناية ارتكبها واضطر إلى النزول في قبيلة يخشى على نفسه غدرها به أو ليحتمي بها من أذى قبيلة أخرى حسبه أن يستجير برجل من أشراف القبيلة التي لجأ إليها ليغدو آمناً على حياته وعياله وماله وبفضل هذا القانون الوقائي استطاع الرسول الكريم ﷺ أن يصدع برسالة ربه وهو مقيم بين ظهراني قومه المشركين؛ لأنه يستظل بحماية عمه أبي طالب و لم يجرؤ أحد من المشركين على مد يد الأذى إليه ما كان أبو طالب على قيد الحياة(١).

والإجارة أو الجوار إذا سلك فرد من قبيلة مسلكًا شائنًا يضر بسمعة قبيلته، فإن القبيلة تخلعه، أو أنه هو يخلع نفسه منها إذا خاف على نفسه أن يثأر منه إذا كان قد قتل من القبيلة، أو أن يكون قد ضاق بحياته فيها، وعندئذ لا يقربه أحد، ولما كان لا يستطيع أن يعيش منفردًا فإنه يلجأ إلى قبيلة أخرى يتصل بها ويعيش في حماها على أساس الموالاة بالجوار(٢).

وأما كيف تعقد الإجارة ؟ فلها مظاهر وتقاليد، فكان يتم بالطلب الصريح والإجابة، أو بإتيان عمل يفهم منه قيام هذه الرابطة، فالمؤاكلة ودخول البيت ولمس الخيمة أو الطنب أو مجاورتها يقيم رابطة الجوار، وقد توسعوا في هذا فاعتبروا علوق الدلو بالدلو في بئر يلزم حرمة الجوار والذمة أو أن يصل رشاءه برشائه أو يحترم من طعامه أو يستظل بظل خبائه وغير ذلك من الطرق(٣)، وإلى هذا أشار أبو تمام يخاطب ابن الزيات:

لي حرمة بك لولا ما رعيت وما ❁ من حقها ما خلتها تجب
بلى، لقد سلفت في جاهليتهم ❁ للحق ليس كحقي نصره عجب

(١) العصبيَّة القبليَّة، للنص، ص ٨٨، وفي هذا يقول أبو طالب :

والله لن يصلوا اليك بزعمهم ... حتى أوسد في التراب دفينا

(٢) انظر، مكة والمدينة في الجاهليَّة وعصر الرسول، للشريف، ص ٤١.

(٣) انظر كلا من العصبيَّة القبليَّة، للنص، ص ٨٨ و مكة والمدينة في الجاهليَّة وعصر الرسول، للشريف، ص ٤٢.

أن تعلــق الــدلو بالــدلو القريبــة أو ۞ يلامــس الطنــب المستحصــد الطنــبُ [١]

وغالوا في الجوار حتى شمل الوحش والهوام، حتى إنهم كانوا يسمون بذلك مجير الجراد، مجير الغزال، مجير الذئب، ومن الأمثال: أحمى من مجير الجراد، قالوا هو مــدلج بــن ســويد الطائي، وقد يكون هذا نوعًا من العزة وتحريم الصيد في أرض القبيلة، كما كان الجوار أحيانًا يعبر عن نوع من الفروسية والمروءة الإنسانية، كإجارة كل ظعينة تمر بأرض القبيلة، ومثال ذلك ربيعة بن مكدم الكناني الذي ضربوا به المثل فقالوا: أحمى من مجير الظعن[٢].

وللجوار صلة كبيرة بــالنسب وبالعصبية عند العرب، فقد يتوثق الجــوار، وتتقــوى أواصره فيصير نسبًا، فيدخل عندئذ نسب المستجير بنسب المجير، ويصير وكأنه نسب واحد، هو نسب المجير، وقد اندمجت بــالجوار أنساب كثيرة من القبائل الصغيرة، أو القبائل الــتي تشعر بخوف من قبيلة أخرى أكبر منها، فتضطر إلى طلب جوار قبيلة أكبر منــها؛ لتــدافع عنها، ولتكون بذلك قوة رادعة تحمي حياتها وتحافظ على نفسها ومالها بهذا الجوار[٣].

المحسوبية :

والمقصود بها : المحاباة والوساطة أي: أن يحابي الفرد ذويه وجماعته ويحامي عنهم ويشفع لهم بحق وبغير حق حتى لو لم يكونوا جديرين بذلك وهو ما يمكن إن يطلق عليه : الشفاعة السيئة وهي ضد الشفاعة الحسنة التي يؤجر عليها الشافع لتوافر الشروط اللازمة في المشفوع فيه وجدارته بها حتى إن كان من ذوي القربى[٤]، قال الله تعــالى : ﴿ **مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾** ﴾ [النســاء: ٨٥]، وقد روي عن النَّبيّ ﷺ قوله : « من استعمل رجــلاً وفي

(١) انظر، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي، تحقيق : محمد بهجــه الأثــري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٣/١.

(٢) انظر مكة والمدينة في الجاهليَّة وعصر الرسول، للشريف، ص ٤٣.

(٣) المفصل في تاريخ العرب، جواد علي، ٣٦١/٧.

(٤) العصبيَّة القبليَّة، الجريسي، ص ١١٠.

تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين))[١].

وفي مجمع الزوائد باب من استعمل على المسلمين أحدا محاباةً من كتاب الخلافة عن يزيد بن أبي سفيان قال : ((قال لي أبو بكر ﷺ حيث بعثني إلى الشام : يا يزيد إنَّ لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالولاية، وذلك أكبر ما أخاف عليك؛ فإنَّ رسول الله ﷺ قال : من ولي من أمر المسلمين شيئًا فأمّر عليهم أحدًا محاباة، فعليه لعنة الله، لا يقبل منهم صرفًا ولا عدلاً حتى يدخله جهنم))[٢].

إن الوعيد في النصوص السَّابقة ظاهر، فيدخل فيه من ولي شيئا من أمر المسلمين فاتخذ عصبيته مقاسا في التولية والتكليف[٣]، سواء كانت عصبيَّة قوم أو صداقة أو جنس أو غيرها لتحقيق مصالح ذاتية، فالشريعة تنهى نهيا جازما عن مثل هذا السلوك وتصف فاعله بالإثم والخيانة، وتتوعده باللعن والخسران[٤].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين : (١٠٤/٤)، برقم : (٧٠٢٣). وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وحذفه الذهبي من التلخيص.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند : (٢٠٣/١)، برقم : (٢١). وضعفه شعيب الأرناؤوط . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : (٥/ ٢٣٢)، برقم : (٩١٧٥) : «رواه أحمد وفيه رجل لم يسم ».

(٣) انظر، العصبيَّة القبليَّة، الجريسي، فتوى للشيخ ابن جبرين ص ١٣٤.

(٤) العصبيَّة القبليَّة، الجريسي، ص ١١٠.

الفصل الأَوَّل

أسباب العصبيَّة القبليَّة والأسس التي تقوم عليها

وفيه مبحثان :

المبحـــث الأَوَّل : أسباب العصبيَّة القبليَّة .

المبحـــث الثَّـــاني : الأسس التي تقوم عليها العصبيَّة .

المبحث الأول : أسباب العصبيَّة القبليَّة

وهنا قسم الباحث[1] الأسباب إلى أسبابٍ عامة تكون سبباً للعصبية القبلية وقد تشترك وتكون كذلك أسبابٌ لغيرها من الأمور والقضايا التي نهى عنها الشارع الحكيم في سائر الشرور والآفات ، وهناك أسبابٌ خاصة أدت إلى العصبية القبلية بأسلوب مباشر وقريب فكانت أسباباً يتضح من خلالها أنها تؤدي للتعصب القبلي المقيت .

المطلب الأول : أسباب العصبيَّة القبليَّة العامة:

أولاً : الجهل

لقد حثّ الله تعالى على العلم وبين منزلة العلماء والثواب العظيم عند الله قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة: ١١] .

وذم الله تعالى الجهل وحذر منه وبيّن أنه سبب إعراض المعرضين عن دعوة الأنبياء والمرسلين وأن النَّاس لجهلهم كذبوا بهم، يقول تعالى مخبراً عن قول نوح لقومه : ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [هود: ٢٩].

وذكر سبحانه أن الجهل هو الذي دفع قوم لوط لعمل جريمتهم البشعة من اللواط، يقول تعالى : ﴿ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النمل: ٥٥].

والجهل أيضا يدفع النَّاس للشرك بالله قال تعالى عن موسى عليه السلام وقومه : ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

---

(١) وهذا التَّقسيم تقريبي واصطلاحي اجتهد فيه الباحث لتكون الفكرة أبسط وأقرب للقارئ الكريم وكما قيل لا مشاحة في الاصطلاح.

ويعتبر ظهور الجهل وانتشاره من علامات قرب وقوع الساعة، ففـي الحـديث عـن رسول الله ﷺ قال : ((إن بين يدي الساعة لأيّاماً يترل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج والهرج: القتل))(١).

وقال أيضًا : ((إنَّ من أشراط السَّاعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمـر، ويظهر الزنا))(٢)، فرتب عليه السلام على قلة العلم ورفعه وظهور الجهل وكثرتـه كثـرة وقوع المحرمات وانتهاكها، وهذا الجهل الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ أنه سيقع في الأُمَّة وأنَّه سيكون من أسباب تفرّقها وهو الجهل بالأحكام الشرعية(٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال : سمعت رسـول الله ﷺ يقول: ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ النَّاس رؤوساً جهّالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضـلّوا))(٤)، ويؤخذ من الأحاديث أن الجهل لا يزول إلا بالعلم، وأن الجهل من علامات السـاعة، وأن سبب الضلال إنما هو الجهل قالت أم سلمه – رضي الله عنها – قالت: ((ما خرج النبي ﷺ من بيتي قط إلّا رفع طرفه إلى السماء، فقال: اللهم إني أعوذ بك أن أَضِلَ أو أُضَـلَّ، أو أَزِل أو أُزَل، أو أَظلِم أو أُظلَم، أو أَجهَلَ أو يُجهَلَ علَيَّ))(٥).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، برقم : (٧٠٦٢)، ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلـم وقبضه وظهور الجهل والفتن، برقم : (٢٦٧٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل . ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن، برقم : (٢٦٧١).

(٣) انظـر، مقـال للشـيخ : علـوي عبـد القـادر السـقاف موقـع الـدرر السـنية http://www.dorar.net/enc/firq/37.

(٤) رواه البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، برقم : (١٠٠). ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، برقم : (٢٦٧٣).

(٥) رواه أبو داود، أبواب النوم، باب ما يقول إذا خرج من بيته، برقم : (٥٠٩٤). وصححه الألباني.

والجهل هو أساس الانحرافات والمعاصي، وكل ضلال فهو متفرع عنه، ولذلك فإن اقتران العصبيَّة القبليَّة بالجاهلية كافٍ لنبذها وكره النَّاس لها، ولكنها لا تزال فيهم تصديقاً للحديث الشريف « ثلاثٌ من عمل أهل الجاهليَّة لا يتركهن أهل الإسلام ـــــ وذكر منها ـــــ دعوى الجاهليَّة يا آل فلان، يا آل فلان »[(١)]، ومما ورد أيضا قول النبي ﷺ لأبي ذر عندما عيّر رجلاً بأمه يا ابن السوداء قال له ﷺ : « إنك امروء فيك جاهلية »[(٢)].

إن أهم أسباب تفرّق الأُمَّة وتناحرها فيما بينها وانتشار التعصب بين أفرادها هو جهلها وبعدها عن منبعها الصافي ومصدرها الأصيل كتاب الله وسنة نبيه ﷺ قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والجهل لا يزول إلا بالعلم قال الشَّاعر :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ❀ فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرأً لم يحي بالعلم ميت ❀ فليس له قبل النشور نشور [(٣)]

ولقد وصف الله تعالى العصبيَّة بالجاهلية، فقال تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح: ٢٦].

"والحمية: الأنفة، يقال: فلان ذو حمية، أي: ذو أنفة وغضب، أي: جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم، والجعل بمعنى الإلقاء، وحمية الجاهليَّة بدل من الحمية. قال مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان: قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ويدخلون علينا في منازلنا، فتتحدث العرب أنهم قد دخلوا علينا على رغم أنفنا، واللات والعزى لا يدخلونها علينا.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده : (٥١٩/١٢)، برقم : (٧٥٦٠). وحسنه شعيب الأرناؤوط.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب المعاصي من أمر الجاهليَّة، برقم : (٣٠)، ومسلم، كتاب الإيمان والنذور، باب إطعام المملوك مما يأكل، برقم : (١٦٦١).

(٣) انظر، أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي محمد حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة، بدون طبعة، ١٩٨٧م، ٥١.

فهذه الحمية هي حمية الجاهليَّة التي دخلت قلوبهم. وقال الزهري: حميتهم: أنفتهم من الإقرار للنَّبيّ ﷺ بالرسالة."[1].

ويجب على الإنسان أن يبذل قصارى جهده في التعلم والتعليم حيث خلق الله - تبارك وتعالى - لكل إنسان أدوات العلم، قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨].

تعلم فليس المرء يولد عالماً ❁ وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ❁ صغير إذا التفت عليه المحافل [2]

وليعلم كل عاقل بأن العصبيَّة القبليَّة المذمومة معول هدم وخراب وبغي فأي حاجة للمسلمين إلى هذه النعرات الجاهليَّة بعد أن أعزهم الله بالإسلام الذي أكمله الله لهم ورضيه لهم إلى يوم القيامة، فكانت أحكامه شاملة وكاملة ووافية بجميع ما يحتاجه البشر لإسعادهم في الدارين قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٥٠].

ثانياً : كيد الأعداء :

إن أخشى ما يخشاه أعداء الإسلام هو أن يتحد المسلمون ويتفقوا ويعودوا لدينهم وعقيدتهم ووحدتهم، ولذلك أنشأوا المعاهد والجامعات والمراكز الاستشراقية لدراسة أوضاع المسلمين وعقائدهم سواءً من اليهود أو النَّصارى ومن حالفهم إضافة إلى كثير من المؤتمرات التي تدرس وتعمل ليل نهار وترسم الخطط وتدبر المكائد وتؤلف الكتب للإبقاء على المسلمين متفرقين متنافرين متباعدين متنازعين مختلفين في كل شيء، حتى إنهم يتوقعون الحرب الأهلية الصومالية مثلاً منذ أمد بعيد وعلى أساس قبليّ أيضاً، ويخططون لعشرات

---

(١) فتح القدير، محمد علي الشوكاني، دار بن كثير، ط١، ١٤١٤هـ، ٦٤/٥.

(٢) انظر جامع بيان العلم وفضله، يوسف عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق : أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ، ٦١٧/١.

السنين قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الصف: ٨][(١)].

لقد واجه النَّبيّ ﷺ أربع جبهات ومواقف كلها تتربص به الكيد والوقيعة لتفرق المسلمين وهي: (المنافقون في المدينة، اليهود، قريش، والقبائل العربية)، فقد كان زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن السلول سيد المدينة لا يختلف عليه اثنان ولم تجتمع الأوس والخروج على أحد قبله ولا بعده، وإن قومه قد أعدوا له قبل الإسلام خرزا لتتويجه، وأراد أن يفرق بين محمد ﷺ وبين أهل البيعة التي تمت بينه وبين الأوس والخزرج، فجاء يذكر بالعصيبة القبليَّة التي بينهم، وتربص للإيقاع بالمسلمين، فجاءت غزوة أحد، فرجع بهم من نصف الطريق، وجاءت غزوة بني المصطلق في السنة السادسة للهجرة لينادي المنافقين بالعصبية جهاراً ، وذلك عندما اختلف أحد المهاجرين مع رجل من الخزرج على الماء، ونادى كل واحد قومه، فاستغل ابن أبي الحادثة ووجدها مرتعاً خصباً لإثارة الخلاف، فشعر الرسول ﷺ بخطر العصبيَّة القبليَّة، وليقطع دابر الجاهليَّة ويشغل النَّاس أمرهم بالمسير ليلا ونهارا حتى آذت الشمس المسلمين، وترك الرسول ﷺ أمر ابن أبي حتى لا يثير فتنة، ونهى الصحابة عن قتله حتى جاءت النقمة عليه من الأنصار بل من ولده عبد الله، ولما فشلت جهود المنافقين في إثارة العصبيَّة استغلوا حادثة الإفك؛ ليؤذوا رسول الله ﷺ في أهله[(٢)].

أما اليهود فبالرغم من كتاب الموادعة الذي وضعه الرسول ﷺ بين أهل المدينة، والذي نظم العلاقة بين المسلمين واليهود إلَّا أنهم أظهروا الحقد والبغي على الإسلام والمسلمين، وكان في مقدمتهم كعب بن الأشرف، ولما رأى اليهود أن قوة المسلمين أخذت تزداد لجأوا إلى سلاح العصبيَّة القبليَّة عليهم في إثارة التراع بين الأوس والخزرج، وجاء ذلك عندما مر شماس بن قيس – وكان شيخاً قد عسا وكبر سنه عظيم الكفر شديد الضِّغْنِ والحسد

---

(١) انظر الإسلام والتمييز العنصري، عبد العزيز عبد الرَّحمن قاره، دار البشير، جده، ط٢ ١٤١٦هـ، ٢٩٦-٢٩٧.

(٢) انظر العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، خريسات، ١٤٥-١٥٣.

للمسلمين – على قوم من الأنصار ورآهم متحابين متآلفين فهاله ذلك، وقال : لقد اجتمعا ملأ بني قيلة بهذه البلاد، والله ما لنا إذا اجتمعا ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى يهودياً أن يجلس مع الأنصار ويذكرهم يوم بعاث وما كان قبله، وأن ينشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الشعر، ففعل ذلك فتكلم القوم وتنازعوا وتعاهدوا بالخروج إلى الحرة فبلغ ذلك الرسول ﷺ فجاء إليهم ومعه بعض المهاجرين وقال رسول الله ﷺ : « أبدعوى الجاهليَّة وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع عنكم أمر الجاهليَّة، واستنقذكم به من كفر، وألَّف بين قلوبكم »[(١)]، فعرف الأنصار أنها نزعة من الشيطان وكيد من العدو فبكوا وتعانقوا فنزل قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٠ - ١٠١].

ومن وسائل اليهود الخبيثة في حرب الإسلام محاولاتهم المستمرة لتمزيق الصف المسلم وتخريبه، بتقطيع أواصر المحبة بين المسلمين، وذلك بإثارة الفتن الداخلية، والشعارات الجاهليَّة، والنعرات الإقليمية، والدعوات القومية والقبلية، والسعي بالدسيسة والوقيعة بين الإخوة المتآلفين المتوادّين المتحابين .

وقد نجح الرافضة في استقطاب أصحاب الهوى وتأليب الكثير من ضعاف النفوس وأصحاب المطامع ضد أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وأرضاه .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة عن الرافضة :" والرافضة ليس لهم سعي إلا في هدم الإسلام ونقض عراه وإفساد قواعده"[(٢)].

وقد فشل اليهود في إثارة النزاع من الداخل، فاتجهوا إلى القوى القبليَّة التي كانت خارج

---

(١) تقدَّم تخريجه ص ٧.

(٢) منهاج السنة النبوية، ابن تيميَّة، تحقيق : محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ، ٤١٥/٧.

المدينة، علَّهم يستثيروهم ضد المسلمين، فذهبوا إلى قريش وزينوا لهم قتال محمد ﷺ ومنحوهم شهادة تفضيل بأن دينهم أفضل من دين محمد، وبعد قريش اتجهوا إلى غطفان وحرضوها عل قتال المسلمين، فجمعوا الأحزاب قريشًا وغطفان ومرّة وأشجع وسليمًا وأسدا حتى كان هذا الجيش من أضخم الجيوش التي شهدها الجزيرة العربية، فانفرط عقدهم وأبطل الله كيدهم ومخططهم والله غالب على أمره(١).

ثالثاً : التقليد الأعمى :

ومن أهم الأسباب التي دعت للوقوع في العصبيَّة القبليَّة الاحتجاج بما يفعله الآباء والأجداد، قال الله تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٢]. أي ليس لهم مستند فيما هم فيه سوى تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا على أمة والمراد بها الدين(٢).

وهذه الآية تحمل على ذم التقليد الأعمى غير المستند إلى هدي النَّبيّ ﷺ وشرعه، فهو الأسوة الحسنة، فإن المتأسي به سالك الطريقة الموصل إلى كرامة الله وهو الصراط المستقيم، وأما الأسوة بغيره إذا خالفه فهو الأسوة السيئة؛ لقول الكفار : ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ ﴾(٣).

قال ابن تيميه: « التقليد أخذ المرء قول من هو دون الرسول ﷺ ممّن لم يأمرنا الله باتباعه واخذ قوله بل حرم علينا ذلك، وأما قول الرسول ﷺ الذي فرض الله تصديقه وطاعته فليس تقليداً بل إيمان وتصديق واتباع وطاعة لله ورسوله »(٤).

---

(١) انظر العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، خريسات، ١٥٣.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ٢٢٤/٧، و تفسير القرطبي، ٧٥/١٦.

(٣) تفسير، ابن سعدي، ١٦٠.

(٤) انظر، درء تعارض العقل والنقل، ابن تيميه، تحقيق : محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة بالرياض، ط، ٢، ١٤١١هـ، ٧٨/٤.

يقول ابن الجوزي[1] معلقاً عن أثر التقليد وفعل العقيدة في دفع الإنسان إلى التمسك بها والتعصب لها : "دخل إبليس على هذه الأُمَّة في عقائدها من طريقين : أحدهما : التقليد للآباء والأسلاف، فإن إبليس زيّن للمقلدين أن الأدلة قد تشتبه، والصواب قد يخفى، والتقليد سليم، وقد ضل في هذا الطريق خلق كثير، وبه هلاك عامة النَّاس، وأن اليهود والنَّصارى قلدوا آباءهم وعلماءهم وكذلك أهل الجاهليَّة "[2].

كان العرب يتعصبون لتقاليدهم وموروث عاداتهم تعصبًا شديدًا، يرون في ذلك فضيلة لا محيد عنها، وجزءًا لا ينفصل من حياة المجتمع، ولو أدّى إلى الحرب وإراقة الدماء والمواقف المهلكة، وقد بلغ من قوة العصبيَّة للتقاليد، أن أصبحت عندهم دِينًا ؛ ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٨]، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وكانوا يعتبرون ما هم عليه من تقاليد دينية واجتماعية متنوعة هي من مشيئة الله ورضاه؛ ولذلك فهي الأهدى والأصلح، وقد توارثوها أبًا عن جد، ولو لم تكن كذلك لمنعهم الله عنها[3].

وهذا يفسر لنا الموقف الشَّديد الذي اتخذه أهل مكة ضد الدَّعوة الإسلاميَّة وضد النبي ﷺ والمسلمين، فإن قوة العصبيَّة للتقاليد التي كانت من العوامل المؤثرة في ذلك من غير شك، كما أنها حالت دون كثير من ذوي قربى النبي ﷺ والدخول في الإسلام استجابةً لعصبية التقاليد، في الوقت الذي كانوا ينصرونه فيه ويقفون إلى جانبه ويحمونه استجابةً

---

(١) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، مولده ببغداد ووفاته بها سنة ٥٩٧هـ، له كثير من المصنفات، من أشهرها : تلبيس إبليس، والموضوعات . انظر : الأعلام للزركلي : (٣١٧/٣).

(٢) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص١٠٠-١٠١.

(٣) تفسير الطبري، ٢٠٨/١٢.

لعصبية الرحم، وعلى رأس هؤلاء عمّه أبو طالب الذي غلبته عصبيَّة التقاليد على أمـــره[١]، فبالرغم من معرفته لصدق النَّبيّ ﷺ وبالرغم من إعجابه وإعجاب بني هاشم به، وما كـــان لهم من الفخر بظهور نبيّ ورجل عظيم منهم، إلا أن سلطان عصبيَّة التقاليد كـــان شـــديدًا لدرجة أنه تغلّب على سلطان عصبيَّة الرحم في نفس واحدة من بني هاشم، هو أبـــو لهـــب الذي شذّ على عشيرته وانضم إلى مناوئيهم استجابةً لعصبيةِ التقاليد الموروثة[٢].

ومن قوة التعصّب للتقاليد نستطيع أن ندرك الحكمة في الإبقاء على كثير من التقاليد التي كان عليها العرب قبل البعثة، وسواء ما كان منها متصلًا بحياة النَّاس الاجتماعيَّة والعائلية أو ما كان له صبغة دينية، فقد كانت التقاليد راسخة بحيث كان النَّاس يعتبروها جـــزءًا مـــن كيانهم الاجتماعيّ الديني، وكان إلغاؤها يمكن أن يحدث كثيرًا من العقبات في سبيل انتشار الدَّعوة الإسلاميَّة، لذلك تدرّج التشريع الإسلامي في كثير من الأمور الاجتماعيَّة كالزواج والخمر وغيرها[٣].

رابعاً : الحسد :

أن من أعظم أسباب التفرقة والعصبية الجاهليَّة الحسد، وهو : تمني زوال النعمة عن الغير، ولقد حذر الله جل جلاله ونبيه ﷺ من الحسد وأمر بالاستعاذة منه[٤]، وورد ذكر الحسد في الكتاب والسنة، ومن ذلك قوله تعـــالى : ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾** ﴾[النساء: ٥٤].

وفي الجامع لأحكام القرآن : " ومعنى (أم يحسدون) يعني اليهود. (النَّاس) يعني النَّبيّ ﷺ خاصة، عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما، حسدوه على النبوة وأصحابه على الإيمان به. وقال قتادة: (النَّاس) العرب، حسدهم اليهود على النبوة، الضحاك: حسدت اليهود قريشا؛ لأن النبوة

---

(١) سيرة ابن هشام، ٢/٢٧.

(٢) مكة والمدينة في الجاهليَّة وعهد الرسول، أحمد الشريف، ٥٩ - ٦١.

(٣) المرجع السابق، ص ٦١.

(٤) كما في سورة الفلق ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ الفلق: ٥.

فيهم، والحسد مذموم، وصاحبه مغموم، وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، رواه أنس عن النَّبيّ ﷺ، وقال الحسن[1] : « ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من حاسد، نفس دائم، وحزن لازم، وعبرة لا تنفد »[2]. وقال عبد الله ابن مسعود: « لا تعادوا نعم الله. قيل له: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون النَّاس على ما آتاهم الله من فضله »[3]، يقول الله تعالى في بعض الكتب: الحسود عدو نعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي. ولمنصور الفقيه :

ألا قل لمن ظل لي حاسدا ❁ أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه ❁ إذا أنت لم ترض لي ما وهب

ويقال: الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء، وأول ذنب عصي به في الأرض، فأما في السماء فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض فحسد قابيل لهابيل.

ولرجل من قريش:

حسدوا النعمة لما ظهرت ❁ فرموها بأباطيل الكلم
وإذا ما الله أسدى نعمة ❁ لم يضرها قول أعداء النعم [4]

والحاسد أساء الأدب مع الله؛ لأنه لم يرض بما وهب الله للمحسود، فهو يدمر الصالحات ويزيد البغضاء والعداء ويزيل المحبة والإخاء .

وقال أبو الأسود:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ❁ فالقوم أعداءٌ له وخصوم

---

(١) هو : الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، سكن البصرة، وتوفي بها سنة ١١٠ه، انظر : الأعلام للزركلي : (٢/ ٢٢٦).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان : (٩/٢٧) ، برقم : (٦٢١١). عن الخليل بن أحمد.

(٣) أورده القرطبي في تفسيره : (٥/ ٢٥١) ، ولم أجد من خرجه من المحدثين في كتبهم بهذا اللفظ.

(٤) تفسير القرطبي، ٥/٢٥٢.

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ❁ حسدا وبغيا إنه لدميم
والوجه يشرق في الظلام كأنه ❁ بدر منير والنساء نجوم
وترى اللبيب محسدا لم يجترم ❁ شتم الرجال وعرضه مشتوم
وكذاك من عظمت عليه نعمة ❁ حساده سيف عليه صروم
فاترك محاورة السفيه فإنها ❁ ندم وغب بعد ذاك وخيم [(١)]

ومن فضيلة الابتعاد عن الحسد ما قاله الماورديّ- رحمه الله-: اعلم أنّ الحسد خلق ذميم، مع إضراره بالبدن، وإفساده للدّين، حتّى لقد أمر الله بالاستعاذة من شرّه، وناهيك بحال ذلك شرّا، ولو لم يكن من ذمّ الحسد إلّا أنّه خلق دنيء، يتوجّه نحو الأكفاء والأقارب، ويختصّ بالمخالط والصاحب، لكانت النزاهة عنه كرما، والسلامة منه مغنما، فكيف وهو بالنّفس مضرّ، وعلى الهمّ مصرّ حتّى ربّما أفضى بصاحبه إلى التلف، من غير نكاية في عدوّ، ولا إضرار بمحسود[(٢)].

ومن علامات الحاسد : " وما لقيت حاسدًا قط إلا تبين لك مكنونه بتغير لونه، وتخوص عينه، وإخفاء سلامه، والإقبال على غيرك، والإعراض عنك، والاستثقال لحديثك، والخلاف لرأيك"[(٣)]، وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، وهي الحالقة، أما إني لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدِّين، والذي نفسي بيده! لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على ما تتحابون به ؟ أفشوا السلام بينكم))[(٤)]. وقوله ﷺ : ((ولا يجتمعان في قلب عبد:

---

(١) انظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر عمر البغدادي، تحقيق : عبد السَّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ، ٥٦٧/٨.

(٢) أدب الدنيا والدين، للماوردي، ٢٧٠/١.

(٣) الرسائل، للجاحظ، ٨/٣-٩.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند : (٢٩/٣)، برقم : (١٤١٢). والترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب، برقم : (٦٦٤/٤)، برقم : (٢٥١٠). وحسن الألباني إسناد الترمذي.

الإيمان والحسد))[1].

ولعلك تتدبر هذه القصة العجيبة التي يرويها لنا الصحابي الجليل أنس بن مالك قال: ((كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال: يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة، فاطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد قال النَّبيّ ﷺ مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حالته الأولى، فلما قام النَّبيّ ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت أبي، وأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فقال: نعم، قال أنس: وكان عبد الله يحدِّث أنه بات معه ثلاث ليال، فلم يره يقوم في الليل شيئاً، غير أنه إذا تعارّ من الليل وتقلب على فراشه ذكر الله حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث، وكنت أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فاطلعت الثلاث مرات فأردت أن آوي إليك، فأنظر ما عملك، فأقتدي بك، فلم أرك تعمل كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال: ما هو إلّا ما رأيت قال: فانصرفت عنه، فلما ولّيت دعاني فقال: ما هو إلّا ما رأيت، إلّا أنّي لا أجد في نفسي على أحد من المسلمين غشاً، ولا أحسده على ما أعطاه الله إياه، قال عبد الله: هذه التي نفعتك، وهي التي لا نطيق))[2].

خامساً : حب الدنيا :

إن من أهم أسباب العصبيَّة القبليَّة العامة هو حب الدنيا والحرص عليها والتفاني من أجلها وهذا ما يدعو القبائل والأفراد للسعي وراء الحطام الفاني والاقتتال عليه طمعاً في

---

(١) رواه النسائي في السنن ، كتاب الجهاد ، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه ، برقم : (٣١٠٩) ، وحسّنه الألباني.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند : (١٢٤/٢٠) برقم : (١٢٦٩٧) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد : (٧٩/٨)، برقم : (١٣٠٤٨) « رواه أحمد والبزار بنحوه ...، ورجال أحمد رجال الصحيح ».

الحصول عليه والتنافس من أجله بأي وسيلة كانت، نعم، فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة .

قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩﴾ [غافر: ٣٩]، قال في الجامع لأحكام القرآن : متاع : أي يتمتع بها قليل ثم تنقطع وتزول، ودار الآخرة هي دار الاستقرار والخلود(١)، وعن المستورد رضي الله عنه قال: قال النَّبيّ ﷺ : « ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بما يرجع »(٢). وما الدنيا بالنسبة للآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها ودوام الآخرة ودوام لذاتها ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر(٣).

قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ [آل عمران: ١٤]، وقال الله تعالى : ﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ٢١﴾ [القيامة: ٢٠ - ٢١].

حبّ الدنيا يقتضي تعظيمها، وهي حقيرة عند الله، ومن أكبر الذنوب تعظيم ما حقَّر الله، وهي سجن المؤمن، وجنة الكافر، وقد لعنها الله وأبغضها ومقتها إلا ما كان له فيها، ومن أحب ما لعنه الله ومقته وأبغضه فقد تعرض للعنه ومقته وغضبه سبحانه.

وحذّر الرسول ﷺ من فتنتها وخداعها، فعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، أَخْبَرَهُ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ، وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ إِلَى البَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ البَحْرَيْنِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ العَلاَءَ بْنَ الحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ

(١) تفسير القرطبي، ٣١٧/١٥.

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، برقم : (٢٨٥٨). والترمذي، أبواب الزهد، باب منه، برقم : (٢٣٢٣). واللفظ له.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحي شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١٩٢/١٧.

البَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَوْا صَلاَةَ الفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ؟ قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَ اللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ))(١).

وعَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ))(٢)، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفَكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟ فَاتَّقُوا فِتْنَةَ الدُّنْيَا، وَفِتْنَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ فِتْنَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ))(٣).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ فقَالَ: ((ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ))(٤).

ومن أحب الدنيا صيرها غايته، وتوسل إليها بالأعمال التي جعلها الله وسائل إليه، وإلى الدار الآخرة، فعكس الأمر، وقلب الحكمة، فانعكس قلبه، وانعكس سيره إلى وراء، وسار في الظلمات، وترك طريق الهدى والنور قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾[الإسراء: ٧٢]، ومحبة الدنيا تعترض بين العبد وبين فعل ما يعود عليه نفعه في الآخرة؛ لاشتغاله عنه بمحبوبه، ومحب الدنيا أشد النَّاس عذاباً بها، وهو معذب في دوره الثلاث: يعذب في الدنيا بتحصيلها، والسعي فيها، ومنازعة أهلها، ويعذب في البرزخ بفواتها والحسرة عليها، وكونه قد حيل بينه وبين محبوبه على وجه لا يرجو

---

(١) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، برقم : (٢٩٦١).

(٢) رواه الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، برقم : (٢٣٣٦). وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء، برقم : (٢٧٤٢).

(٤) رواه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، برقم : (٤١٠٢)، وصححه الألباني.

اجتماعه به أبداً، فيعمل فيه الهم والغم والحزن والحسرة في روحه ما تعمل الديدان وهوام الأرض في جسمه(١).

ومن أحب الدنيا، وآثرها على الآخرة، فهو من أسفه خلق الله، وأقلهم عقلاً، إذ آثر الظل الزائل على النعيم الدائم، والدار الفانية على الدار الباقية، وباع حياة الأبد في أرغد عيش، بحياة إنما هي أحلام ونوم .

وهي دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له، وهي دار ظعن ليست بدار إقامة، مَنْ صح فيها هرم .. ومن استغنى فيها فُتن وطغى .. تُذل من أعزها .. وتُفقر من جمعها .. وهي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه، وصاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه، السار فيها غذاء ضار، وقد وُصِلَ الرخاء منها بالبلاء، وجُعل البقاء فيها إلى فناء، فسرورها مشوب بالحزن، صفوها كدر، وعيشها نكد، وليس لها عند الله قدر ولا وزن(٢).

وقد عرضت الدنيا على النبي ﷺ فأبى أن يقبلها، وكره أن يحب ما أبغض الله خالقه، أو يرفع ما وضع ربه، فزوى الله الدنيا عن الأنبياء والمرسلين والصالحين اختياراً، وبسطها لأعدائه اغتراراً، فيظن المغرور بها القادر عليها أنه أُكرم بها، وشرفه الله بملكه لها، ونسي ما صنع الله بمحمد ﷺ حين شد الحجر على بطنه، وأنه وهو سيد الخلق لم توقد النار في بيته الشهر والشهرين، فقطع حبالها، وأغلق أبوابها، وزهد بسلعها، وما سكنت الدنيا في قلب عبد إلا ابتلي بشغل لا ينفك عناؤه، وأمل لا يدرك منتهاه، فالدنيا طالبة مطلوبة، فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه(٣).

---

(١) موسوعة فقه القلوب، محمد إبراهيم عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، تنسيق وفهرسة علي نايف الشحود، الباحث في القرآن والسنة، ٣٣٩١/٤- ٣٣٩٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) موسوعة فقه القلوب، محمد إبراهيم عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، تنسيق وفهرسة علي نايف =

ما من شك في أن أعظم أسباب طول الأمد وضعف الدين وقسوة القلوب هو حب الدنيا، كما جاء في بعض الآثار أن حب الدنيا سبب كل خطيئة، تأمل في أي ذنب يمكن أن الإنسان يقع فيه تجد أصله وأسه هو حب الدنيا كما قال عز وجل: ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧ ﴾ [الإنسان: ٢٧]، فمن أحب شيئاً شغل به وقدمه على غيره، ويقول عليه الصلاة والسلام: « من أصبح والآخرة همه، جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن أصبح والدنيا همه، شتت الله عليه شمله، وجعل فقره بين عينيه، و لم يأته من الدنيا إلا ما كتب له »[(١)]، ولقد وصف الكافرين في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ٢ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٣ ﴾ [إبراهيم: ٢ - ٣].

سادساً : الكبر

عَن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « قال الله سبحانه: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما، قذفته في النار »[(٢)].

معنى هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه اختص بهما لا يشركه أحد فيهما ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما، لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل، وضرب الرداء والإزار مثلاً، في ذلك يقول – والله أعلم – كما لا يشرك الإنسان في ردائه وإزاره أحدًا، فكذلك لا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق، والله أعلم[(٣)].

=

الشحود، الباحث في القرآن والسنة، ٤/٣٣٩١- ٣٣٩٣.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند : (٣٥/٤٦٧). برقم : (٢١٥٩٠). والترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، برقم : (٤/٦٤٢)، برقم : (٢٤٦٥). وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، برقم : (٤٠٩٠). وصححه الألباني.

(٣) معالم السنن شرح سنن أبي داوود، أبو سليمان حمد الخطابي، المطبعة العلمية حلب، ط١، ١٣٥١هـ.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنا، قال: إن الله جميل يحب الجمال. الكبر: بطر الحق، وغمط النَّاس))(١).

وعن النَّبيّ ﷺ قال : ((ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جوّاظ مستكبر))(٢)، العتل: الغليظ الجافي، والجواظ: الجموع المنوع، والمستكبر: المختال الفخور.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النَّبيّ ﷺ قال : ((يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن من جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار، ويسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال))(٣).

قال عمر بن الخطاب لسلمان : ((يا سلمان ! ما أعلم من أمر الجاهليَّة شيئا إلّا وضعه الله عنا بالإسلام، إلا أنا لا ننكح إليكم، ولا ننكحكم، فهلمّ فلتروجك ابنة الخطاب، قال: أفر والله من الكبر، قال: فتفر منه وتحمله علي ؟! لا حاجة لي به))(٤).

وقد يتكبر من يعرف له علو نسب على من دونه، وربما يأنف من مخالطة النَّاس ومجالستهم، ويجري على لسانه التَّفاخر بنسبه، ولقد روي أن أبا ذر رضي الله عنه قال: قاولت رجلا عند النَّبيِّ ﷺ فقلت له: يا ابن السوداء فغضب ﷺ وقال: ((يا أبا ذر ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل))(٥)، فعليك أيها المؤمن بالتواضع تزدد رفعة وبالعمل بآداب

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، برقم : (٩١).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الكبر، برقم : (٦٠٧١).

(٣) رواه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب، برقم : (٢٤٩٢). وصححه الألباني . والنسائي، كتاب الرقائق، برقم : (١١٨٢٧).

(٤) الزهد ، لابن المبارك : (ص ٥٢) .

(٥) ذكره العراقي في تخريجه لأحاديث إحياء علوم الدين : (١/ ١٢٦٧) ، ونسبه لابن المبارك في البر والصلة ، ولم أجده في المطبوع.

الدّين تزدد من الله قربا ومحبة، وتذكر مبدأك وهو نطفة مذرة، ومنتهاك وهو جيفة قــذرة، فإنك إن عرفت ذلك لم تأخذك العزة في غير الحق، ولم تتعاظم على إخوانك المؤمنين، وإذا ذكرت لله عليك فضلا ونعمة فاذكر أن لذلك نهاية ومتحولا، فإياك والبطر والخيلاء فإنهـا ممحقة للبركة، مذهبة للنعمة(١).

ومن كتاب شرح رياض الصالحين ما يوضح تحريم الكبر وضرره : قَالَ الله تَعَــالَى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص: ٨٣]. العلوّ: الكبر. والفساد: المعاصي، يعني من تَرك ذلك فله الجنة، وقال تَعَــالَى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [لقمان: ١٨]. ومعنى ﴿ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ : أيْ تُمِيلُهُ وتُعرِضُ بِهِ عَنِ النَّاسِ تَكَبُّراً عَلَيْهِمْ. وَ ((الـــمِرَحُ)) : التَّبَخْتُرُ قال ابن عباس: يقول لا تتكبَّر فتحقر النَّاس وتعــرض عنـــهم بوجهك إذا كلَّموك، وقال قتادة: ولا تحقرن الفقراء، ليكن الفقير والغني عندك سواء، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [الإســراء: ٣٧]؛ أي: بطرًا، وكبرًا، وخيلاء، كمشـــي الجبارين ﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ﴾ [الإســراء: ٣٧]، أي: لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها، ﴿ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧]، أي: لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: ((بينما رجل يمشي في من كان قبلكم وعليه بردان يتبختــر فيهما إذ خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة))(٢)، وعـــن أَبي ســـعيد الخدري ﷺ عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: ((احْتَجّتِ الجَنَّةُ وَالنَّـــارُ، فَقَالَـــت النَّـــارُ: فيَّ الْجَبَّـــارُونَ والْمُتَكَبِّرُونَ. وقالتِ الجَنَّةُ: فيَّ ضُعفاءُ النَّاس ومساكينُهُم، فقضى اللهُ بَينـــهُما: إنـــكِ الجَنّـــةُ رَحْمَتِي أرْحَمُ بِك مَنْ أشاءُ، وَإنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أشَـــاءُ، وَلِكِلَيْكُمَـــا عَلَـــيَّ

(١) الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الشاذلي الخولي، دار المعرفه بيروت، ط٤، ١٤٢٣هـ.

(٢) رواه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه، برقم : (٢٠٨٨) ؛ بلفظ : «بينما رجل يتبختر، يمشي في برديه قد أعجبته نفسه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيهـا إلى يـــوم القيامة».

مِلْؤُهَا))[١]، وفي هذا الحديث: دليل على أن غالب أَهل النار الجبارون والمتكبرون[٢].

قال ابن القيم[٣] رحمه الله : أول ذنب عصى الله به أبو الثقلين: الكبر والحرص. فكان الكبر ذنب إبليس اللعين. فآل أمره إلى ما آل إليه. وذنب آدم على نبينا وعليه السلام: كان من الحرص والشهوة. فكان عاقبته التوبة والهداية، وذنب إبليس حمله على الاحتجاج بالقدر والإصرار. وذنب آدم أوجب له إضافته إلى نفسه، والاعتراف به والاستغفار. فأهل الكبر والإصرار والاحتجاج بالأقدار مع شيخهم وقائدهم إلى النار إبليس. وأهل الشهوة: المستغفرون التائبون المعترفون بالذنوب، الذين لا يحتجون عليها بالقدر: مع أبيهم آدم في الجنة. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيميَّة – رحمه الله – يقول: التكبر شر من الشرك؛ فإن المتكبر يتكبر عن عبادة الله تعالى، والمشرك يعبد الله وغيره. قلت: ولذلك جعل الله النار دار المتكبرين. كما قال تعالى: ﴿ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [غافر: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [النحل: ٢٩]، وقال جل وعلا : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الزمر: ٦٠].

وأخبر أن أهل الكبر والتجبر هم الذين طبع الله على قلوبهم. فقال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [غافر: ٣٥][٤].

---

(١) رواه مسلم، كتاب، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم : (٢٨٤٦).

(٢) انظر تطريز رياض الصالحين، فيصل عبد العزيز الحريملي النجدي، تحقيق عبد العزيز آل حمد، دار العاصمة للنشر الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ، ١/٤٠٢.

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، وهو الّذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، توفي سنة ٧٥١هـ، وألّف تصانيف كثيرة من أشهرها : زاد المعاد، وإعلام الموقعين، وغيرها . انظر : الأعلام للزركلي : (٥٦/٦).

(٤) انظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، تحقيق محمد البغدادي، دار الكتاب العربي بيروت، ط٣، ١٤١٦، ٣١٦/٢-٣١٧.

قال ابن قدامة[١] رحمه الله "واعلم: أن الكبر خلق باطن تصدر عنه أعمال هي ثمرتـــه، فيظهر على الجوارح، وذلك الخلق هو رؤية النفس على المتكبر عليه، يعنى يرى نفسه فـــوق الغير في صفات الكمال، فعند ذلك يكون متكبراً، وآفة الكبر عظيمة وقـــد يظهـــر الكـــبر الإنسان بلسانه، كالدعاوى والمفاخر، وتزكية النفس، وكذلك التكبر بالنسب، فالذي لـــه نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملاً، وكذلك التكـــبر بالمال، والجمال، والقوة، وكثرة الأتباع، ونحو ذلك، فالكبر بالمال أكثر ما يجرى بين الملوك والتجار ونحوهم، والتكبر بالجمال أكثر ما يجرى بين النساء، ويدعوهن إلى التنقص والغيبـــة وذكر العيوب، وأما التكبر بالأتباع والأنصار، فيجرى بين الملوك بالمكاثرة بكثرة الجنـــود، وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين، وفي الجملة فكل ما يمكن أن يعتقد كمالاً، فإن لم يكـــن في نفسه كمالاً، أمكن أن يتكبر به، حتى إن الفاسق قد يفتخـــر بكثـــرة شـــرب الخمـــرة والفجور، لظنه أن ذلك كمال[٢].

واعلم أن التكبر يظهر في شمائل الإنسان، كصعر وجهه، ونظره شزراً، وإطراق رأســـه، وجلوسه متربعاً ومتكئاً، وفى أقواله، حتى في صوته ونغمته، وصيغة إيراده الكلام، ويظهـــر ذلك أيضاً في مشيه وتبختره، وقيامه وقعوده وحركاته وسكناته وسائر تقلباته[٣].

وقال الماوردي : أما الكبر فيكسب المقت ويلهي عن التألف ويوغر صدور الإخـــوان، وحسبك بذلك سوءا عن استقصاء ذمه. ولذلك قال النبي ﷺ لعمه العباس : « أنهاك عـــن

---

(١) عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقيّ الحنبلي، أبو محمد، موفق الدين، فقيه، من أكابر الحنابلة، له تصانيف كثيرة في الفقه الحنبلي وغيره، توفي سنة ٦٢٠ه، من أشهر تصانيفه : المغـــني . انظـــر : الأعلام للزركلي : (٦٧/٤).

(٢) انظر مختصر منهاج القاصدين، نجم الدين أبو العباس أحمد عبد الرَّحمن ابن قدامه المقدسي، مكتبة دار البيان دمشق، ١٣٩٨هــ، ٢٢٧/١-٢٣٠.

(٣) المرجع السابق ، ٢٢٧/١-٢٣٠.

الشرك بالله والكبر، فإن الله يحتجب منهما))[1][2].

كــــم جاهــــل متواضـــــع ❁ ســـــتر التواضـــــع جهلــــــه
ومميــــــــز في علمـــــــــه ❁ هــــــدم التكــــــبر فضـــــله
فـــدع التكــــبر مــــا حييـــت ❁ ولا تصـــــــاحب أهلــــــــه
فــــالكبر عيــــب للفتــــى ❁ أبــــــدا يقـــــبح فعلـــــه [3]

والكبر شيء دخيل في النفس، يقـول الله تبـارك وتعـالى : ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾[غافر: ٥٦]. قال ابن عباس: أي: عظمة، وإذا ظهر هذا على الجوارح من لي للعنق وغرور، ومن تصعير للخد، ومن خيلاء في النفس فهذا يسمى تكبراً، فالتكبر عمل الجوارح، وثمرة الكبر نداء الباطل[4].

المطلب الثاني : أسباب العصبيَّة القبليَّة الخاصة

أولاً : الحاجة للأمن وشح الموارد[5] :

إن مما يبرر نشوء العصبيَّة القبليَّة انعدام حالة الأمن في الجزيرة العربية وظروف الحيـاة الصحراوية في العصور السَّابقة حتى أصبحت العصبيَّة القبليَّة وسـيلة للـدفاع والتناصـر والتعاضد، ومن هنا كانت وحدة الدم تدفع القبائل لمساعدة بعضها البعض، بل إن فائـدة

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى ، كتاب عمل اليوم والليلة ، باب أفضل الذكر وأفضل الـدعاء ، بـرقم : (١٠٦٠٠). و لم أجد من العلماء من تكلم فيه.

(٢) انظر أدب الدنيا والدين، الماوردي، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م، ١/٢٣٦.

(٣) انظر، الموسوعة الشاملة للحكم والامثال، وهذه الابيات : لـــ : أحمـد محمـد الواسـطي الـرابط : http://www.islamport.com/.

(٤) محمد إسماعيل المقدم، دروس صوتية مفرغة، http://www.islamweb.net.

(٥) أراد الباحث ضم شح الموارد كسبب للحاجة للأمن فكما أن الامن في النفس والمال والعرض فهو بحاجـة للأمن الغذائي حيث وجود شح الموارد ولأهميته ادرجناه هنا.

النسب هي هذه العصبيَّة[١]. ولولا العصبيَّة القبليَّة لهلك الضعيف وسيطر القوي، إلا أن العصبيَّة كانت تدفع القبائل وخاصة الضعيفة منها إلى طلب الحلف مع الأقوى طلباً للمحافظة على كيانها ووجودها[٢]. لقد كانت العصبيَّة القبليَّة كالدولة للرجل الحديث وصارت الوطنية العربية وطنية قبلية لا جنسية[٣].

ويجب أن لا ننسى أن نهوض نظام القبيلة في تاريخ البشر إنما صار في القديم، طلباً لتكوين مجموعة آمنة تستطيع حماية أفرادها وتأمين معاشهم، وهو ما كون خلية معاشية وثقافية يركن إليها الفرد ويحتمي بها، وهذا هو منشأ القبيلة وسبب وجودها، وهو سبب يتكرر كلما لاحت لوائح الخوف من الأوضاع، وذلك ما سبب اللجوء إلى هذا النوع من التحصين[٤].

والواقع أن طبيعة الجزيرة العربية والحياة التي كان يحياها العربي هي التي فرضت عليه ظاهرة القبيلة التي كانت كل شيء، والجزيرة كبيرة موحشة ومترامية الأطراف تخلو من الدولة والقانون، فكان حماية القبائل لأفرادها ضرباً من الواجب يفرضه قانون العصبيَّة[٥].

لقد خلت الجزيرة من النظام والقانون برهة من الزمن، وكان نظامها السياسي أشبه بمجموعة من القيادات المحلية المتناثرة هنا وهناك، ولم يكن سيد القبيلة جبارًا فيها يهضم من حوله، بل كانت القبيلة تحمي كل امرئ فيها، وتضرب سياجًا منيعًا حول حرماته، ما الذي كان يحمي الدماء والأموال والأعراض في تلك الفجاج الفسيحة؟ مع العلم بأنه لم تكن ثم سلطة مرهوبة ولا قوانين مكتوبة؟ إن العصبيَّة الهائلة التي شدت أفراد كل قبيلة بعضهم إلى بعض، وجعلت من الجماعة كيانًا متماسكًا موصول الشعور، هذه العصبيَّة القبليَّة، كانت

---

(١) شرح مقدمة بن خلدون، وافي، ٢/٤٢٥.

(٢) انظر العصبيَّة القبليَّة، خريسات، ٨٩.

(٣) تاريخ الشعر السياسي، أحمد الشايب، النهضة المصرية، ١٩٦٦م، ص ٢٤.

(٤) انظر القبيلة والقبائلية، الغذامي، ٢٠٦.

(٥) انظر العصبيَّة القبليَّة، خريسات، ٥٦٣.

محور النظام الذي شاع في تلك الأرجاء البدائية، فالجماعة مسئولة عن الفرد، والفرد مسئول عن الجماعة، وفي الخير والشر والخطأ والصواب كانت هذه العصبيَّات تنطلق من مكانها متلاحمة لا يردها شيء.. وقد أتاح هذا النظام لكل أحد من القبيلة قدرًا من الأمان يحيا في ظلاله وافرًا، إذ أن العدوان عليه ليس عدوانًا على امرئ فذ، بل على قبيلة بأسرها[١].

والأمن تعبير وحالة يوجد عليها الكائن الحي، وبالحصول عليه تستكمل مطالب الإنسان من الاستقرار، فهناك من يبحث عن المأوى، قال تعالى : ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الحجر: ٨٢]، وإذا تحقق أمن السكن طلب الطعام قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾[قريش: ٤]، وإذا تحقق لدى الإنسان المأوى والطعام فإن الأمن يكتمل باستقرار الرزق والعيش، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾[النحل: ١١٢]. وإن حاجة الإنسان للأمن حاجة طبيعية غريزية حتى تصل حالته النَّفسيَّة للاطمئنان إذا توفرت متطلباته، ولذلك فإن الله عز وجل وفرها لآدم في الجنة، قال تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾[طه: ١١٨ – ١١٩]، وبينه الرسول ﷺ فقال : « من أصبح منكم اليوم معافى في بدنه، آمناً في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا »[٢].

لقد كان شح الموارد من أهم الأسباب التي أدت للتنازع والتعصب القبلي حيث كانت الموارد المائية أو الآبار مثلاً أسرع ما تبحث عنه القبيلة كي تستقر عليه وتكتفي به ثم تحافظ عليه ويصبح ملكاً لها تنازع عليه وتقاتل من أجله .

وكذلك فإن شظف العيش ونقص الغذاء الضروري في حياة القبائل سواءً من تمر ودقيق وأرز كان سببًا للنَّزعة القبليَّة، فلقد كان الحصول على هذه الأشياء الضّروريّة ليس بالأمر

---

(١) الخديعة حقيقة القومية العربية، محمد الغزالي، ٢٩.

(٢) رواه الترمذي، أبواب الزهد، باب، برقم : (٢٣٤٦) . وابن ماجه، كتاب الزهد، باب القناعة، برقم: (٤١٤١).

الهين؛ وذلك لقلته وندرته وصعوبة إيجاد قيمة شرائه، وهذا يختلف بحسب الحال من قبيلة لأخرى .

ثانياً : طبيعية النفس البشرية الميل للعصبيَّة :

إن من غرائز النفس البشرية وطبيعتها أن تميل إلى التعصب للقبيلة والقرابة والدم : "واعلم أن التعصب داء دفين في الإنسان كامن في كمون النار في الزند والدهن في اللبن، فقلما يسلم منه أحد، عند وجود دواعيه وحصول أسبابه المقتضية له إلا من لطف الله به وعصمته العناية الإلهية منه، فإنّ الميل للعصبيّة يحرك الأعصاب لأتفه الأسباب ويثير الفتنة بين الأصدقاء والأحباب "(١).

قال ابن خلدون في مقدمته "إن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه، ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك، وهذا طبيعة في البشر مذ كانوا، وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة على ذوي أرحامهم وأقربائهم موجودة في الطبائع البشرية، وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رهبة العدو لهم "(٢).

وقد بلغت خطورته أن وقع في شبكته بعض الأكابر من العقلاء والعلماء، وفي حالة الضعف البشري وفي أوَّل الإسلام أصاب بعض الصَّحابة بللها في بعض الحالات ثيابهم النقية، لكنها كانت لا تثبت في قلوبهم الطاهرة النيرة إلا لحظة أو لحظات يسيرة فيتنبهون بأسرع وقت، ويتذكرون أن ذلك خطفة شيطانيه أو انفعال نفساني فيعودون مسرعين إلى هديهم ووقارهم ومعالي أخلاقهم فهم ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[الأعراف: ٢٠١](٣).

ومن ذلك هذه القصة الواردة عند البخاري في باب حديث الإفك من كتاب المغازي

---

(١) انظر المنح الوهبية في ذم العصبيَّة ، عثمان شيخ عمر ، ٥٠.

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٨.

(٣) انظر المنح الوهبية في ذم العصبيَّة ، عثمان شيخ عمر ، ٥١.

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ((استعذر[١] رسول الله ﷺ من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال : يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي ؟ والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما يدخل على أهلي إلّا معي قالت : فقام سعد ابن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال : أنا يا رسول لله أعذرك، فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت : فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عباده وهو سيد الخزرج، قالت : وكان قبل ذلك رجلًا صالحاً، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، قالت : فثار الحيّان الأوس والخزرج حتى همّوا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، قالت : فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت))[٢].

وهذه الغريزة يجب كسر جماحها من النفس بالعودة لحكم الله ورسوله ﷺ وترك هوى النفس وميولها وأن العصبيَّة لوثة من الجاهليَّة، والباحث هنا لا يذكر أنها طبيعة ليقلل من خطرها وخطر التعصب المذموم، وإنما ليؤكد أن النفس البشرية يلحقها نزع الشيطان وطائفه .

ولقد تغلغلت العصبيَّة في نفوس وقلوب كفَّار قريش، فهذا أبو جهل لما رأى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقبل عليه ليجهز عليه ويطأ على رقبته، فقال والحسرة تعصر قلبه : لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقاً صعباً، فقال له : إني قاتلك. قال: ما أنت بأول عبد قتل

---

(١) قال في فتح الباري شرح هذا الحديث معناه من ينصفه أو من ينتقم لي منه : ٤٧٠/٨.

(٢) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، برقم : (٢٧٧٠).

سيده[١]، أما إن أشد شيء لقيته اليوم قتلك إياي وإلا قتلني رجل من المطيبين الأحلاف[٢] . لقد رافقت العصبيَّة أبا جهل حتى آخر لحظات حياته فقد أنف أن يقتله عبد، وتمنى لو كان قتله على يد رجل من المطيبين أو الأحلاف .

ثالثاً : حب الظهور والزعامة والمناصب :

لقد حذّر رسول الله ﷺ من الحرص والتقدم والرغبة في الرئاسة والإمارة، بقوله: ((إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة، وبئس الفاطمة))[٣]، قوله: نعم المرضعة أي أوّلها؛ لأن معها المال والجاه واللذات، وقوله: بئس الفاطمة أي: آخرها؛ لأن معه القتل والعزل والمطالبة بالتبعات يوم القيامة، وقال عليه الصلاة والسلام: ((إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هي، أوّلها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة، إلّا من عدل))[٤]، ولو كان الأمر قياماً بالواجب وحملاً للمسؤولية في موضع لا يوجد من هو أفضل منه مع بذل الجهد والنصح والعدل كما فعل يوسف عليه السلام إذاً لقلنا أنعم وأكرم، ولكن الأمر في كثير من الأحيان رغبة جامحة في الزعامة وتقدم على الأفضل وغمط أهل الحقوق حقوقهم واستئثار بمركز الأمر والنهي، ومحبة تصدر المجالس والاستئثار بالكلام وفرض الاستماع على الآخرين وأن يكون الأمر له، وصدور المجالس هي المحاريب التي حذرنا منها رسول الله ﷺ بقوله: ((اتقوا هذه المذابح يعني المحاريب))[٥]،

---

(١) لم يذكر أحد ــــ حسب علمي ــــ أنّ ابن مسعود كان عبدًا ــــ إلا ما جاء في الكامل ، ومغازي الواقدي ــــ وإنما كان أجيرًا يرعى غنما لعقبة بن أبي معيط ، ولذلك وصفه أبو جهل برويعي الغنم .

(٢) الكامل ، ابن الاثير ، ٢/٨٨.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة، برقم : (٧١٤٨).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط : (٧/٢٦)، برقم : (٦٧٤٧). وذكره الألباني في السلسة الصحيحة : (٤/٨٤)، برقم : (١٥٦٢).

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير : (٨/٦٠)، برقم : (١٢٩٢٢). قال الهيثمي في مجمع الزوائد : (٨/٦٠)، برقم : (١٢٩٢٢) : « رواه الطبراني، وفيه عبد الرَّحمن بن مغراء، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه ابن المديني في =

وكذلك محبة أن يقوم النَّاس له فهو من التعاظم في النفس المريضة ودائما مثل هذا النوع من النَّاس كثيراً ما يعتريه الغضب(١).

ويقول ابن خلدون : "إن الرئاسة على أهل العصبيَّة لا تكون في غير نسبهم، وذلك أنّ الرّئاسة لا تكون إلّا بالغلب، والغلب إنّما يكون بالعصبيّة، فلا بُدَّ في الرّئاسة على القوم أن تكون من عصبيّة غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة؛ لأنّ كلّ عصبيّة منهم إذا أحسّت بغلب عصبيّة الرّئيس لهم أقرّوا بالإذعان والاتّباع"(٢).

وقال : أن المغالبة والممانعة أنما تكون بالعصبية لما فيها من النُّعَرَة والتذامر واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه، ثم إن الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذ النفسانية، فيقع فيه التنافس غالباً، وقَلَّ أن يسلمه أحد لصاحبه إلا إذا غلب عليه، فتقع المنازعة وتفضي إلى الحرب والقتال والمغالبة، وشيء منها لا يقع إلا بالعصبية(٣).

لا تستعجل الرئاسة فإنك إن كنت أهلاً لها قدَّمك زمانك، وإن كنت غير أهل لها كان من الخير لك أن لا ينكشف نقصانك(٤).

وحب الرئاسة والشهرة هذا الداء قَلّ من يتفطّن له أوْ قَلَّ من يتخلص منه لأنه مُغْرٍ وفي الغالب خفاؤه على صاحبه، وهو داء يخافه السلف على نفوسهم غاية الخوف؛ لعلمهم بأنه قاطع عن مطلوبهم؛ إذا هو في زماننا مجال منافسة ومطلب مرغوب فيه أشدّ الرغبة، أما ترى

=

روايته عن الأعمش وليس هذا منها» . وهو في صحيح الجامع الصغير وزيادته: (٨٥/١)، برقم : (١٢٠).

(١) انظر ظاهرة ضعف الإيمان الأعراض والأسباب والعلاج، محمد صالح المنجد، مطبعة سفير بالرياض، الأولى ١٤١٣هـ، ١٣.

(٢) المقدمة، ابن خلدون، ص ١٣١.

(٣) المرجع السابق ص ١٥١.

(٤) هكذا علمتني الحياة، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي الرابعة ١٤١٨هـ ص ٨٦.

هذه الشارات والتسابق إليها، قال سفيان: من أحب الرياسة فَلْيُعِدّ رأسه للنطاح، يريد رحمه الله أنه يُبتلى بمن يُنافسه عليها، فيكون بينه وبينه ما يكون بين المتنافسين غالباً من المنازعات والصراع؛ لأنها مطلب قاطع عند أرباب السلوك، قال إسحاق بن خلف: والله الذي لا إله إلا هو، لإزالة الجبال الرواسي أيْسر من إزالة الرياسة، والمراد هنا أنها في الغالب تخفى على صاحبها، وقد يعلم في نفسه ذلك، لكن حبها متمكّن من قلبه، لكن من وفقه الله للإخلاص زال عنه ذلك، وقال الفضيل بن عياض: ما من أحد أحب الرياسة إلا حَسَد وبغى وتتبّع عيوب النَّاس وكره أن يذكر أحدًا بخير، وذكر العلماء أن طالب الرياسة تُرضيه الكلمة التي فيها مدحه وإن كانت بالباطل، وكذلك طالب المال، وتغضبه الكلمة التي فيها انتقاده ولوْ كانت بالحق(١).

ومن عادات القبائل المنافسة والمسابقة على تولية المناصب، فيبذلون المهج والأموال الكثيرة في ذلك، بل يقتل بعضهم بعضا أحياناً لتولي المنصب الواحد، وقد يهلك على ذلك كثير من النَّاس، وهذه من عادات القبائل السيئة والمستغربة عقلاً الممنوعة شرعاً، وليس لها مبرر أو مسوغ سوى قولهم : إنّا غلبنا بني فلان على المنصب ويكونوا أذلاء يزدريهم النَّاس ويسبوهم في المحافل والمجامع، فيحرص الشباب على القتال حماية لشرف القبيلة وحراسة لمجدها الأصيل(٢).

وروي عن عامر الشعبي، قال : لما قاتل مروان بن الحكم الضحاك بن قيس، أرسل إلى أبي أيمن بن خريم الأسدي الصحابي رضي الله عنه، فقال : إنا نحب أن تقاتل معنا، فقال : إن أبي وعمي شهدا بدراً وعهدا إلى أن لا أقاتل أحدا يشهد أن لا اله إلا الله، فإن جئتني ببراءة من النار قاتلت معك، فقال : أذهب ووقع منه وسبّه فأنشأ أبو أيمن يقول :

ولست مقاتلا رجلاً يصلي ❀ على سلطان آخر من قريش

---

(١) انظر بيان العلم الأصيل والمزاحم الدخيل، عبدالكريم صالح الحميد، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤٢٤هـ، ص٦١-٦٢-٦٤.

(٢) المنح الوهبية في ذم العصبيَّة، عثمان شيخ عمر، ص٧١.

أقاتل مسلماً في غير شيء ❁ فليس بنافعي ما عشت عيشي
له سلطانه وعليّ أثمي ❁ معاذ الله من جهل وطيشي [1]

وفي الحديث : ((من أسوأ النَّاس مترلة : من أذهب آخرته بدنيا غيره))[2][3].

وحب الظهور داء عظيم وشر مستطير، ناهيك إذا رافقتها كلمة الأنا التي تخفي تحتها أمراضاً وأدواء، من العُجب والاستعلاء، والأنانية والكبرياء إنها كلمة تحمل في طياها لغة الغرور، ونزعة التزاهي، ولهجة النكران، ومنطق الجحود، إنها الكلمة التي استخدمها إبليس في المحاجة والمعاندة، فقال : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢]. إنها الكلمة التي رددها فرعون وباهى بها، فقال : ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال : ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ [الزخرف: ٥٢]، وهي الكلمة التي فاخر بها صاحب الجنتين، فقال لصاحبه وهو ظالم لنفسه: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الكهف: ٣٤]، وهي الكلمة التي استشرها قارون في نفسه، فقال ناسباً ثراءه إلى عندياته : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص: ٧٨]، عافانا الله وإياكم من هذا الداء الذي سبب للإنسان تعصباً لنفسه ولمن حوله من مؤيديه .

رابعاً : الانتصار للقرابة والعاطفة الأسرية :

إنَّ من عادات القبائل وطبائعهم الميول والعاطفة لقرابتهم عند الدعاوى والشهادات ونحوها، ويعدون ذلك فيما بينهم مدحاً وشرفاً ويفتخرون به، فترى أحدهم يتبجح بأنه شهد لقريبه الظالم تعصباً له، أو قضى له غير حقه أو عيّنه أو قدّمه ونحو ذلك، فيقول : أنا رجل قبلي

---

(١) انظر أسد الغابة ، ابن الاثير، ١/١٦٠.

(٢) رواه ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب إذا التقى بسيفهما ، برقم : (٣٩٦٦) ، بلفظ : «من شر الناس مترلة عند الله يوم القيامة ، عبد أذهب آخرته بدنيا غيره» . وضعفه الألباني.

(٣) انظر الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي رواه البيهقي، ١/٧٧.

قائم لمصالح قبيلتي ولا يدري أنه باع آخرته بدنيا غيره، وقد قال رسول الله ﷺ : ((من أسوا النَّاس منزلة : من أذهب آخرته بدنيا غيره))(١)، والواجب على كل مسلم حتماً أن يعدل بين قرابته وغيرهم في فصل التنازع والإصلاح بين المتخاصمين والشهادة والقضاء وتولية المناصب ونحوها(٢).

قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[الأنعام: ١٥٢]. قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية : بين سبحانه وتعالى أنه يجب أن يسوى فيه أي القول بين القريب والبعيد؛ لأنه لما كان المقصود منه طلب رضوان الله تعالى لم يختلف ذلك بالقريب والبعيد(٣)، وقال ابن كثير في تفسيرها : يأمر بالعدل في الفعال والمقال على القريب والبعيد(٤).

وقال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)﴾[النساء: ١٣٥]. وقال ابن كثير في تفسيرها : أي فلا يحملنكم الهوى والعصبية على ترك العدل(٥). وفي الدر المنثور : كان الرجل يكون عنده شهادة قبل ابنه أو عمه أو ذوي رحمه، فيلوي بها لسانه أو يكتمها، فنزلت : ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾(٦).

وكان رسول الله ﷺ يستوي عنده المؤمنون أحراراً كانوا أو عبيداً، أغنياء كانوا أو

---

(١) سبق تخريجه ص ١٠١ .

(٢) المنح الوهبية في ذم العصبيَّة، عثمان شيخ عمر، ٧٣.

(٣) مفاتيح الغيب، محمد عمر الحسن التيمي الرازي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ١٣/١٨٠.

(٤) تفسير ابن كثير، ٣/٣٦٥.

(٥) تفسير ابن كثير، ٢/٤٣٣.

(٦) الدر المنثور، السيوطي، ٢/٧١٥.

فقراء، أعزاء كانوا أو أذلاء، ولا يفضل بعضهم على بعض إلا بالتقوى والعمل الصالح، وكان أقرب الصحابة إليه أبا بكر، ولم يكن أقربهم إليه نسباً، وكان ممن يقرّبهم إليه بلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين(١).

ولقد أحرقت العصبيَّة في صدر الإسلام من سار في صحرائها القاحلة الجافة من أهل الردة، فإن ردة الكثير منهم إنما كانت عن عصبيَّة وللعصبية وبالعصبية، وقد أقروا بأنفسهم بذلك، فهذا كبير الدجالين والكذابين مسيلمة الكذاب يهذي بقول سخيف وكلام ممجوج يقلد القرآن الكريم، ومع هذا فكان الملأ من كبار القوم وزعمائهم يشهدون بصدق الرسول ﷺ، ولكنهم يتبعون مسيلمة الكذاب عصبيَّة منهم، وهذا أحد كبارهم وزعمائهم ويدعى طلحة النمري قال له بعد أن سمع ترهاته "أشهد أنك كذاب - صيغة مبالغة - وأن محمداً صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إليَّ من صادق مضر "(٢).

وهذا الأسود العنسي الكذاب ادعى النبوة في اليمن، وزعم ما زعم كاذباً أن قريشاً استأثرت بالأمر دون اليمن، وكان يردد هذه الأكاذيب قاصداً إثارة ما خمد من العصبيَّة الجاهليَّة، فكل قبيلة تعصبت لنبيها المزعوم عصبيَّة منهم، فإن لم يجدوا ذكراً نصبوا امرأة واتبعوها، ومن هنا ظهر مسيلمة الكذاب في بني حنيفة، وطليحة في بني أسد، وسجاح في بني تميم، والأسود العنسي في مذحج، وعلى نفس المنوال نجد أم قرفة وأم زمل وغيرهما(٣).

خامساً : النظم الإدارية التي تمارس من خلالها العصبيَّة :

لقد كانت هناك بعض التنظيمات الإدارية التي كانت عاملاً وسبباً مباشراً كان أو غير مباشر للعصبيَّة القبليَّة قديماً وحديثاً، ومن هذه النظم الإدارية في الوقت الحديث والتي كانت سبباً في التنافس والشحناء بين أفراد القبائل والقبيلة عموماً ما هو معمول به في أنظمة بعض البلاد العربية ومن ذلك :

---

(١) المنح الوهبية في ذم العصبيَّة، عثمان شيخ عمر، ٧٣.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ٦/٣٢٧.

(٣) العصبيَّة، عبدالملك الشيباني، ٦٠ - ٦١.

١ – ترشيح وتعيين المشايخ والمعرفين لكل قبيلة، والحاجة للشيخ أو المعرف في القبيلة أمر مهم وحتمي، ولكن يحدث تبعاً لذلك بعض السلبيات التي تقع وهي موجودة تعرف بالواقع والمشاهدة، فنجد أن كثيراً من أبناء القبائل يتنازعون على مشيخة القبيلة وتعيينه أو ترشيحه من جهة الاختصاص بوزارة الداخلية، ويحصل عند ذلك معارضات من أفراد القبيلة نفسها، وهذا يقع غالباً عند وفاة شيخ القبيلة أو عجزه أو عندما تريد أحد أفخاذ القبيلة بعد كثرتها وزيادة عددها الاستقلال بنفسها عن تبعية الفخذ الآخر .

وكثيراً ما تقع النزاعات والخصومات والمنافرات والتهاجر والتقاطع بسبب هذا الختم الذي يسعون للحصول عليه أو منع أحد من أخذه، وقد تطول هذه الخصومة وتتطور إن لم تتدخل لجان الإصلاح وأهل الخير في إنهاء تلك المشاحنة، خصوصاً مع كثرة أعداد القبائل والزيادة المستمرة في السكان ونمو الأفراد، حيث ترى المنافسة على تولي هذا المنصب والحرص على الزعامة والاستقلال ووقفت بنفسي على كثير من القضايا استمرت وأصبحت بينهم شكاوى كيدية لأجل الصراع على هذه المشيخة[١].

وشيخ القبيلة في الماضي كانت له صلاحيات مطلقة في قبيلته، فكان هو الآمر الناهي في القبيلة بمساعدة العرفاء والأعيان وأهل الحل والعقد، أو المستشارين في القبيلة، فكان يسن الشرائع ويصدر القرارات بناءً على متطلبات القبيلة من ترحال وانتقال أو غزو وحروب أو إصلاح وتحاكم إلى غير ذلك، أما في الوقت الحاضر ومع كثرة مراكز الشرط الأمنية وعمد الأحياء والمراكز الحكومية والمحافظات والمحاكم الشرعية، كل هذا قلّل من دور شيخ القبيلة مع أهميته في النواحي الأمنية والاجتماعيَّة ومع ذلك يبقى بجهوده وأعماله ورمزاً بانتمائه لوطنه وولاة أمره .

ولشيخ القبيلة صفات وخصائص يجب توفرها فيه للقيام بمهامه ولكي يتضلع بهذه المكانة منها : سداد الرأي وبعد النظر والحلم يرافقها حكمة وحسن سياسة، ويكون ممن يتوفر لديه المال الذي يصاحبه الكرم والجود والسخاء وبذل الندى لأبناء القبيلة، ومن الصفات كذلك

---

(١) وذلك من خلال عملي رئيساً للجنة إصلاح ذات البين التابعة لجمعية مراكز الأحياء.

الشجاعة ورباطة الجأش والنصرة ونجدة الملهوف مع تواضع وسمت وهيئة حسنة، ولابد أن يحمل الغيرة على مصالح القبيلة والحرص عليها، وتقديمها على كل شيء وجمع الديات والغرم حال وقوعها في القتل وما دون ذلك، وليس شرطاً توفرها مجتمعة فبعضها يرفع ويكمل الأخرى، وغالباً ما يرث الشَّيخ سيادته عن آبائه وإلى ذلك يشير معاوية بن مالك سيد بني كلاب والملقب بمعود الحكماء حيث يقول :

إني امروء من عصبة مشهورة ❀ حشد لهم مجد اشمت تليد
ألفوا أباهم سيدا وأعانهم ❀ كرم وأعمام لهم وجدود
نعطي العشيرة حقها وحقيقها ❀ فيها ونغفر ذنبها ونسود
وإذا تحملنا العشيرة ثقلها ❀ قمنا به وإذا تعود نعود [١]

٢ – ترشيح أعضاء البرلمانات والبلديات والمجالس والجمعيات عن طريق الانتخابات، والتي يقع فيها التعصب القبلي دون النظر للأجدر أو الأكفأ، ويحدث ذلك في كثير من الدول في الخليج سواءً في السعودية في الانتخابات البلدية أو في الانتخابات البرلمانية، وهذا كاتب كويتي يتحدَّث عن تجربة القبائل في انتخابات الكويت حيث يقول :

الانتخابات الفرعية للقبائل هي مقبرة للكفاءات، فهي عبارة عن احتكار القبائل الكبيرة في الدائرة الانتخابية للمناصب التشريعية، ونادرا ما تستطيع الكفاءات من القبائل الصغيرة أو من كان من غير القبائل كسر هذا الاحتكار الانتخابي، والانتخابات الفرعية هي أيضا عائق كبير إمام بعض الكفاءات من القبائل الكبيرة، إذ تتحول هذه القبائل إلى أقليات في دوائر أخرى فتواجه احتكارا من قبائل أخرى ذات كثافة عالية؛ لأنها تنتمي إلى فروع (فخوذ) صغيرة[٢].

ومن الخطأ أن تعتقد أية قبيلة أن لها مصلحة تختلف عن القبيلة الأخرى، فإذا اعتقدت

(١) المفضليات، قصيدة رقم ١٠٤، ص ٣٥٤-٣٥٥.

(٢) لا للتعصب العرقي، عيد بطاح الهويسين، ص٦٦ وما بعدها.

بأن لك مصلحة غير مصلحة شقيقتك وهي غير مصلحة أسرتك أو قبيلتك أو وطنك، فأنت مخطئ، وإذا ظننت أن قوتك هي أن تكون أقوى من أخيك فأنت مخطئ، فـالقوة هـي أن تكونا معا قويين، وأقوى من أعداء وطنكما، وكذلك بالنسبة للمصلحة فيما يجعل الـوطن أقوى ويحقق مصالحها، فيه مصلحة قبائلنا، وبالتالي فأية مصلحة تتعارض مع المصلحة (الأم) وهي مصلحة الوطن، فلاشك أنها مصالح وهمية لا علاقة لها بالمصالح الحقيقية لقبائلنا[١].

والانتخابات عبارة عن إعلان صريح وواضح بأن الواسطة عملية صحيحة ومقبولـة، فالناخب عليه أن ينتخب ابن قبيلته سواء كان الأفضل أو الأسوأ، ولا مكان لمبدأ الرجـل المناسب في المكان المناسب فلا وزن للعلم، ولا الأمانة، ولا الأخلاق ولا الخبرة، فالمهم هو الانتماء العرقي وفي هذا انحراف كبير جدا عن مبادئنا الإسلاميَّة ومصـالحنا الوطنيـة؛ لأن الواجب الشرعي يدعونا لأن نختار الأفضل[٢].

وقد حولت الانتخابات الساحة الانتخابية إلى تنافس بين قبائل أو بالأحرى إلى تنـافس بين مرشحين يستغلون قبائلهم في تنافس غير منصف فالكل يرفع الشعار الجاهلي (لا صوت يعلو فوق صوت التنافس القبلي) فقد عميت البصائر، وضاعت الأهـداف المرجـوة مـن الانتخابات النيابية، فالقضية تحولت من اختيار أفضل المرشحين لتمثيل الشعب إلى تنـافس قبلي جذوره تمتد للعصور الجاهليَّة قبل الإسلام[٣].

واقرأ هذا الخبر الصحفي عن الانتخابات البلدية بالسعودية : تخوفات تسـود أروقـة الانتخابات من سيطرة "التحالفات القبليَّة" على تسيير أصوات الناخبين في اختيار مرشحي القبائل، الأمر الذي دفع بالبعض إلى وصف الانتخابات البلدية بـــ"الانتخابات القبليَّـة" ويرى أصحاب ذلك الرأي أن نفوذ القبيلة السياسي سيؤدي لما أسموه "تغييب المؤسسـات المدنية والمجتمع الواعي الذي يقوم على الكفاءة لا العصبيَّة القبليَّة"، إلا أن آخرين دافعوا عن

(١) المرجع السابق ص٦٦.

(٢) المرجع السابق ص٧١.

(٣) المرجع السابق ص٧٢.

دور القبيلة في الانتخابات، وقالوا : إن حراكهم في الانتخابات "حق مشروع وفقاً للتركيبة السكانية التي تقوم عليها المملكة"(١).

وحذَّر ناشطون حقوقيون بالجمعية الوطنية لحقوق الإنسان بالسعودية ممَّا أسموه من التمدد القبلي في انتخابات الدورة الثانية، وقال في حديثه : "إن هناك دورا خفيا غير معلن بالتأكيد في دعم مرشحين من قبيلتهم أو حتى في تحالفات قبلية أخرى في اقتسام المقاعد الداخلة في ترشيح الناخبين وهذا يشكل عبئاً على شكلية الانتخابات الجارية "(٢) .

سادساً : ضعف دور المؤسسات التربوية في توجيه العصبيَّة :

إن من أسباب العصبيَّة القبليَّة في المجتمع المسلم هو ضعف دور المؤسسات التربوية في التربية الإسلاميَّة والتي لها دور عظيم في بناء المجتمعات بناءً سليماً خالياً من كل ما يؤثر فيه سلباً ويقوده إلى التشرذم والتفرق الذي يعقبه الضعف والسقوط، وإن المستقرئ لواقع المؤسسات التربوية في المجتمع وأعني بها تلك البيئات والأوساط التي تساعد الإنسان على تحقيق الحياة السعيدة المبنية على الكتاب والسنة يجد أن هناك ضعفاً وقصوراً عند هذه الحاضنات التربوية مما يجب تشخيصه وعلاجه والسعي الحثيث للقيام بذلك على الوجه الأكمل حتى تتحقق لنا الخيرية التي وعد الله بها أمة محمد ﷺ، ومن أهم وأبرز المؤسسات التربوية وأعظمها أثراً والتي لها دور رئيس في نجاح الأمم : (الأسرة، المسجد، المدرسة، الإعلام) .

أولاً : الأسرة والمنزل

وهي الخلية الأولى التي يتكون منها نسيج المجتمع، كما أنها الوسط الطبيعي الذي يتعهد الإنسان بالرعاية والعناية منذ سنوات عمره الأولى، وقد حث الإسلام على تكوينها والاهتمام بها لأثرها البارز في بناء شخصية الإنسان وتحديد معالمها منذ الصغر، وتتكون

(١) موقع الجزيرة نت الأربعاء ٢٩/١٠/١٤٣٢هـ http://www.aljazeera.net /١.

(٢) المرجع السابق.

الأسرة في الغالب من مجموعة أفراد تجمعهم فيها ظروف المعيشة الواحدة، وتربطهم رابطةٌ شرعيةٌ قائمةٌ على المودة والمحبة، وتُعد الأسرة أهم المؤسسات التربوية الاجتماعيَّة التي لها الكثير من الوظائف، وعليها العديد من الواجبات الأساسية حيث تُعتبر بمثابة المحضن الأول الذي يعيش الإنسان فيها أطول فترةٍ من حياته، كما أن الإنسان يأخذ عن الأُسرة العقيدة، والأخلاق، والأفكار، والعادات، والتقاليد، وغير ذلك من السلوكيات الإيجابية أو السلبية .

نعم يجب على الأسرة كحاضن تربوي السعي في إعداد جيل معتدل متسامح بعيد عن التعصب ينبذ الدعوات إلى العصبيَّة والعنصرية القبليَّة وزرع حقيقة أن الولد لا يكون مقياس نجاحه وتميزه بالمال أو الجمال والحسب والنسب، وإنما يكون بالخلق والدين، وفيه يكون التنافس والمسابقة، فكثير من الأسر والبيوت تربي أولادها وللأسف الشَّديد على المفاخرة بأحسابهم، والطعن في أنساب غيرهم، وإحياء النُّعَرَة القبليَّة، والوقوف مع ابن العم سواءً على حق أو باطل(١)، فإن تعصب الآباء ينعكس سلباً عل الأولاد دون وعي وإدراك منهم فيكون التعصب حيًّا في نفوس أطفالهم وسلوكهم .

ويستشهد لنا شيخنا المشرف على هذه الرسالة العلمية(٢) بموقف يوضح أهمية التربية السليمة والمتوازنة في الأسرة ومن الأب خصوصاً فيقول : كنت التقيت بأحد الوجهاء من القبائل، حيث كان معه ولده الصغير، فطلبت منه التَّعريف بنفسه، فسلسل لي نسبه كاملاً لجده السابع من حفظه وافتخر بذلك، ثم فاجأته وسألته فقلت : من ربك ؟ فلم يعرف الجواب، فقمنا بتعليمه، وهنا نقول: من الأفضل أن يعرف الإنسان نسبه ولا بأس، أما أن يفتخر ويهتم به أكثر من معرفة أصل العبادة وهو معرفة العبد ربه وبما يكون ذلك، فهنا تفقد التربية روحها وأصلها .

---

(١) وقد نبه النبي ﷺ على ذلك في حديث "أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ... " سبق تخريجه ص ٤٤ .

(٢) وهو فضيلة الشَّيخ : حمود بن جابر الحارثي الاستاذ المشارك بقسم الدَّعوة والثَّقافة الإسلاميَّة بكلية الدَّعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى وللاستزادة اطلع على صفحة الشَّيخ في موقع الجامعة : Https://uqu.edu.sa.

إن كثيراً من الأسر يربون أولادهم على عدم المساواة في التعامل مع النَّاس، فتجدهم يفرقون بين النَّاس كل حسب طبقته ولونه وقبيلته، والغلو بالتمسك في بعض العادات والتقاليد المخالفة للدين، فيحتقرون النَّاس ويزدروهم ويقسموهم، فالأسرة هي من يقوم بتنمية ورعاية جميع الجوانب الشخصية للأبناء في جميع مراحل العمر الأولى، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، والعياذ بالله وقد صدق الشَّاعر(١):

وينشأ ناشيء الفتيان منا ❁ على ما كان عوده أبوه

والقدوة السيئة مرة واحدة منها تكفي، مرة واحدة يجد أمه تكذب على أبيه، أو أباه يكذب على أمه، أو أحدهما يكذب على الجيران، مرة واحدة كفيلة بأن تدمر قيمة الصدق في نفسه، ولو أخذ الأبوان كل يوم وساعة يرددان على سمعه النصائح والمواعظ والتوصيات بالصدق، مرة واحدة كفيلة بأن تدمر قيمة الاستقامة في نفسه، ولو انهالت إلى سمعه التعليمات، مرة واحدة يجد في هؤلاء المقربين إليه نموذجاً من السرقة، فذاك كفيل بأن يدمر في نفسه قيمة الأمانة.. وهكذا في كل القيم والمبادئ التي تقوم عليها الحياة الإنسانية السوية"(٢).

ثانياً : المسجد

يُعدّ المسجد أبرز وأهم المؤسسات الاجتماعيَّة التربوية التي ارتبطت بالتربية الإسلاميَّة ارتباطاً وثيقاً؛ نظراً لعددٍ من العوامل التي أدت في مجموعها إلى ذلك الارتباط والتلازم ؛ لا سيما وأن المسجد لم يكن في المجتمع المسلم الأول مجرد مكان لأداء العبادات المختلفة فقط بل كان أشمل من ذلك ؛ إذ كان جامعاً لأداء العبادات من الفرائض والسُنن والنوافل، وجامعةً للتعليم وتخريج الأكفاء من الخلفاء والعلماء والفقهاء والأمراء، ومعهداً لطلب العلم ونشر الدَّعوة في المجتمع، ومركزاً للقضاء والفتوى، وداراً للشورى وتبادل الآراء، ومنبراً

---

(١) هذا البيت، لأبي العلاء المعري، انظر موقع شبكة الشعر الفصيح، alfaseeh.com.

(٢) انظر، منهج التربية الإسلاميَّة، محمد قطب، ١١٨/٢.

إعلامياً لإذاعة الأخبار وتبليغها، ومنزلاً للضيافة وإيواء الغرباء، ومكاناً لعقد الألوية وانطلاق الجيوش للجهاد في سبيل الله تعالى، ومنتدى للثقافة ونشر الوعي بين النَّاس، إلى غير ذلك من الوظائف الاجتماعيَّة المختلفة(١).

إنّ دور المسجد التربوي في نبذ التعصب القبلي كبير، كيف لا ؟ وهو الذي يلغي كل الفوارق والدرجات والرتب، فيجتمع فيه المسلمون لأداء أعظم العبادات بعد التوحيد صفاً واحداً لا فرق بينهم ولا اعتبار لقبيلة أو لون أو درجة ومكانة، فهم فيه سواء لا فرق إلا بالعمل الصالح.

لقد فقد كثير من المساجد دوره الكبير في التوجيه والدعوة إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة في نفوس المسلمين والعودة بهم إلى المنبع الصافي من الكتاب الكريم والسنة الصحيحة، فأصبحت بعض المساجد خالية من روح التعلم والتعليم والتوجيه ومعالجة الأخطاء التي نراها في المجتمع المسلم، فتجد المصلين يخرجون ولا يعرفون جماعة المسجد .

يجب على إمام المسجد أن يكون له جهد بارز في إعادة الدور الحقيقي الذي كانت عليه المساجد ومكانتها الرفيعة ومنزلتها العالية عند المسلمين، والآن يمر الأسبوع والوقت الطويل ولا تكاد تسمع في المسجد نصحًا أو توجيهًا أو تذكيرًا، ناهيك عن إغفال دور الخطبة وتفعيلها على الوجه الأكمل وأهمية الإصلاح بين جماعة الحي، حيث يرى أن هناك من المؤسسات التربوية الأخرى من يقوم بدوره مثل الأسرة والمدرسة والإعلام، ونسي أن المسجد كان بمثابة تلك الحاضنات كلها .

لقد انحسر دور الإمام في بعض المساجد والجوامع على الصلاة فقط، ومتابعة الإنارة والتكييف والمحافظة على دورات المياه ووجود الماء، وبقي الدور الأهم من التعليم والتوجيه، حتى أن بعض الأئمَّة يحتاج بنفسه لهذه الأمور ويفقدها خصوصاً في المراكز التي تبعد عن المدن أوالتي تكون في القرى والهجر التي يسكنها البادية وأبناء القبائل، فأين تربية المسجد

---

(١) مقدمة في التربية الإسلاميَّة، صالح أبو عراد، دار الصولتية للتربية، الرياض، ١٤٢٤هـ.

إيمانياً وروحياً وخلقياً واجتماعياً ؟ وأين تعليمه أحكام الدين والإفتاء والـدروس العلميـة والمحاضرات وحلقات تحفيظ القرآن وفهمه وتفسيره والعمل بما فيه ؟ .

ومع ذلك فإننا لا نهضم حق بعض المساجد والجوامع والتي قامت بـدورها العظـيم، فكانت جامعة بحق، فتجد فيها حلقات تحفيظ القرآن، وحلقات تعليميّة متميزة ونموذجيـة لجميع الفئات وطبقات المجتمع، إضافة للدروس العلمية المسـتمرة والمحاضـرات المتنوعـة والدورات التدريبية الأسرية الهادفة، وكذلك الدور الإغاثي والخيري لأهـل الحـي حـتى أصبحت هذه المساجد يشار لها ويقصدها النَّاس لما يجدونه من برامج جاذبة وهادفة .

إن المسجد مدرسة يومية للألفة والمحبة والمودة بين المسلمين وسـكان الحـي الواحـد والتراحم والتعاطف والتكافل فيما بينهم، وإذابة كل الفوارق التي زرعتها العصبيَّة القبليَّـة والتفرقة العنصرية، فيقيم المسجد العلاقة الناجحة بين أهله، ألا وهي الأخوَّة الإسلاميَّة .

ثالثاً : المدرسة :

المدرسة مجتمع مصغر يشبه المجتمع الكبير يضم عدداً من الطلاب مختلفي المشارب والميول والجوانب التربوية، مما يحتم على الطلاب تكوين علاقات متبادلة يجب أن تكون مبنية علـى الاحترام، وليس على التعصب القبائلي أو المناطقي، فمستقبل الأُمَّة الإسـلاميَّة وتفوقهـا وتميزها عن غيرها من الأمم مرتبط بالفصول الدراسية وما يقدم فيها من علـوم ومعـارف ومناهج دراسية وطرق تدريسية متقدمة ومتطورة، وتحقّق الهدف فيخرج الجيل الصالح .

إن المدرسة تقوم بسداد الخلل الحاصل من التربية الأسريّة، فبينهما تكامل في تصـحيح المفاهيم المغلوطة وتعديل السلوك الخاطئ فربما وجد الابن في المدرسة الجو المناسب والبيئـة التربوية والتعليمية التي يقبلها ويستفيد منها، فالمدارس منارات خير ومشاعل نـور، وهـي المحاضن التربوية التي يهتم بها المختصون ويعقدون عليها الآمال في تخريج أجيال واعدة تنفع دينها ووطنها وشعبها .

وهناك عدد من المدارس وللأسف الشَّديد يكون دورها سلبياً، فبدل أن تكون صروحاً للعلم والمعرفة أصبحت معاول هدم، فتكثر فيها المخاصمات بين الطلاب والنعرات القبليَّـة

والشعارات الجاهليَّة فانتشرت بين صفوف الطلاب صور متعددة للعنف والتعصب القبلي، ويظهر ذلك جلياً في الرموز والكتابات على جدران المدارس وطاولات التلاميذ، فلكل قبيلة رمز وأرقام معينة وأبيات شعرية تتميز بها عن غيرها تمتلئ بالفخر للقبيلة والانتقاص لغيرها من القبائل الأخرى، حتى وصل الأمر وفتح الباب للتخاصم والمضاربات والتي ينتهي بعضها بإراقة الدماء، وبعدها الثأر وتستمر هذه الظواهر السلبية التي يجب محاربتها في مهدها والقضاء عليها حتى لا تستفحل وتزيد بالطرق والوسائل التربوية .

يجب على المدرسة أن تنوع من الأساليب والوسائل والطرق في ترغيب الطلاب في القضاء على الظواهر السلبية ومنها التعصب القبلي بالعديد من الطرق التربوية والعلمية بالحوار المباشر، والإقناع وتفعيل دور الأنشطة الطلابية والبرامج المتنوعة والإذاعة المدرسية والرحلات الطلابية والصحافة المدرسية، وذلك بزرع القيم الإسلاميَّة النبيلة في نفوس الطلاب، وتطبيقها عمليا عبر شواهد ومخرجات واضحة .

ولا يخفى أهمية دور مدير المدرسة والمعلمين التربويين، فهم القادة والموجهون لأبنائهم الطلاب، وبهم تنهض المسيرة التربوية والتعليمية وتنجح، فهم القدوة الصالحة الحسنة التي يشاهدها الطلاب أمامهم كل يوم دراسي، ويقتدون بهم ويحاكون ما يفعلون ويتأسون بهم .

إن إبراز سيرة النبي ﷺ في تعامله مع أصحابه رضي الله عنهم في المساواة بينهم دون نظر لنسب أو حسب أو لون وعرق، كتقريبه ﷺ سلمان وصهيبًا وبلالًا وإنكاره عليه الصلاة والسلام لدعوى الجاهليَّة من العصبيَّة القبليَّة التي تكون بين الصحابة الكرام، ونشرها في المدارس بين الطلاب والتأكيد عليها من المعلمين حتى تكون سيرة عطرة يقتدي بها المجتمع المدرسي .

رابعاً : الإعلام :

إن دور المؤسسة الإعلامية لا يقلّ قيمة عن دور المؤسسة التربوية في التنشئة الاجتماعيَّة للفرد، إلى جانب المؤسسة العائلية، كما أن الوقت الذي يقضى في التعامل مع وسائل الإعلام لا يقلّ أهمية عن الوقت الذي يقضى في المدرسة .

إن الإعلام يلعب دوراً في حياة الأمم والشعوب، ولا يخفى تأثيره السلبي والإيجابي على المجتمعات، ويظل الإعلام المعاصر بثوبه الجديد ووسائله المختلفة أعظم طريقة لفتح نوافذ

المعرفة، وسبل الاتصال والتعارف السريع والمذهل، وتقاس الأمم في تحضـرها ومضـاهاتها لغيرها بهذه التقنية والتكنولوجيا المتقدمة، فكلما سُخر في الكيد والحط من القيم العليا النبيلة ونشر الفرقة والتعصب كان ذلك تأثيراً سلبياً يجب الوقوف ضده واستغلاله فيما يقـرب النَّاس ويؤلف بينهم.

والواقع أن الإعلام التربوي الهادف ضعيف جداً ومحدود في توجيه وإعلاء العصبيَّة القبليَّة فأكثر إعلامنا في الدول العربية والإسلاميَّة سواءً كان المشاهد منه أو المسـموع والمقـروء لا يوجد لديه خطة عمل وأهداف استراتيجية تغير من التعصب القبلي الموجود إلى الأخـوَّة الإسلاميَّة الصافية والمحبة والألفة بين النَّاس، فأغلب إعلامنا إمّا أن يكون له هدف تجـاري، ويسعى للربح المادي أينما كان، أو هدف مسموم ينفذ فيه كيد الأعداء، وسوف أتطـرق لذلك في المبحث الثاني من وسائل انتشار العصبيَّة القبليَّة بإذن الله .

المبحث الثاني : الأسس التي تقوم عليها العصبيَّة

العصبيَّة كانت تُعدُّ وليدة ضرورة من ضرورات الحياة في المجتمع القبلي إذ لا بقاء للقبيلة إلا بعصبيتها، فبها ترعى القبيلة سلامتها وتصون بقاءها وتذود عن كيانها ومن طريقها تلتمس لنفسها أسباب العيش في مجتمع قبلي تسوده شرعة تنازع البقاء(١).

إن الأساس الذي يقوم عليه النظام القبلي هو روح العصبيَّة القبليَّة التي كانت متغلغلة في الجسم العربي الجاهلي، وفي كل ما يحيط به فهو يتعصب لأسرته وعشيرته وقبيلته كما تعصب لأرضه ولغته ودينه وحليفه وجاره(٢).

كان مجتمع شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ينقسم إلى (عرب) وهم سكان المدن والمراكز الحضرية، وكانوا يسمّون "أهل المدر"، أي أصحاب البيوت المبنية و (الأعراب) وهم الذين يقطنون البادية، وكان يطلق عليهم "أهل الوبر"، أي الذين يعيشون في الخيام، وبين البداوة والحضارة فَرْق أساسيّ واحد: يكتفي البدويّ بالضروريّ من أسباب المعاش، بينما يتوسّع أهل الحضر في أسباب الترف من المطاعم والملابس والمساكن. من هذا الفَرْق الأساسيّ تتفرّع جميع خصائص البداوة وجميع خصائص الحضارة المدنية بما في البداوة وفي الحضارة البدوية من المحاسن والمساوئ(٣).

أما الأسس التي تقوم عليها العصبيَّة القبليَّة فيمكن تفصيلها كما يلي :

أولاً : وحدة الدم والنسب

وهو الأساس الأول الذي تقوم عليه العصبيَّة القبليَّة وهذه الرابطة كانت من أقوى الروابط القبليَّة، ووحدة القبيلة وتماسكها تزداد كلما اعتقد أفراد القبيلة بأنهم ينحدرون من

(١) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، ١١٠.

(٢) العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، خريسات، ٨٩.

(٣) تاريخ الجاهليَّة، د عمرو فروخ، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م، ص٥٦-٥٧.

أب واحد ويجري في عروقهم دم واحد(١).

وقد اعتبر ابن خلدون عصبيَّة الدم نزعة طبيعية في البشر، حيث يقول : إن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل(٢).

إن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه، ويود لو يحول بينه وبينه ما يصله من المعاطب والمهالك، وهذا طبيعة في البشر مذ كانوا، فإذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريباً جداً بحيث حصل به الاتحاد والالتحام، كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها وإذا بعد النسب بعض الشيء فربما تنوسي بعضها(٣).

وثمرة النسب وفائدته أنه يوجد النُّعَرَة بعصبية، وتزداد قوتها كلما كان النسب قريباً بين الأفراد والقبائل، وقد أولع العرب بالانتساب كثيراً؛ وذلك بسبب حبهم للعصبيَّة القبليَّة فقد استخفوا بكل شيء إلا الأحساب(٤).

أن القاعدة التي تتألف منها أجزاء القبيلة وتتركب منها هي صلة النسب والانحدار من جد واحد وهي الرابطة الأساسية التي تجمع أفراد القبيلة فالأب يشكل نواة القبيلة حيث ينجب أطفالاً يتوالدون ويتباعدون ليشكلوا بدورهم بيوتاً وأفخاذاً وأقساماً تجمعهم صلة الدم التي تعطي الفرد الشعور بالانتماء إلى فئة معينة والتعصب لها دون غيرها، وهي بالمقابل تعد نفسها مسئولة عن تصرفاته ومعنية بالدفاع عنه سواءً أخطأ أو أصاب، فصلة الدم هي اللبنة التي تتركب منها أجزاء القبيلة(٥).

---

(١) العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، خريسات، ٢٣.

(٢) المقدمة، ابن خلدون، ١٢٨.

(٣) المقدمة، ابن خلدون، ١٢٨.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، ٢/٢٥٥.

(٥) القبيلة بين الشَّريعة والقانون، سيف محمد الجوفي، الهيئة العامة للكتاب باليمن، الأولى ١٤٣٤هـ ص ١٦.

ثانياً : وحدة الحلف والولاء[1]:

إن القبيلة لم تستطع مع طول الوقت المحافظة على وحدة الدم وحدها؛ لانضمام أشخاص آخرين إليها عن طريق الحلف والولاء والاستلحاق والاسترقاق ونحو ذلك، فلم تعد القبيلة وحدة دموية متجانسة، بل ربما دخلت قبائل كاملة سواءً بالحلف أو غيره[2].

ولذلك نرى ابن خلدون يوضح ذلك بقوله :"إن نعرة كل واحد على أهل ولائه وحلفه للألفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجوه النسب، ولذلك لأجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب أو قريباً منها " ويدخل الرقيق في العصبيَّة القبليَّة وقد فسر ابن خلدون امتداد هذه العصبيَّة للرقيق بقوله : "فإذا اصطنع أهل العصبيَّة قوماً من غير نسبهم أو استرقوا العبدان والموالي، والتحموا به كما قلناه، ضرب أولئك الموالي والمصطنعون في تلك العصبيَّة ولبسوا جلدها كأنها عصبتهم، وحصل لهم من الانتظام في العصبيَّة مساهمة في نسبها كما قال رسول الله ﷺ : ((مولى القوم منهم))[3]، وسواء كان مولى رق أو مولى اصطناع وحلف"[4].

أما عصبيَّة موالي القبيلة وحلفائها فمردها إلى صلة الولاء والحلف تربط المتحالفين بعضهم ببعض برباط معنوي يكاد يوازي في قوته رابطة النسب، وإن لم يبلغ مبلغها من شدة الالتزام ووفقاً لمبادئ القبيلة المشتركة وواجباتهم، والتبعات المترتبة عليهم، تكون القبيلة كلها ملزمة بنصرة أي رجل ينتمي إليها سواءً صريحاً أو غيره[5].

---

(١) ويمكن الاستفادة عن"الأحلاف " بما كتبه الباحث عنها في مظاهر العصبيَّة ص ٦٥ من هذا البحث، أو طبقات القبيلة أيضاً ص ٤٦ .

(٢) العصبيَّة القبليَّة وارها في الشعر الأموي، إحسان النص، ١٠٩.

(٣) رواه النسائي في السنن الصغرى، كتاب الزكاة، باب مولى القوم منهم، برقم : (٢٦١٢). وصححه الألباني.

(٤) المقدمة، ابن خلدون، ١٢٩.

(٥) انظر، العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، ١١٠.

إن الفرد يجد في نفسه أحياناً الحاجة للجماعة، واحتياجه لتكتل تعارفي يتمخض عنه شعب أو قبيلة كما في الآية الكريمة قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣]. وهذا التكتل يقوم على بنية خاصة منها مصطلح الحلف ومصطلح الولاء وهي أنظمة ثقافية مصاحبة بالضرورة لأي تركيبة بشرية بين أفراد العائلة أو الحارة وبين أفراد القرية والمدينة مثلما هو بين أفراد القبيلة، وللحلف تاريخ طويل في الثَّقافة، من أشهرها حلف الفضول والمطيبين(١) وغيرهما، وهي مواثيق أخلاقية تقوم على رعاية المصالح وتأسيس نظام معاشي مشترك يسمح للأطراف كلها بالعيش بسلام وأمان ويضمن للجميع الحد الضروري للحياة السوية(٢).

ثالثاً : الأرض والمياه

الركن الثالث الذي تقوم عليه العصبيَّة القبليَّة والنزعة هي الأرض، والمياه فللقبيلة أرضها المخصصة، وكان يحرم على غيرها أن يدخلها، ولقد كانت القبائل العربية تنتشر فوق الجزيرة العربية ذات المساحة الشاسعة، وتنتقل ضمن حدود معينة لا يمكن تجاوزها، و لم تكن القبيلة تترك مواضعها إلا في حالتين : الأولى هو إجلاؤها عنها بالقوة، والثاني جدب المنطقة والانتقال إلى موطن جديد، وقد كانت حركة التنقل والترحال تخلق حروباً طويلة بين القبائل إلى أن يتمكن أحد الطرفين من طرد الآخر(٣).

والأرض الخاصة : (أي الديار بتعبير القران)، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة: ٨].

ولكل قبيلة أرض تعيش عليها وتنزل بها وتعتبرها ملكًا لها، تنتشر بها بطونها وعشائرها،

---

(١) انظر إلى هذين الحلفين في الصفحة رقم ٦٨ ، ٦٩ من هذا البحث.

(٢) القبيلة والقبائلية، الغذامي . ص ١٦٤-١٦٥.

(٣) العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، خريسات، ٥٩.

ولا تسمح لغريب النزول بها والمرور بها إلا بموافقتها وبرضاها، وقد اختص كل بطن منها بناحيته، فانفرد بها واعتبرها أرضًا خاصة به، وتكون الأرض التي تحل القبيلة بها "منزلًا" لها، و "منازل" لأبنائها الذين ينزلون بها، يضربون بها خيامهم، فتكون الأرض مضارب لها، تستوطنها وتقيم بها وتصير وطنًا لها، أي: دار إقامة، ما دامت تقيم بها، وموضع بيوتها، لذلك يعبر عن الأرض التي تقيم بها القبيلة بـ"بيوت القبيلة" وبـ "بيوت العشيرة"؛ لأنها مضرب البيوت(١).

وتمتد أرض القبيلة إلى المواضع التي تصل بيوتها إليها، فما يقع إلى الداخل فهو من موطن القبيلة، وما وقع خارج حدود نفوذ القبيلة خرج عن مواطنها، وتعين الحدود بالظواهر الطبيعية البارزة، مثل تلال أو أودية أو رمال أو ما شاكل ذلك، ونظرًا إلى عدم تثبيت القبائل لحدودها على الأرض برسم معالم بارزة لها، صارت الحدود سببًا من أسباب النزاع المستمر والقتال الدائم بين القبائل(٢).

ولكل قبيلة حق حماية أرضها، شأنها في ذلك شأن الدول، وإذا أراد غريب اجتياز أرضها فلا بُدَّ من أن يكون في حماية إنسان منها، وإذا كان المجتاز جماعة، كأن يكون قافلة أو قبيلة أو حياً يريد التنقل إلى أرض أخرى، ولا بُدَّ له من المرور بأرض هذه القبيلة للوصول إلى هدفه، فعليه أخذ إذن من القبيلة يخوله جواز المرور بها، وإلا تعرض للمنع والقتال، لذا كان لا بُدَّ للتجار من ترضية سادات القبائل للسماح لهم بالمرور بدفع حق المرور، وهي إتاوات تعارفت القبائل آنذاك على أخذها من المارة(٣).

ومن مبررات التعصب العرقي الارتباط بين الأرض والبشر، ونقول رداً على ذلك أن كل الشعوب تكونت من خلال هجرات قديمة وحديثة، وانتقال من أرض إلى أخرى، فهي خليط من أعراق، وخليط من انتماءات أرضية، فالإخلاص للأرض وللوطن ليس حكراً على

(١) المفصل في تاريخ العرب، جواد علي، ٣٤٢/٧.

(٢) المرجع السابق ٣٤٢/٧.

(٣) المرجع السابق٣٤٣/٧.

عرق دون آخر، كما أن الأرض ليست ملكاً لعرق دون آخر، وغالباً ما تكون هناك شعوب أو قبائل استوطنت الأرض التي تسكن اليوم من شعوب وأعراق أخرى، فهل هذا مبرر أن يعود السكان الأوائل للمطالبة بها ؟ ولو فعلنا ذلك لفتحنا أبواباً لا تنتهي من الفتن والصراعات بين الشعوب بل حتى بين أبناء الشعب الواحد، فحبنا لأوطاننا من القيم السامية، ولكن لا يجوز أن يتحول هذا الحب إلى تعصب وعنصرية، وقد قال سلمان الفارسي رضي الله عنه عندما دعاه رجل ليسكن مكة، لأنها أرض مقدسة "إن الأرض لا تقدس أحداً، إنما يقدس المرء عمله"(١).

وتكون مواضع الماء في أرض القبيلة قبلة أبنائها، يستقون منها ما يحتاجون إليه من "إكسير الحياة"، وتكون هذه المواضع آبارًا أو عيون ماء أو حسيًّا وما شاكل ذلك. وتتفق القبيلة فيما بينها على حقوق السقي، ويؤدي الإخلال بحقوق السقي إلى وقوع نزاع، قد يؤدي إلى قتال، ولا سيما في أيام القيظ وانحباس المطر، حيث تشتد الحاجة إلى الماء، ويصير افتقاده سببًا لهلاك الأنفس والمال. والقاعدة أن ماء القبيلة مشاع في القبيلة، أما المياه المحمية: المياه التي تحمى للسادة والرؤساء، والمياه الخاصة، كالآبار التي يحفرها أصحابها، فتكون خاصة بهم، لا يجوز الاستقاء منها إلا بإذن(٢).

رابعًا : اللهجة واللسان

لقد انفردت القبائل في لهجاتها فكانت كل قبيلة تنفرد بلهجتها المحلية الخاصة بها كما انفردوا بأب واحد وأرض واحدة، فكان أبو هريرة لا يعرف كلمة السكين وإنما كان يعرفها بالمدية(٣).

وكانت العرب وإن جمع جميعها اسم أنهم عرب، فهم مختلفو الألسن بالبيان، متباينو

(١) لا للتعصب العرقي، عيد الدويهيس، مكتبة صيد الفوائد، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ص ٢٢. وهذا الأثر رواه الإمام مالك في الموطأ ، وفيه انقطاع بين يحيى بن سعيد وأبي الدرداء .

(٢) المفصل في تاريخ العرب، جواد علي، ٣٤٣/٧.

(٣) فجر الإسلام، أحمد أمين، دار الكاتب العربي، بيروت، ١٩٦٩م، ٥٢.

المنطق والكلام، وأن ألسنتهم كانت كاثرة كثرة يعجز عن إحصائها[١].

لقد أدرك الرواة وعلماء اللغة وجود الخلاف في ألسنة العرب، فإنهم لم يدونوا اللهجات على أنها لهجات مستقلة ذات طابع لغوي خاص، لها قواعد نحوية وصرفية، تختلف اختلافًا متباينًا عن نحو وصرف عربية القرآن الكريم، وإنما "تناقلوا من ذلك أشياء كانت لعهد الإسلام، وأشياء أصابوها في أشعار العرب مما صحت روايته قبيل ذلك. أما سواد ما كتبوه، فقد شافهوا به العرب في بواديها وسمعوه منهم، وهو بلا ريب من بقايا اللهجات التي كانت لعهد الجاهليَّة"[٢].

واختلاف اللهجات كان موجوداً حتى في القبائل التي تجمعها لحمة النسب والدم، ومرد ذلك إلى اختلاف أماكن سكنى القبائل، ولكل قبيلة لهجتها ولسانها فمنها الركيك الرديء غير الفصيح، ومنها ما كان له مميزات أخرى لا تتوفر عند جارتها، حتى أن لهجات بعض الأقاليم لا يكاد يفهم والأخرى فصيحة موافقة للغة القرآن الكريم[٣].

خامساً : الميل الفطري للتشابه والتماثل

الإنسان يميل بطبعه إلى ما هو قريب منه من أهله وذويه وقبيلته وهو ميل فطري طبيعي لأن الإنسان إنما هو فرع منهم ولأنه يتجانس ويتشابه غاية التشابه معهم بكل صفاته وطباعه وتقاليده وعاداته الجسدية والنفسية بل إن النفس الإنسانية جبلت على الميل لكل من يتشابه معها ولو بصفة أو خصلة[٤].

وهذا التشابه والتماثل مدعاة للتجاذب والتفاعل ثم المودة والموالاة، ويؤكد هذا المعنى

---

(١) تفسير الطبري، ١/٩-١٥.

(٢) انظر، تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الإيمان، ط١، ١٩٩٧م، ١/١٢٣.

(٣) انظر، العصبيَّة القبليَّة، خريسات، ٦٥-٦٦.

(٤) العصبيَّة، الشيباني . ١١.

ابن تيميَّة رحمه الله بقوله : إن الله جبل بني آدم بل سائر المخلوقات على التفاعل بين الشيئين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم، حتى يؤول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما على الآخر إلا بالعين فقط ولما كان الإنسان مشاركة في الجنس كان التفاعل فيه أشد[1].

إن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة، حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد، ثم اجتمعا في دار غربة، كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم، وإن كانا في مصرهما لم يكونا متعارفين، أو كانا متهاجرين، بل لو اجتمع رجلان في سفر، أو بلد غريب، وكانت بينهما مشابهة في العمامة أو الثياب، أو الشعر، أو المركوب ونحو ذلك، لكان بينهما من الائتلاف أكثر مما بين غيرهما، وكذلك تجد أرباب الصناعات الدنيوية يألف بعضهم بعضا ما لا يألفون غيرهم، حتى إن ذلك يكون مع المعاداة والمحاربة: إما على الملك، وإما على الدِّين[2].

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة اصحاب الجحيم، ابن تيميَّة، تحقيق ناصر العقل، دار عالم الكتب بلبنان، ط٧، ١٤١٩هـ، ١/٥٤٧.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة اصحاب الجحيم، ابن تيميَّة، ١/٥٤٩.

الفصل الثَّاني

وسائل انتشار العصبيَّة القبليَّة

وفيه أربعة مباحث :

المبحـــــث الأَوَّل : الإعلام .

المبحـــث الثَّـــاني: الشعر .

المبحـــث الثَّالـــث : الحفلات والنوادي القبليَّة .

المبحـــث الرَّابـــع : وسائل التواصل الاجتماعيّ الحديثة .

المبحث الأول : الإعلام

تعريف الإعلام :

لغة :

هو التبليغ يقال بلغ الشيء بلوغاً وبلاغاً : وصل وانتهى، وتبلغ بالشيء أي وصل إلى مراده وأصله من مادة علم نقيض الجهل وعلمت الشيء أي عرفته وخبرته والبلاغ هو الإيصال[١]، ومنه حديث : « ليبلغ شاهدكم غائبكم ... »[٢]، والمعنى اللغوي يدور على الأخبار والتعريف ونقل المعلومات إلى الآخرين بشتى الوسائل .

اصطلاحاً :

تزويد النَّاس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم[٣].

وقيل هو : كل قول أو فعل قصد به حمل حقائق أو مشاعر أو عواطف أو أفكار أو تجارب قولية أو سلوكية شخصية أو جماعية إلى فرد أو جماعة أو جمهور بغية التأثير، سواء أكان الحمل مباشراً بواسطة وسيلة اصطلح على أنها وسيلة إعلام قديماً أو حديثاً[٤].

لقد أصبح من مكرور القول أن نقرر بأن عصرنا الحاضر هو عصر الإعلام، وليس في هذا الوصف أدنى مبالغة، فقد تعددت وسائل الاتصال والإعلام، وتنوعت أساليبه، وتشعبت مجالات تأثيره، واستولت هذه الوسائل على أوقات النَّاس، واستقطبت اهتماماتهم، وغدت

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٣٠٨٣/٤.

(٢) رواه أبوداود، كتاب تفريع أبواب التطوع وركعات السنة، باب من رخص فيهما إذا كانت الشمس مرتفعة، برقم : (١٢٧٨).

(٣) الإعلام الإسلامي، د إبراهيم الإمام، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط١، ١٩٨٠م، ص ٢٧.

(٤) مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم، د سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ص١٧ و١٨، الرياض: دار عالم الكتب ١٩٨٦.

ظاهرة عالمية، لا تقتصر معالمها على مجتمع دون آخر، ولا يصد آثارها الحواجز التقليديـــة، التي تعارف عليها النَّاس من حدود جغرافية أو اختلافات لغوية أو تباين ثقافي أو سياسي أو اقتصادي(١).

تتمتع وسائل الإعلام أو الاتصال الجماهيري بعامة، المسموعة والمرئية والمكتوبة، بأهمية خاصة في جميع أنحاء العالم، لما لها من تأثير مباشر وفوري على الجمهور في كافة المجـــالات والميادين. وكثيرا ما يطلق على وسائل الإعلام المختلفة عبارة " الســـلطة الرابعـــة " بعـــد السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، وذلك كناية عن دورها المميز في المجتمع، ولكـــل وسيلة من وسائل الإعلام مميزات تختلف عن الأخرى حسب النوع أو الشـــكل ولا يخفـــى الدور الكبير الذي تلعبه تلك الوسائل، في شتى مناحي الحياة، من تعليم وتربيـــة، وتوجيـــه وإقناع، وتنمية وتسويق، وتثقيف وترفيه، واتصال اجتماعي يعمق الصلات ويوثقها بـــين أفراد المجتمع(٢).

وتأتي وسائل الإعلام اليوم في مقدمة وسائل الإعداد للشخصية المسلمة، فهي ذات أثـــر بالغ الأهمية والخطورة، سلبا وإيجابا في تنشئة الأفراد وتوجيه الأجيال وتكوين الرأي العـــام، ولهذا فإن وسائل الإعلام ينبغي أن يكون هدفها الأساسي هو الإعداد الســـليم، ومســـاندة البيئة والأسرة والمدرسة والمجتمع، في تكوين شخصيات الأفراد وإعدادهم، وعدم خروجهـــا على وسائل التربية المقصودة والمبرمجة؛ لأن ذلك يحقق الانسجام والتعـــاون بـــين وســـائل الإعداد، أما إذا كانت وسائل الإعلام تنطلق من منطلقات الترفيه، والتسلية، وقتل الوقـــت وغير ذلك، من الأغراض الهابطة، فإن كثيرا مما تتقبله النفوس المريضـــة في مجـــال الترفيـــه

---

(١) انظـــــر، مقـــــال : عبـــــد القـــــادر طـــــاش، موقـــــع الإســـــلام اليـــــوم
http://islamtoday.net/bohooth/services/saveart-43-3559.htm.

(٢) صور الاعلام الإسلامي، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، جامعة المدينة العالمية الإســـلاميَّة بماليزيـــا، ص ٢٨ ط ١٤٣٢هـــ.

والتسلية، يتناقض مع ما تقرره العقيدة السليمة وثقافة الأُمَّة الإسلاميَّة[١].

إذا كانت بعض القنوات الشعبية قد سلِمت من إفساد النَّاس بالأفلام، والصور الفاضحة والمثيرة للشهوات المحرمة، فإنها تشكر على ذلك، وعلى إشغالهم بالمباحات عن المحرمات، مثل: عروض الإبل، والحفلات، والشعر، وأفلام الطبيعة، مع أن المفروض أن يتبع ذلك نقلهم إلى ما يفيدهم في الدين والدنيا، ولكن برامجهم الثقافية تلك بدأ يدخلها التعصب والتهييج القبلي ومع ذمهم للتعصب القبلي الجاهلي، وقولهم: إنه ولَّى إلى غير رجعه، إلا أنهم قد وقعوا فيه وهم لا يشعرون؛ لأنه ليس لهم نصيب كافٍ من العلم الشرعي، فهم لا يعرفون التعصب القبلي، ومن لا يعرف الشر يقع فيه، ومن لا يعرف الخير يُعرِض عنه[٢].

وللأسف الشَّديد تلعب بعض وسائل الإعلام دورا خطيرا جدا في إذكاء روح التعصب، خاصة بعد أن أصبح أمر امتلاك قناة تلفزيونية أو إذاعية، أو الحصول على ترخيص صحيفة أمرا متاحا للجميع، فأصبحنا نجد غير المؤهلين للعمل الإعلامي يعتلون القنوات الفضائية وأعمدة الصحف يعبثون في عقول النَّاس وأفكارهم، ويبثون أفكارًا شيطانية تدعو للتعصب، وتعمل على الفرقة والخلاف بين أبناء المجتمع الواحد، هذا في الوقت الذي يجب أن يكون فيه الإعلام بعيدا كل البعد عن إذكاء روح التعصب الجاهلي .

إن مضمون القنوات الفضائية والإعلامية والتي تدخل إلى كل مترل دون استئذان قد لا يتلاءم مع ثقافة المجتمع المسلم ومتطلبات تطوره وقيمه المستمدة من الشَّريعة الإسلاميَّة، التي نشأت عليها أجيال هذا المجتمع في الماضي والحاضر حيث إن القيم الإسلاميَّة هي مصدر الشَّريعة، أما الوسائل الإعلامية المتنوعة فهي تبث قيمًا غريبة على المجتمع، وتنقل له أفكارًا وتيارات وصورًا ونماذج حياتية من الخارج لا تناسب بحال نظائرها في المجتمعات المحافظة، فلها

---

(١) مجلة البحوث الإسلاميَّة، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، عدد ١٢ ربيع الاول ١٤٠٥هـ ص ٣٠٣.

(٢) انظر، مقال بعنوان : الباب المفتوح ضوء على التعصب القبلي وضرورة التصدي له، سعد محمد الكثيري، مجلة البيان، ١٣٩-١٤٣.

تأثيرها السلبي على الأجيال الناشئة والشابة خاصة إذا رأوا أنها تقدم لهم إشباعاً لا يجدونه عند غيرها[(١)].

ومع انتشار العلم وشيوعه انحصر خلق العصبيَّة الذميم، وتقلص ولكن كثيراً من النفوس لم تتخلص منه، لذا نمت من جديد أدغاله وسرت أذحاله، عبر قنوات مناطقية ودعوات نشازة عرقية، انتهزتها الحمية القبليَّة، والعصبية الجهوية، لتجوس بمنهجها البتار بالتفرقة والتقويض خلال الديار، مطيتها سباقات ومنافسات نمت بين أبناء الوطن العتيد الواحد الضغائن والتحاسد، وشدت شطرهم حبل التحاقد حتى بلغ الأمر الغرور، والاعتداد، والصلف، والتشامخ بمظاهر الامتياز، والفضل الذي لم تعتبره الشَّريعة إلا في ميدان الإحسان، والصالحات، والطاعات، والقربات يقول ﷺ : « ليس لأحد فضل على أحد إلا بالدِّين، أو عمل صالح »[(٢)]، وليس بخاف على عاقل أن تلك النقائض والتجاوزات اتجاه معاكس لسفينة المجتمع الماخرة، وطعنة نجلاء في وحدة الأُمَّة، وشرخ مريع في مسيك شملها البديع، ومعول خطير في صرح الوحدة، وفيروس وبائي خطير يطعن في الوحدة، وجراثيم قاتلة تشعل فتيل الصراعات، وتجلب الفرقة، والنزاعات، وتذكي الضغائن والأحقاد والحزازات، في الوقت الذي يتربص فيه الأعداء بالأمة من كل حدب وصوب، فما حلت هذه النعرات الجاهليَّة في ديار إلا فرقتها، ولا في مجتمعات إلا مزقتها وجعلتها ممزعة مشتتة الجناب[(٣)].

---

(١) القنوات الفضائية وتغير القيم الاجتماعيَّة وأنماط السلوك، عبد الله محمد شلبي، دراسة في الاتصال، مجلة كلية التربية القسم الادبي، مجلد٥عدد١ص١٠٤-١٠٥.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده : (٢٨/ ٦٥١) ، برقم : (١٧٤٤٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٨/٨٣) ، برقم : (١٣٠٧٦) : رواه أحمد والطبراني ، وفيه ابن لهيعة وفيه لين ، وبقية رجاله وثقوا.

(٣) خطبة جمعة من الحرم المكي، الشَّيخ عبد الرَّحمن السديس، موقع مركز دراسات العصبيَّة القبليَّة، رابط : http://www.asabia.com/Articles/ArticleDetails.aspx?ArticleID=61.

وقد عقد المؤتمر الأول للإعلام الإسلامي في جاكرتا وشارك في المؤتمر ٤٥٠ شخصية إعلامية من مختلف أنحاء العالم وقد أقر المؤتمر ميثاق الشرف الإعلامي الإسلامي ومن المواد الهامة التي صدرت عن المؤتمر في هذا الميثاق :

المادة الثانية : يعمل الإعلاميون على جمع كلمة المسلمين والدعوة للتحلي بالعقل والأخوَّة الإسلاميَّة والتسامح ومجاهدة صور العنصرية، وجاء في المادة الرابعة : الالتزام بتثبيت فكرة الأُمَّة الإسلاميَّة المترهة عن الإقليمية الضيقة والتعصب العنصري والقبلي، وهذه المبادئ لا بُدَّ من توافرها في إعلامنا بجميع منظوماته المسموعة والمقروءة والمرئية[1].

وسائل الإعلام اليوم أصبحت هي المروج والصانع والممكن لكل ما يحدث في المجتمع من شروخ وتعصب وهي وللأسف الشَّديد لم تشكل مواقع متقدمة نافعة للناس، فتدرس هموم المجتمعات وما يحدث فيها من مشاكل فتضع لها الدِّراسات الموضوعية والحلول المناسبة وتقدم المعالجات المطلوبة، وتضعه على طريق التغيير والارتقاء، بل تحولت إلى مشكلة عبء مالي، وفي كثير من الأحيان إلى عبء ثقافي؛ لأنها تنتهي إلى خدمة الأفراد القائمين عليها والممولين لها بدل أن يكونوا في خدمتها، وبذلك فهي لن تقدم شيئاً ينفع ويرفع، بل هدفهم الربح المادي الصرف.

---

(١) الإعلام في العالم الإسلامي الواقع والمستقبل، سهيلة زين العابدين حماد، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٤هـ.

المبحث الثاني : الشعر

تعريف الشعر لغة واصطلاحاً :

الشعر في اللغة :

القريضُ المحدود بعلامات لا يجاوزها. وشعرَ الرجلُ يَشعُرُ شِعْراً وشَعْراً وشَعُرَ، وقيل: شَعرَ : قالَ الشعر، وشَعُرَ : أجادَ الشعر، ورجل شاعر، والجمع شعراء[١]، الشِّعار، الذي يتنادى به القوم في الحرب ليعرف بعضهم بعضاً. والأصل: قولهم شَعَرتُ بالشيء، إذا علمته وفطنتَ له، قالوا : وسُمِّي الشَّاعر، لأنه يَفطِن لما لا يفطن له غيره[٢].

واصطلاحاً :

كلامٌ مُقَفى موزون على سبيل القصد[٣]، وقيل هو "الكلام الموزون المقفى، ومعناه الذي تتكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية"[٤].

المطلب الأول : الشعر عند العرب قبل الإسلام

الشعر من أهم الوسائل التي تنشر العصبيَّة القبليَّة، فللشعر منزلة كبيرة عند العرب وللشاعر مكانة عالية وأهمية بالغة ولا غرو، فإن "الشعر ديوان العرب"[٥]، وخزانة حكمها، وبه يعرفون تاريخهم وأنسابهم ووقائعهم وأماكنهم، فهو سجل حافل يحفظ تلك القضايا البارزة والهامة، والشعر له عند العرب عظيم الموقع، قال الأول منهم :

وجرح اللسان كجرح اليد ...[٦].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٩٣/٣-١٩٤.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة الشعر.

(٣) التعريفات، للجرجاني، ١٦٦-١٦٧.

(٤) مقدمة ابن خلدون، ص ٥٣٢.

(٥) قال ابن عباس ﷺ:"إذا قرأ أحدكم شيئاً من القرآن فلم يدر ما تفسيره فليلتمسه في الشعر فإنه ديوان العرب".رواه البيهقي في السنن الكبرى(٢٠٩١٣)وصحح وقفه.

(٦) من شعر امرؤ القيس، انظر المستقصى في أمثال العرب ٥٠/٢.

ذكر السيوطي[١] "أن القبيلة إذا نبغ منها شاعر أتت إليها القبائل وهنأتها بذلك، وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنع في الأعراس؛ لأنه الحامي لأعراضهم والمدافع عن أحسابهم وهو الذي يخلد مآثرهم "[٢].

فهناك شعراء حموا أعراض قبائلهم، وشعراء تشفعوا لقبائلهم أو لأفراد منها فشفعوا، وشعراء رفعوا الوضيع ووضعوا الرفيع، كان بنو أنف الناقة يأنفون هذا اللقب، حتى إذا مدحهم الحطيئة بقوله :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ۞ ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا [٣]

وكانت القبيلة تحرص على رواية شعرها، فتعلم صغارها الشعر وحفظ أشعار القبيلة خاصة[٤].

وهكذا تجد الشّاعر لا يكاد يبلغه، أن رجلاً تعرض لقبيلته بسوء أو تنقص من مكانتها حتى ينبري لهجائه وثلب قبيلته، ولا يكاد يسمع شاعراً يفخر على قومه حتى يبادر بالرد عليه مفاخراً بعشيرته ولا يكاد يأتيه نبأ انتصار قومه في موقعة حتى يفيض لسانه بالشعر ممجداً هذا النصر مشيداً بشجاعة قومه وبسالتهم، وإن كانت الهزيمة من نصيب قومه أخذ يلتمس لهم المعاذير ويتوعد أعداءهم بثأر قريب ويرثي من أصابه الردى من فرسان قومه[٥].

وقد لعب الشعر دوراً كبيراً في اشتداد العصبيّة القبليّة، ولذا فقد كثر الشعر في العصر الجاهلي، فالشاعر هو الناطق الرسمي للقبيلة المتحدث بلسانها الحافظ لأمجادها ومفاخرها

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، جلال الدين، إمام حافظ مؤرخ أديب، توفي بالقاهرة سنة ٩١١م، له تصانيف عديدة في كثير من الفنون، من أشهر كتبه : الإتقان في علوم القرآن، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، وغيرها . انظر : الأعلام للزركلي : (٣٠١/٣).

(٢) المزهر في علوم اللغة، عبد الرَّحمن جلال السيوطي، شرح محمد أبو الفضل، دار الفكر، بيروت، ٤٧٣/١.

(٣) ديوان الحطيئة، عناية : حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ، ص ٢١.

(٤) مفهوم الجاهليَّة في الشعر الجاهلي، محمد الناصر، مجلة البيان، ص٦١ -٦٢.

(٥) العصبيَّة القبليَّة في الشعر الأموي، إحسان النص، ١٦٤-١٦٥.

المدافع عنها أمام القبائل الأخرى، والشعر هو وسيلة الإعلام الوحيدة التي كانت موجــودة في ذلك العصر، فهو يقوم مقام الصحف والإذاعة والتلفاز، فهو معلق ومدافع ومذيع وناشر لأخبار قبيلته[١].

وكان موقف الشّاعر الجاهلي من الأحداث المتصلة بقبيلته هو في الغالب موقف العصبي الغالي في عصبيته فهو يؤثر العدوان على المسالمة والحرب على المهادنة والثأر على الدية، ومن هنا كانت السمة الغالبة على الشعراء الجاهليين أنهم أبواق عدوان ودعاة شر[٢].

ولقد كانت القبيلة هي المثلث وقطب الرحى في حياة المرء الجاهلي والبعد الأعمــق في وجدانه، وكانت خياراً ضيقاً عنده، فبيئته الصحراوية كونت له أخلاقــاً وثقافــة بســبب معطيات الجدب والحرب، وهنا يعد الانتماء القبلي الركيزة الأساسية في الحيــاة القبليّــة، فكانت العصبيَّة مظهراً لهذا الانتماء، وهي التي تستند بدورها إلى الدم ووحــدة القبيلــة في المصير والغاية، واستطاعت العصبيَّة أن تخلف مركزية لها وتجلى ذلك في الشعر، حيث تحول العقد الاجتماعيّ بين الشّاعر والقبيلة إلى عقد فني جعله معبراً عن مشاعرها وتطلعاتها قبل أن يكون معبراً عن مشاعره وتطلعاته الشخصية لذلك اتجهت الأنا نحو النحن من خلال الفخر والإشادة بالقيم التي تمثلها القبيلة، فكانت الغاية قبلية وإن تكون الوسيلة فردية[٣].

وقد كانت معظم أغراض الشعر الجاهلي استجابة لنداء النظام القبلي ونداء العصــبيَّة، فالفخر يصور أمجاد القبيلة، والمدح يضفي عليها ثوباً تتميز به عند القبائل الأخرى، وحتى في الرثاء والغزل والهجاء نرى المسحة القبليَّة والاعتزاز القبلي، ولأهمية الشعراء كانت العرب لا تقيم الاحتفالات الضخمة إلا في ثلاثة أمور، منها ميلاد شاعر، وإذا تعددت شعراء القبيلــة الواحدة قدم عليهم شاعراً وسموه شاعر القبيلة[٤].

---

(١) العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، محمد خريسات، ص ٩١-٩٥.

(٢) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، ص ١٦٧.

(٣) جدل العصبيَّة القبليَّة والقيم، علي مصطفى عشّا، مجلة اللغة العربية بدمشق، جزء ١ مجلد ٨٣ ص ١-٣.

(٤) العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام . محمد خريسات، ص ٩٢.

وكان الشَّاعر يقدم على الخطيب، وذلك لحب العرب للشعر الذي يقيد مآثرهم، ويعظم شأنهم، ويهول على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم، ويخوف من كثرة عـددهم، ويهاب شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم[١].

وفي هذا يقول تميم بن أبي مقبل :

فقل للذي يبغي علي بقومه ❀ أجداً تقول الحق أم أنت تمزح
بنو عامر قومي ومن يكن قومه ❀ كقومي يكن فيهم له متندح [٢]

ويقول الشَّاعر[٣] :

إنا إذا غربت شمس أو ارتفعت ❀ وفي مباركها بزل المصاعيب
قد يسعد الجار والضيف الغريب بنا ❀ والسائلون ونغلي ميسر النيب
يومان يوم مقامات وأندية ❀ ويوم سير على الأعداء تأويب [٤]

ويقول عمرو بن كلثوم التغلبي :

ونحن الحاكمون إذا أطعنا ❀ ونحن العازمون إذا عصينا
ونحن التاركون لما سخطنا ❀ ونحن الآخذون لما رضينا
وأنا المنعمون إذا قدرنا ❀ وأنا المهلكون إذا أتينا

إلى أن يقول:

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ❀ ونبطش حين نبطش قادرينا

---

(١) البيان والتبيين، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق : عبد السَّلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ، ٢٦٣/١.

(٢) ديوان تميم بن أبي بن مقبل، تحقيق عزه حسن، وزارة الثّقافة بدمشق، ص٤٦.

(٣) سلامه بن جندل السعدي.

(٤) انظر، المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ط٦ بيروت ص ١١٩-١٢٠.

ملأنا البحر حتى ضاق عنا ❁ وماء البحر نملؤه سفينا
إذا بلغ الرضيع لنا فطاماً ❁ تخر له الجبابر ساجدينا
ونشرب إن وردنا الماء صفواً ❁ ويشرب غيرنا كدراً وطينا [١]

وقد يكون هذا الشعر مبنيًّا على أساس الغلبة والظلم الذي يخالطه جفاء وغلظة ، يقول زهير بن أبي سلمى :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه ❁ يهدم ومن لا يظلم النَّاس يظلم
ومن لم يصانع في أمور كثيرة ❁ يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم [٢]

ويكون الشعر أحياناً مبنياً على شدة البأس والمباهاة والانتصار لبعضهم البعض، وكانوا يرون أن النصرة لهم حق واجب، وإن لم يعطوه طالبوا به، بل ربما عيّر العربي قبيلته كلها جراء تخليها عن نصرته، قال قريظ بن أنيف[٣] وكان بعض بني شيبان أغاروا على إبله فاستنجد قومه فلم ينجدوه فلجأ إلى بني مازن فأنجدوه فقال :

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي ❁ بنو الشقيقة من ذهل بن شيبانا
إذاً لقام بنصري معشر خشن ❁ عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ❁ طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم ❁ في النائبات على ما قال برهانا
لكن قومي وإن كانوا عددًا ❁ ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته ❁ سواهم من جميع النَّاس إنسانا [٤]

وقد راجع بعضهم نفسه فذم الحرب، وهذا يعد من طور مراجعة الذات لما كان له من

---

(١) شرح المعلقات، شرح أبي زكريا التبريزي، تحقيق لايل، طبعة الكلكتا، ط١، ١٨٩٤، ١٥٣.
(٢) شرح المعلقات ٢١٤ -٢١٥.
(٣) قريظ بن أنيف من بني العنبر من بني عمرو من تميم.
(٤) انظر، العقد الفريد، بن عبدربه، ٢٩٦/١.

مواقف مع الحرب[١] يقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي[٢]:

الحـــرب أول مـــا تكـــون فتيـــة ❀ تســـعى بزينتـــها لكـــل جهـــول
حتـــى إذا حميـــت وشـــب ضـــرامها ❀ عـــادت عجـــوزاً غـــير ذات خليـــل
شمطـــاء جـــزت رأســـها وتنكـــرت ❀ مكروهـــــة للشـــــم والتقبيـــــل

وتدل الشواهد الشعرية العديدة على أن القبائل اهتمت بتقييد أشعار شعرائها، وبعض هذه القبائل كانت تسجل أيضاً أخبار حروبها ووقائع أيامها ومفاخرها ومآثرها وحكمها[٣].

ولم تقف العصبيَّة القبليَّة عند العصر الجاهلي بل امتدت آثارها إلى التنظيم السياسي للمجتمع الإسلامي، وإلى الآثار الفكريَّة وخاصة كتابة تاريخنا، ومع التَّسليم أنه قلما أن يوجد تاريخ خال من التعصب[٤].

المطلب الثاني : الشعر عند العرب في صدر الإسلام

وبعد ذلك جاء الإسلام فأدرك خطر هؤلاء الشعراء، فنفّر من الشعر القبلي المثير للضغائن والعصبيات ولقي الرسول ﷺ من هجاء شعراء المشركين عنتاً شديداً فلا غرو أن نجده ﷺ يذم الشعر، فيقول : « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً »[٥]، وهؤلاء هم الذين عناهم القرآن في قوله تعالى : ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ

---

(١) تاريخ الشعر السياسي، أحمد الشايب، دار القلم، بيروت لبنان، ١٩٧٦م، ص ١٥٣.

(٢) هو : عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي، فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة. يكنى أبا ثور. وفد على المدينة سنة٩هـ فأسلم وعاد إلى اليمن. ولما توفي النبي ﷺ ارتد، ثم رجع إلى الإسلام، وحسن إسلامه وأخبار شجاعته كثيرة، توفي سنة ٢١ ه. الأعلام للزركلي : (٥/ ٨٦-٨٧).

(٣) مصادر الشعر الجاهلي وقيمته التاريخية، د ناصر الدين الأسد، مصر، ١٩٥٦م، ص ١٠٧-١٣٣-١٦٥.

(٤) بلوغ الأرب، الألوسي، ١٧/٣.

(٥) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر، حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن، برقم : (٦١٥٤). ومسلم، كتاب الشعر، برقم : (٢٢٥٩).

﴿٢٢٤﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، ولكن الرسول ﷺ حارب هؤلاء الشعراء بسلاحهم، فدعا نفراً من شعراء الأنصار للرد على هجاء شعراء المشركين بمثله، وفي طليعتهم حسان بن ثابت رضي الله عنه وأشار الرسول ﷺ على حسان أن يستعين بأبي بكر رضي الله عنه ليدله على معايبهم ومثالبهم، وحين كانت تقدم الوفود يقوم شعراؤهم وخطباؤهم متفاخرين بقبائلهم كان يدعو أنصاره من الشعراء والخطباء إلى إجابتهم بمثل ما يقولون(١).

ووقف خلفاء الرسول ﷺ موقف المناهض كذلك للشعر القبلي المثير للضغائن، فكان عمر رضي الله عنه ينهى عن مناشدة الشعر الذي يثير الأحقاد والعداوات والقبلية، ويعاقب الشعراء عليه كما فعل بالحطيئة حين هجا الزبرقان، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا أتى بشاعرين يتهاجيان أمر بلزمهما بحبل ثم يعطي كل منهما سوطاً ويأمرهما أن يتجالدا(٢).

وبعد ذلك كان يلجأ القوم الذين ينالهم أذى من الشعراء إلى الوالي أو خليفة المسلمين ليعديهم على الشّاعر الذي هجاهم، وكان من أثر هذا وقيام الدولة الإسلاميَّة وفتوحاتها أن تناقص الشعر القبلي في صدر الإسلام وقل النظم في الأغراض المتصلة بالعصبيات، واتجه الشعراء إلى الفنون الأخرى كشعر الدَّعوة والجهاد والمديح والغزل وغيرها(٣).

وقد أفاد جيل عصر السيرة والراشدين من هذه الأشعار في فهم القرآن الكريم وتفسير معانيه، قال ابن عباس رضي الله عنه : « إذا سألتموني عن عربية القرآن فالتمسوه بالشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب »(٤).

وقد سمع النّبيّ ﷺ الشعر، ففي صحيح مسلم عن عمرو بن الشريد عن أبيه رضي الله عنه قال : « أردفت رسول الله ﷺ يوماً فقال : هل معك من شعر أميّة بن أبي الصلت شيء ؟ قلت :

---

(١) الأغاني لأبي الفرج، ٤/١٣٧-١٤٦.

(٢) المرجع السابق ٤/١٤٠ . وتاريخ الطبري ٣/٤٣٠.

(٣) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد الخطيب البغدادي، تحقيق د محمود الطحان، نشر مكتبة المعارف، ١٤٠٣هـ.

نعم، قال : هيه، فأنشدته بيتاً، فقال : هيه، ثم أنشدته بيتاً، فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت ››[١]. قال في الجامع لأحكام القرآن : "وفي هذا دليل على حفظ الأشعار والاعتناء بها إذا تضمنت الحكم والمعاني المستحسنة شرعاً وطبعاً، وإنما استكثر النبي ﷺ من شعر أمية؛ لأنه كان حكيماً"[٢]، وأثنى على بعضه فقال: ‹‹ إنَّ من الشِّعر حكمة ››[٣]، وامتدح الشعراء المسلمين الذين نافحوا عن الدين، وبنى عمر رضي الله عنه رحبة في ناحية المسجد النبوي سميت بالبطيحاء، وقال : ‹‹ من كان يريد أن يلفظ أو ينشد شعراً أو يرفع صوته فليخرج إلى هذه الرحبة ›› ؛ حيث إنه قد نهى النَّبيّ ﷺ عن تناشد الأشعار في المسجد، وقد برز في عصر السيرة من شعراء الإسلام : حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة ﷺ[٤].

والشعر كلام حسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام، كما قال الإمام الشَّافعي[٥] رحمه الله، وروي مرفوعا إلى النَّبيّ ﷺ، فالإسلام وقف منه موقفه من الكلام ذاته، بل إن الله تعالى استثنى في ذمّه الشعراء من كان منهم مؤمناً عاملا للصالحات، منتصرا للحق وأهله كما قال سبحانه : ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤ – ٢٢٧]. قال السعدي "فلما وصف سبحانه من ذكر الله وانتصر من أعدائه المشركين من بعد

(١) رواه مسلم، كتاب الشعر، برقم : (٢٢٥٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٣/١٣١.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، برقم : (٦١٤٥).

(٤) عصر الخلافة الراشدة، أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض ط١ ١٤٣٠، ص٣١٧.

(٥) محمد بن إدريس بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله، إليه نسبة المذهب الشافعي، ولد في غزة (بفلسطين) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين، وقصد مصر سنة ١٩٩ه فتوفي بها سنة ٢٠٤ه، له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب : الأم في الفقه . انظر : الأعلام للزركلي : (٦/٢٦).

ما ظلموهم فصار شعرهم من أعمالهم الصالحة وآثار إيمانهم لاشتماله على مدح أهل الإيمان والانتصار من أهل الشرك والكفر والذب عن دين الإيمان وتبيين العلوم النافعة والحث على الأخلاق الفاضلة "(١).

قال ابن حجر "والشعر يكون مباحا إذا خلا من الهجو والإغراق في المدح والكذب المحض والتغزل بمعيّن لا يحل "(٢)، أما ما جاء في النصوص عن ذم الأشعار فهو محمول على الشعر الذي لا يحل سماعه، وصاحبه ملوم إذ يتكلم بالباطل فيفضل أجبن النَّاس على عنترة، وأشحهم على حاتم، ويبهت البريء ويفسق التقي، ويفرط في القول بما لم يفعله، فقد قال النَّبيّ ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : ((لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا يريه خير له من أن يمتلئ شعرا))(٣)، والمراد هنا من غلب عليه الشعر، وامتلأ صدره منه دون علم سواه ، ولا شيء من الذكر ممن يخوض به في الباطل، ويسلك به مسالك لا تحمد له، كالمكثر من اللغط والهذر والغيبة وقبيح القول(٤).

وفي حديث عنه ﷺ أنه قال: ((أمرت عبد الله بن رواحة بهجاء قريش، فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك، فقال وأحسن، وأمرت حسان بن ثابت، فشفى وأشفى))(٥).

ويقول حسان في همزيّته التي أجاب فيها أبا سفيان بن الحارث وقد استهلّها بمطلع غزلي جميل(٦):

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرَّحمن السعدي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٢هـ ١٢٣٨/٣.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد علي بن حجر، دار الريان للتراث، القاهرة ط٢، ١٤٠٧هـ ٥٣٩/١٠.

(٣) تقدَّم تخريجه ص ١٣٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٨٦/١٦.

(٥) ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في إتحاف المهرة : (٢٧٣/١٧) ، برقم : (٢٢٤٣٥) ، ونسبه إلى الطحاوي في شرح معاني الآثار ، ولم أجده في المطبوع.

(٦) الشعر في ضوء الشَّريعة الإسلاميَّة، محمد عبد الرَّحمن شميلة الاهدل، طبعة الجامعة الإسلاميَّة المدينة =

عفت ذات الأصابع فالجواء ❁ إلى عذراء منزلها خلاء

إلى أن يقول:

عدمنا خيلنا إن لم تروها ❁ تثير النقع موعدها كداء

يبارين الأسنة مصعدات ❁ على أكتافها الأسل الظماء

تظل جيادنا متمطرات ❁ تلطمهم بالخمر النساء

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا ❁ وكان الفتح وانكشف الغطاء

وإلا فاصبروا لجلاد يوم ❁ يعز الله فيه من يشاء

إلى أن يقول:

ألا أبلغ أبا سفيان عني ❁ فأنت مجوف نَخْبُ هواء

بأن سيوفنا تركتك عبدا ❁ وعبد الدار سادتها الإماء

هجوت محمدا فأجبت عنه ❁ وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفءٍ ❁ فشركما لخيركما الفداء

فمن يهجو رسول الله منكم ❁ ويمدحه وينصره سواء

فإن أبي ووالده وعرضي ❁ لعرض محمد منكم وقاء [(١)]

والشعر الإسلامي ساهم أيضاً في نقض الشعر القبلي، حيث ألغى الإسلام العصبيَّة ورابطة الجنس، وصار الشعر يتمثل هذه القيم الجديدة الكريمة بعد أن كان سلاحاً يثير أحقاد القبائل، فالعباس بن مرداس يقاتل بني عمه مخالفاً هواه مطيعاً ربه ودينه حيث يقول[(٢)]:

=

١٣٩٧هـ العدد الأول جمادى الاخرة ص ١٦٢.

(١) انظر، ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه، حققه : د وليد عرفات، دار صادر، بيروت، بدون طبعة، ٢٠٠٦م.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، ص٤٦٤، وبني سليم جاهدوا يوم حنين ومعهم شاعرهم عباس مع المسلمين

=

ويوم حنين حين سارت هوازنٌ ❁ إلينا وضاقت بالنفوس الأضالع
أمام رسول الله يخفق فوقنا ❁ لواءٌ كخذروف السحابة لامع

إلى أن يقول :

نذود أخانا عن أخينا ولو نرى ❁ مطالاً لكنا الأقربين تُتابع
ولكن دين الله دينَ محمد ❁ رضينا به فيه الهدى والشرائع

ولكن منذ أن وجدت العصبيَّة كان الشعراء حملة لوائها ورسلها المخلصين يبشرون بدعوتها ويسيرون في ركابها وينفخون في أبواقها، وكان جل الشعراء الذين خاضوا غمار معركة العصبيَّات في بلاد الشام والجزيرة ينتمون إما إلى قيس المضرية، وإما إلى تغلب الربعية، وإما إلى كلب اليمنية، وفي العراق حظيت القبائل النزارية ولا سيما تميم وبكر بالعدد الأوفى من الشعراء المنافحين عن قبائلهم، وفي مقدمتهم الفرزدق وجرير، وكذلك شعراء القحطانية، وقد ثارت معركة الأنساب في صدر العصر الأموي واحتدم النزاع بين الكتلتين النزارية والقحطانية[(١)].

وكما أن الشعر وسيلة لانتشار العصبيَّة القبليَّة، فهناك أيضاً من سخر الشعر للتحذير من ذلك وفي هذا يقول نهار بن توسعة التميمي البكري وقد آثر الانتماء إلى الإسلام على الانتماء إلى بكر أو تميم[(٢)] :

أبي الإسلام لا أب لي سواه ❁ إذا افتخروا ببكر أو تميم
دعي القوم ينصر مدعيه ❁ فيلحقه بذي النسب الصميم

=

يقاتلون هوازن وهوازن تجتمع معهم في النسب.

(١) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، ص ٣٦٩- ٣٧٥.

(٢) هو نهار بن توسعة بن أبي من بني حنتم عتبان شاعر فارس وكان أشعر بكر بن وائل عاش في العصر الأموي في عهد هشام بن عبدالملك من سكان خراسان له ترجمة في تاريخ دمشق لابن عساكر ٦٢/٣١٤.

وما كـرم ولـو شـرفت جـدود ❀ ولكـن التقـي هـو الكـريم [(١)]

وكان اللغويون يحذرون من الشعراء ويخافون منهم وقال المتنبي قولته المشهورة : "وعداوة الشعراء بئس المقتنى "[(٢)]، ولذلك تجد تحالفًا دائمًا بين الشَّاعر والقبيلة، فبدل أن يتحاربا يجتمع سلطان الشعر وسلطان القبيلة، وقد صار هذا التحالف فاتخذ الشَّاعر القبيلة حلفه وظهره ورضيت القبيلة بذلك؛ لأن صوت الشَّاعر هو قوة إضافية لها، تماماً مثلما يحدث في زماننا هذا من تحالف السلطات ووسائل الإعلام وهو تحالف بين السلطة السِّياسيَّة والإعلام[(٣)].

لقد كان الشعراء من أهم من أثار نوازع العصبيَّة والنعرة القبليَّة في العصر الأموي بين القبائل العربية الذين كانوا ينافحون عن قبائلهم بشعرهم وبيانهم، فيذمون خصومها، ويشيدون بذكر وقائعها وبطولاتها، ويفاخرون بمحامدها ويمجدون فضائلها، ولا يكاد يوجد عصر من عصور الإسلام شارك فيه الشعراء والبلغاء في الخصومات القبليَّة بالخطب والشعر والمفاخرات والهجاء كالعصر الأموي .

فكان أكثر الشعراء – بدل أن يكونوا دعاة رسل ومحبة وأخوة وإصلاح وسلام كما يجب أن يكونوا – كانوا دعاة شر وملقحي فتن وأبواق حرب، دأبهم أن يحرشوا بين القبائل ويقرعوا طبول الشر، حتى إذا ما وقعت الحرب صفقوا يهللون لها ويشيدون بالأمجاد ويدعون للثأر[(٤)]، مما حدا بالحسن البصري رحمه الله فقيه عصره بأن يتهمهم بأنه لم تكن فتنة إلا كانوا أكثر أهلها[(٥)]، وكذلك وصفهم هشام بن عبدالملك بأنهم "الذين فرقوا

(١) الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣هـ، ص ٥٢٨.

(٢) ديوان المتنبي، وضعه عبد الرَّحمن البرقوقي، المكتبة التجارية القاهرة، ٣٣٨/٤.

(٣) القبيلة والقبائلية، الغذامي، ص ١٦٧.

(٤) العصبيَّة القبليَّة، إحسان النص، ص ٣٧٦.

(٥) تاريخ الطبري، ٣٤٠/٥.

أعراضهم وهتكوا أستارهم وأغروا بين عشائرهم في غير خير ولا بر ولا نفع "[١].

المطلب الثالث : الشعر عند العرب في الوقت المعاصر

أما الشعر في الوقت المعاصر فهو وسيلة لها أثرها البالغ في نشر العصبيَّة القبليَّة، فقد انتشرت القنوات الشعرية الشعبية في الساحة الإعلامية، وكثر متابعوها خصوصاً من أبناء القبائل، حتى أثارت بينهم النزعة القبليَّة الجاهليَّة، وذلك من خلال القصائد والأشعار التي تلقى في هذه المنابر التي تحتاج لمتابعة ومراقبة لما يعرض فيها خصوصاً ما يسمى بالمسابقات الشعرية المتنوعة والتي أصبح لكل قناة شعرية مسابقة خاصة ومستقلة بها عن غيرها بهدف الجذب والربح المادي .

ومن الملاحظ في الآونة الأخيرة كثرة وانتشار القنوات الفضائية التي تُعنى كثيراً بنقل الشعر نظماً ومحاورة، وجل هذه القنوات تتنافس فيما بينها في عرض الشعر والشعراء، وكذلك إقامة مسابقات شعرية يتفننون في عرضها، وجذب أنظار المشاهدين إليها، غير أن بعض هذه القصائد، والمسابقات الشعرية في هذه القنوات لا تخلو من محاذير شرعية فتجد التعصب المقيت المذموم لأحد الشعراء المتسابقين إما لقبيلته أو بلده أو لذاته وما يحصل من التَّفاخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، ناهيك عن إذكاء روح العصبيَّة القبليَّة، والحمية والنعرات الجاهليَّة، مما يكون سبباً للوقوع في الشحناء والتباغض والتنافر، وكذلك ما يحصل من سخرية واستهزاء وغيبة، من بعض الشعراء لمن ينافسه، أو من بعض المشاهدين لهم، أو لأعضاء لجنة التحكيم في المسابقات الشعرية[٢].

وقد كثر الشعراء في زمننا هذا، وأقيمت للشعر مسابقات، وفتح له من القنوات ما خصص باسمه، وصارت للشعراء منتديات، ولقاءات، وصحف ومجلات، وحظوات عند أهل الحكم والرياسة ومن تلكم المسابقات مسابقة شاعر المليون، وهو مهرجان شعري يعتبر

(١) الأغاني، الأصفهاني، ٨١/٨.

(٢) انظر، الشعر في القنوات الشعبية ما له وما عليه، سعد ضيدان السبيعي.

الأهم على مستوى الشعر النبطي في العالم العربي، وقد بدأت هذه المسابقة في موسمها الأول عام (١٤٢٧ــ١٤٢٨ هـــ) (٢٠٠٦ــ٢٠٠٧ م) في مدينة (أبو ظبي) وتقوم فكرها على التنافس بين مجموعة من الشعراء أمام لجنة تحكيم التي يكون لها الحق في منح نصف الدرجة للمتسابقين، والنصف الآخر للجمهور من خلال بث رسائل على الهواتف الجوال لترشيح شاعرهم المفضل الذي يحمل رقما للتصويت لا يتغير طيلة المسابقة[١].

ولهذه المسابقات الشعرية محاذير لعل، من أهمها تمزيق وحدة الأُمَّة الإسلاميَّة، وتفريق جمعها، لا شك إن هذه مسابقات غدت لونا من ألوان تمزيق الأُمَّة الإسلاميَّة الواحدة إلى دول بعدد اللهجات التي تنتشر فيها، وتقسم الدولة الواحدة أقاليم وأجزاء بعدد اللهجات المحلية فيها، هذا إذا علمنا أن أهل كل لهجة سينتصرون للهجتهم، وذلك بنشرها وتأصيلها والتصويت لها والذب عنها، حتى تفوق وتسود غيرها من اللهجات، مما يكون سببا لنشر البغضاء وزرع الحقد وإثارة العداوة والخلاف بين أبناء الدولة الواحدة.

ومن أهم المحاذير لهذه المسابقات الشعرية إحياء دعوة الجاهليَّة والعصبيات القبليَّة، ويدخل في ذلك رفع شعارات الجاهليَّة كالافتخار بالقبلية أو القومية أو التعلق بالنسب أو الحسب أو التعلق بآثار الجاهليَّة، كالعصبيات المقيتة، ولا سيَّما ما تفرزه تلك المسابقات من مزاحمة للإسلام، وأما إحياء ذلك بين عشاق تلك المسابقات فلون آخر حيث تجسَّدت هذه الدعاوى والعصبيات بينهم تجسُّدَ الروح بالبدن، بل لا تكون ولا تزداد جذوة التشجيعات والحماسات والمنافسات في أوساط المشجّعين إلّا عند وجود هذه العصبيَّات والنعرات الجاهليَّة، وإنا لا نشك طرفة عين أن مسابقة شاعر المليون مثلاً غدت منبعا للعصبيات الجاهليَّة ومنجما للنعرات القبليَّة، حيث ضرب حولها الشيطان فسطاط ضلالته، وحفها بسرادق جهالته، إلا ما رحم ربي وقليل ما هم، فهي هجهاجة فتنة وأجاجة إحنة، فكم

(١) المخالفات الشَّرعيّة في قصائد مسابقة شاعر المليون، فهد عبد العزيز السنيدي، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٣٤٥هـــ ص ٤-٥.

عججت نقع البلاء وأججت نار الهيجاء، ومن تجاهل هذه المعاني المقيتة بين مشـــجعيها أو تنكرها فهو جاهل بارد أو غمر كائد، وبينه وما يقول خرط القتاد، وقد قيل :

ولــيس يصــح في الأذهــان شــيء ❁ إذا يحتـــاج النـــهار إلى دليـــل

ومن هذه المحاذير الطعن في الأنساب، وذلك بازدراء القبائل الأخرى والتقليل من شأنها لاسيما إذا خسر شاعرهم، وقد قال النَّبيّ ﷺ : ((اثنتان في النَّاس هما بهم كفر : الطعـــن في النسب، والنياحة على الميت))[1][2].

وقد ظهر الافتخار بالقبلية والوطنية القومية والتعلق بالنسب والحسب في قصائد شـــاعر المليون بشكل كبير وواضح، وهذا مزلق خطير ومسلك كبير إلى الحرام وقف الإســـلام في وجهه، ومنعه بكل أشكاله المؤدية إلى آثار الجاهليَّة المقيتة، بل إن ما اتضح في غالب شـــعر هؤلاء في تلك المسابقة هو امتحان النَّاس بهذا الانتساب القبلي، وإن زعم بعضـــهم عـــدم المساس بالآخرين، لكن ظاهر الأمر وبوادره تدل على هذا فكل واحد ينتخـــي[3] قبيلتـــه ويفخر بها على الآخرين، ويطلب منهم العون في التصويت، "والحق أنه لا يجوز لأحـــد أن يمتحن النَّاس بالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا يجوز لأحد أن يوالي بهـــذا الأسمـــاء ولا يعادي بها، بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كانت"[4].

عن عُتي بن ضمرة قال : رأيت رجلا تعزى عند أبي بن كعب ﷺ بعـــزاء الجاهليَّـــة، افتخر بابيه و لم يكنه، ثم قال لهم : أما إن قد أرى الذي في أنفسكم إني لا أستطيع إلا ذلك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((من تعزى بعزاء الجاهليَّة فأعضّوه ، ولا تكنوا))[5]؛

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة على الميت، برقم: (٦٧).

(٢) المرجع السابق ص ٣٨-٤٣.

(٣) انتخى فلان علينا : أي افتخر وتعظّم، انظر لسان العرب، ٣١٣/١٥.

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيميَّة، ٤١٦/٣.

(٥) البخاري في الأدب وأحمد ، وصححه االالباني.

أي قولوا له : " أعضض بأير أبيك ولا تكنوا عن الأير بالهن؛ تنكيلا له وتأديباً"[(١)]، وفيه زجر عن دعوة الجاهليَّة؛ لأنهم كانوا يقولون في الاستغاثة : يا لفلان! وينادي : أنا فلان ابن فلان، ينتمي إلى أبيه وجده لشرفه وعزه ونحو ذلك، فمعنى الحديث : قبحوا عليه فعله وقولوا أعضض بهن أبيك، فإنه في القبح مثل هذه الدعوى "ومعنى قوله من تعزى بعزاء الجاهليَّة : يعني يعتزي بعزاوتهم، وهي الانتساب إليهم في الدَّعوة مثل قوله : يا لقيس يا ليمن، ويا لهلال، ويا لأسد، فمن تعصب لأهل بلدته أو مذهبه أو طريقته أو قرابته أو لأصدقائه دون غيرهم كانت فيه شعبة من الجاهليَّة، حتى يكون المؤمنون كما أمرهم الله تعالى معتصمين بحبله وكتابه وسنة رسوله"[(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله : « وكان ذكر هن الأب ها هنا أحسن، تذكيرا لهذا المتكبر بدعوى الجاهليَّة بالعضو الذي خرج منه، وهو هن أبيه، فلا ينبغي له أن يتعدى طوره »[(٣)]، وما هذا إلا لشدة تحريم التعصب لنعرة الجاهليَّة والتعلق بالقبيلة أو ما في حكمها[(٤)].

وفي لقاء صحفي شدد المشرف العام على التلفزيون السعودي أنه لن يكون هناك أي قصور في محاربة القنوات المثيرة للعصبيات مستدلا على ذلك بإغلاق الوزارة لمكاتب أحد أكبر القنوات الشعبية الشعرية في المملكة بسبب إثارتها للعصبيَّة والنعرات بين أبناء المجتمع، مؤكدا على أن هذا الإغلاق قد تتبعه قرارات أخرى، وهو يعتبر جرسا لبعض القنوات التي لا تلتزم بالمبادئ المهنية، وتثير التعصبات والحساسية بين أفراد المجتمع، وأكد على أن وزارة الإعلام تلقت شكاوى عديدة ضد ما أسماه بالعصبية، وكلهم يشتكون القناة بسبب انتهاجها النفس القبلي المتعصب، مؤكدا تحرك الوزارة نحو قنوات أخرى وضعت العين

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ٣/٢٢٨.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيميَّة، ٢٨/٤٢٢.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، الرسالة بيروت ط٢، ١٤١٨هـ، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، ٢/٤٠٠.

(٤) المخالفات الشرعية في قصائد شاعر المليون، السنيدي، ١٨-١٩.

عليها، وبين أن الشكاوى تتمحور حول بعض البرامج المعروضة المثيرة للعصبيات ومخالفات شريط الرسائل النصية القصيرة sms، بالإضافة إلى عدم وجود ترخيص رسمي من الوزارة، مشيرا إلى أنه سيتم النظر في تلك الشكاوى باللجنة المختصة في الوزارة، مشيراً إلى أن تلك الشكاوى من اختصاص الوزارة، ولن تحال إلى المحاكم القضائية، ونبه المسؤول جميع القنوات العاملة في المملكة إلى العمل وفق الأنظمة والشروط المعمول بها، والبعد عن إثارة العصبيَّات، وإلا سيتم إيقافها فوراً دون سابق إنذار، ولفت إلى أن وسائل الإعلام تعمل على محاربة العنصرية بكافة أشكالها من خلال ما تبثه من برامج، مرحبا باستخدام المشاهير في عمل حملة للتحذير من خطورة التعصب القبلي والإقليمي والمناطقي ، ويرى كثير من المراقبين أن قنوات الشعر وبرامجه السبب في تنامي العصبيَّة في المجتمع السعودي، حيث يستخدمها الكثيرون لرفع أسهمهم لدى أفراد قبيلتهم، ودعا المحللون لمحاربة القنوات الشعبية والشعرية التي تروج للعصبيات من خلال مواد إعلامية تعجب البسطاء والجهّال، الذين لا يملكون مقومات الافتخار الحقيقي(١).

وفي تقرير لصحيفة سبق الإلكترونية أنه أثار إعلان وزارة الثَّقافة والإعلام عزمها إغلاق القنوات الفضائية، التي يثبت تعمدها إثارة الفتنة الطائفية والتفرقة العنصرية في المجتمع، ردود فعل إيجابية بين المواطنين، الذين أيّدوا خطوة الوزارة، وشجَّعوا على إغلاق هذه القنوات الفضائية المنفلتة، والحد من ممارساتها ودعواتها للعنصرية والتفرقة بين أبناء الوطن الواحد
فكان هذا التقرير : لماذا أصبح صوت هذه القنوات النشاز عالياً ؟ وإلى أي مدى أسهمت في تكاثف غيوم التعصب والعنصرية والطائفية في أجواء المجتمع السعودي ؟ للإجابة عن هذه التساؤلات، نذكر بعض النماذج السيئة التي توضح مدى تأثير هذه القنوات على بعض أطياف المجتمع.. فقد نشرت وسائل الإعلام المحلية قبل أشهر حادثة إقدام أربعة مواطنين على قتل مواطن بالرصاص أمام أحد المساجد، عندما كان يهم بالنزول لأداء الصلاة، والسبب أن المقتول انتقص من قدر قبيلتهم في إحدى القنوات، كذلك قيام ثلاثة أشخاص من إحدى

---

(١) صحيفة عكاظ الجمعة ١٤٣٣/١/٢١هـ العدد ٣٨٣٤. 16.

المناطق بالسفر إلى مدينة الرياض، من أجل خطف شاعر شعبي وضربه ضرباً مبرحاً؛ لأنـــه تطاول بقصائده على قبيلتهم، أيضا نذكر حادثة تجمهر عدد من الأشخاص أمام مكتب إحدى القنوات الشعبية في الرياض، بسبب ظهور شاعر "مراهق" على شاشـــتها وقيامـــه بـــــ"تقزيم" الآخرين، وتعزيز التفوق لقبيلته، وسرد حكايات تاريخية وقصائد لبطولات وهمية عفا عليها الزمن[(١)] .

وفي إحصائية لشركات الاتصالات بعد استيضاح حقيقية الأرقام التي دفعت للبرنـــامج أعلنت شركة الاتصالات السعودية عن الأرقام، وكانت كالتالي : التصويت للجـــزء الأول مبلغ : ١٥٦٧٥٦٣٩٨ما يزيد عن ١٥٦مليون ريال سعودي . التصـــويت للجـــزء الثـــاني : ١١٤٦٥٠٧٤٢ما يزيد عن ١١٤ مليون. التصويت للجزء الثالث : ١٨٤٦٣٢٩٦٢ما يزيـــد عن ١٨٤ مليون ريال سعودي . وهذا من شركة اتصالات واحـــدة فقـــط فكيـــف ببقيـــة الشركات[(٢)].

وفي تقرير لصحيفة الرياض عن هذا البرنامج : أن الإعلام العربي يحمل اليوم لواء معول الهدم، من خلال تبنيه لبرامج ذات توجهات عصبيَّة قبلية، فبالأمس القريب كـــان برنـــامج "شاعر المليون" ناقوسًا أذكى العصبيَّة القبليَّة بكل أبعادها في كافة أرجاء المجتمع الخليجـــي، حيث أصبح شعراء المسابقة لا هم لهم إلا مدح قبائلهم والتفاخر بأمجادها وانتصـــاراتها، في حين يقلل من شأن القبائل الأخرى، وقد باركت القبائل هذه "الحرب الكلامية" وأصبحت كل قبيلة ملزمة بدعم شاعرها، ليس مهما أن يكون بارعاً في الشعر، فالأهم أن لا يتـــدنس شرف القبيلة بخروج شاعرها من المسابقة، ولم يقتصر الأمر على برنامج يتيم بل ظهرت في الساحة الإعلامية العديد من القنوات الشعبية التي تقوم على تمجيد القبيلة، والفخر بالأنساب والأحساب، مما جعل المراهقين والغوغاء يرابطون عند شاشات التلفاز، ويذودون عن حمى القبيلة من خلال رسائل الشات التي لا تعدو عن كونها سهاماً تطعـــن في جســـد الأُمَّـــة

(١) صحيفة سبق الإلكترونية، ٢٢ صفر ١٤٣٤هـــ .http://sabq.org/KQtfde

(٢) منتديات الموازين الرسمية ، رد من شركة الاتصالات السعودية حول أرقام تكلفة التصـــويت في البرنـــامج، http://www.almouazeen.com/archive/index.php/t-19989.html.

ووحدهما، فتولد الأحقاد، وتذكي العصبيَّة القبليَّة بشتى صورها، حيث بدأت ظاهرة تشجيع القبليَّة بعد السماح بعرض مهرجان القبائل لمزاين الإبل، والسماح بظهور رسـائل المـدح والتفاخر والانتقاص من بقية القبائل في شريط الشات في تلك القنوات[١].

(١) جريدة الرياض السعودية، تقرير عن شاعر المليون، الأحد رمضان ١٤٢٨هـ العدد١٤٣٤٢.

المبحث الثالث : الحفلات والنوادي القبليَّة

لقد كان من الضروري أن يكون للنظام القبلي أماكن ونوادي عامة تقيم وتجتمع فيها القبائل من وقت لآخر، أو في زمن معين متفق عليه، سواءً كانت هذه الأماكن مجالس أو احتفالات أو أسواقًا أو مناسبات ومظاهر معينة ينتشر من خلالها التعصب القبلي، ويجد له رواجاً وحضوراً، وقد اتخذت ذلك القبائل في القديم والحديث ولعل من أهم هذه النوادي ما يلي:

المطلب الأول : الأسواق والمواسم الجاهليَّة

لكل قبيلة فائض من الثروات تحتاج إلى الاتجار به، أو استبداله بما هي في حاجة إليه، ويتم ذلك في الأسواق، وقد كان للعرب أسواق عامة يجتمعون فيها للبيع والشراء وتبادل المنافع، وكانت هذه الأسواق تقوم في أيام معينة من السنة، كما كانت تعقد في أماكن فسيحة يتوافر فيها الماء لسد حاجة المجتمعين، كما كانت تقوم بقرب المراكز الحضرية والتجارية، وكان الأعراب يفدون إلى هذه الأسواق يعرضون سلع البادية، وأحيانًا يعرضون ما وصلت إليه أيديهم عن طريق الغارة على القوافل أو على المسافرين، وليتزودوا من هذه الأسواق بما يلزمهم من مؤونة وملابس وغيرها، وكان أهم هذه الأسواق في الحجاز سوق عكاظ، وكانت تقوم في سهل منبسط بين مكة والطائف، وهي أذكر سوق وأعرفها في الجزيرة العربية كلها، وكانت سوقًا عظيمة يغشاها العرب من كافة أنحاء الجزيرة العربية، وإن كانت قبائل مضر أكثر غشيانًا لها من غيرها؛ لوقوعها في منطقتها، وقد ساعد على نموّ هذه السوق قيامُها في الأشهر الحرم التي كان يحرم فيها القتال، ويأمن النَّاس فيها على أموالهم وأنفسهم[(١)].

ولقد أنشأ العرب أنفسهم هذه الأسواق بحكم الحاجة إليها، فصارت مع الزمن تمثلهم أحسن تمثيل في جميع العادات من البيع والشراء والخصومات والزواج والدين والحقوق، ومع أنها كانت عاملاً في ازدهار الحركة التجارية بين القبائل، إلا أنها كانت من ناحية أخرى تبعث الأحقاد والهزازات بين القبائل، وتبقي عوامل الفخر والأنفة والاعتزاز فيها مما كان

(١) مكة والمدينة في الجاهليَّة وعهد الرسول ، أحمد الشريف، ص٧٦.

يؤجج من نار العصبيَّة القبليَّة[١].

وطالَما خرجت السوق عن وظيفتها الأصلية التي يفهمها الإنسان من السوق، وهي البيع والشراء، إلى أمور أخرى لا علاقة لها بالسوق التجارية، وهي المفاخرات والمباهاة والمسابقات في قول الشعر، وافتداء الأسرى، وكثيرًا ما كانت تنعقد فيها مجالس الصلح والتحكيم بين القبائل، ومن لم يرعَ حرمة الأشهر الحرم، كان يغشى هذه الأسواق يلتمس الرزق السهل، بسلب النَّاس والاعتداء عليهم عند قدومهم إلى السوق أو ارتحالهم منها، ومنهم من كان يجرؤ على السلب والنهب حتى في الأشهر الحرم، فقد وقعت فيه عدة حروب من أهمها حرب الفجار، ولا يمكن أن ينجو مثل هذا المكان من الفتن والمعارك وهو محل يجتمع فيه النَّاس من مختلف القبائل والعشائر، ومنهم الخصوم والأعداء والقتلة والسفاكون وحتى البضائع المسروقة كانت تباع في هذه الأسواق، ولذلك وفد إليها من سرق منهم أو انتهبوا للبحث عن بضائعهم المنهوبة أو المفقودة، وقد عثروا فعلًا على ما فقدوه يباع إلى النَّاس، وكثيرًا ما أدّى عثور أصحاب الأموال على بضائعهم المسروقة إلى نزاع وإلى حروب بسبب الدماء التي سبقت سرقة المال وسلب القتيل[٢].

وقد يأتي إليها غازٍ بما سلب من أسلحة خصم قتله في غارة، فيرى ذوو المقتول سلاح قتيلهم، فيترصدون بائعه، حتى إذا ظفروا به خارج السوق ثأروا منه لدم قريبهم، وكان من عادة فرسان العرب المبرزين أن يأتوا السوق ملثمين؛ كي لا ينكشف أمرهم، ويتعرف عليهم ذوو الثارات عندهم، فيذهبوا ضحية الثأر، وكثرت هذه الأسواق، فكان في الحجاز عكاظ ومجنة وذو المجاز وفي شرقي الجزيرة العربية سوق المشقّر بالبحرين وكذلك سوق دومة الجندل في شمالي الجزيرة، أما في جنوبها فأسواق الشّحر وعدن والرابية وحضرموت وغيرها الكثير[٣].

(١) العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، خريسات، ٨٢-٨٣.

(٢) مكة والمدينة في الجاهليَّة وعهد الرسول ، أحمد الشريف ص ٧٧- ٧٨.

(٣) تاريخ العرب القديم، توفبق برو، دار الفكر ط٢، ١٤٢٢هـ، ص ٢٤٧.

=

وسوق عكاظ معرض لكثير من عادات العرب وأحوالهم الاجتماعيَّة، ولحل بعض مشاكلهم السِّياسيَّة، إذ كان يتم فيها التحكيم بين القبائل المتحاربة، ويتبادل الفرقاء المتخاصمون ديات قتلاهم، ومن كان له إتاوة على قوم نزل على عكاظ فجاؤوه بها، ومن أراد إجارة أحد هتف بذلك في السوق، ليعلم عامة النَّاس بذلك، والقبيلة التي تريد خلع أحد السفهاء من أفرادها، ينادي مناديها بذلك فيها، وإذا أراد أحد أن يلحق آخر بنسبه أعلن ذلك، وفي السوق تعقد معاهدات الصلح والسلام، ويتفق المتخاصمون على دفع الديات، فالسوق كانت بمثابة جريدة من الجرائد الدورية والرسمية، أو بالأحرى وسيلة من وسائل الإعلام العامة(١).

وكان التقاء قبائل العرب في هذه الأسواق على صعيد واحد مدعاة لوقوع التَّفاخر بينها في الأحساب والأنساب والمآثر، ولسان كل قبلية شعراؤها وخطباؤها، وحين انتشر الإسلام اضمحل شأن أكثر أسواق العرب القديمة وظهرت أسواق جديدة داخل الأمصار(٢).

المطلب الثاني : النوادي والمجالس القبليَّة :

مجلس القبيلة يتكون من شيوخ العشائر وكبار السن في القبيلة ممن اكتملت لهم تجارب الحياة، وكذلك من شعراء وخطباء وفرسان القبيلة والحكماء والقضاة منها، كل هؤلاء يمثلون مشيخة القبيلة، ومن اجتماعهم تكون السلطة التي يرجع إليها سيد القبيلة، ولهذه الهيئة أندية(٣)، ومجامع للمداولة في شئون الحرب والسلم والفصل في الخصومات ودفع الديات وكل ما يهم القبيلة، ولم يكن لمجلس القبيلة موعد معين يجتمع فيه، وإن كانت العادة أنهم يجتمعون كلما دعت الضرورة إلى الاجتماع، وفي هذه المجالس تسجل أحاديث القوم

=

(١) المرجع السابق ص ٢٤٧.

(٢) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، ص ١٠٥-١٠٦.

(٣) واقصد بالاندية هنا المجالس التي يجتمع فيها القوم ويقضون فيها أمورهم، ومنه قوله تعالى : "وأحسن نديا "مريم ٧٣ وقوله تعالى : " وتأتون في ناديكم المنكر" العنكبوت ٢٩ ، وقوله تعالى : فيلدع ناديه " العلق ١٧.

ومناقشاتهم ويتحاورون في كل ما يهمهم، وكثيرًا ما كان يخطب الخطباء، أو ينشد الشعراء قصائدهم التي نظموها، وفي أثناء ذلك يدلي سادتهم بحكمهم وتجاربهم في الحياة، وهذا يجعلنا نتصور مقدار ما كان لهذه المجالس من وقار ومنزلة كبرى يقضي بها العرف، فكانت قرارات هذه المجالس نافذة، فجميع أفراد القبيلة في الغالب يذعنون لها ولا يشذون عنها(١).

وللزعماء في هذه المجالس القبليَّة أثر خطير في الحياة، فبحنكتهم السِّياسيَّة وبحكمتهم وكفايتهم تقرر الأمور، ورب كلمة من زعيم أو هفوة منه تثير حربًا أو تسبب كارثة له ولقبيلته أو للحلف الذي يتزعمه، ذلك أن أعصاب رجال البادية مرهفة حساسة تثيرها الكلمة ولا سِيَّما إذا كانت تتعلق بالشرف والجاه(٢).

وقد كان للقبائل مجلس يضمّ شيوخ عشائرها، وهو ندوتهم التي ينظرون فيها شؤون قبيلتهم والملأ : هم علية القوم وأشراف القبيلة وكبار أعيانها، وهم السادة والكبراء، وهؤلاء الملأ هم الطبقة التي تكون حول السيد يأخذ برأيهم، ويقتدي القوم بهم أو يخضعون لنفوذهم، والنادي والندوة والمنتدى والندي مجلس القوم الذي يجتمع فيه الملأ لتصريف شؤون القبيلة، وكان نادي أهل مكة يُدعى دار الندوة(٣)، فيما جاء في الأخبار، أمّا في القرآن الكريم فإنّ اسمه النادي(٤)، ويبدو أنه كان لكل قبيلة ناد على مثال نادي قريش في مكة، ووصول الملأ إلى النادي وتصريفهم للأمور لا يجريان على نهج مرسوم ولا على قانون موضوع، إنّ دخول النادي أمر عشائريّ، كلما عظم شأن رجل بالجاه أو الغنى أو بالبطش دخل إلى النادي وأصبح من الملأ الذين يحكمون قومهم، وطريقة الحكم في النادي عشائرية،

---

(١) مكة والمدينة في الجاهليَّة وعهد الرسول، أحمد الشريف، ص٣٢.

(٢) المرجع السابق ٣٤.

(٣) هي الدَّار التي تم اجتماع قريش فيها لقتل النبي ﷺ وتفريق دمه بين القبائل، وكذلك وضع الجائزة مئة ناقة لمن يعثر على محمد ﷺ حين هاجر للمدينة.

(٤) العرب في تاريخهم وحضاراتهم إلى آخر العصر الأموي، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ص ٧٥-٧٦.

يحكم الملأ كما يتفق لهم أن يشاؤوا، يحكمون على حسب ما يرون من المصلحة أو على هواهم، وليس من الضروريّ أن يجتمع الملأ في النادي ليتفقوا على ما يجب فعله، بل قد يفصل أحدهم في أمر ما، في النادي أو في السوق أو في بيته، ثم لا يجد من يخالفه من رفاقه؛ لأنهم كلهم يسلكون هذا السبيل، والنادي ليس دارًا للحُكم فقط، بل لجميع الشؤون، فيها يجري إعلان الحرب، ومنها يبدأ سير المحاربين إلى المعركة ولكل فخذ وعشيرة وبطن مجالس خاصة يناقشون قضاياهم الخاصة بهم، ولهذه المجالس أماكن للاجتماع وتدعى بالنوادي(١).

وقد تكون هذه المجالس مرتعاً خصباً للنزاع والشقاق ونشر الخلافات المؤدية للضغائن والأحقاد، والتي غالباً ما يكون سببها التعصب للقريب من الفخذ أو العائلة سواءً في الرأي أو المشورة وهذا ما يجعل هذه المجالس تهدم أكثر مما تبني، وتفرق بدل أن تجمع، خصوصاً إذا تصدرها من تقل خبرته وحكمته .

وفي الوقت الحاضر نجد هذه المجالس والنوادي والدواوين حاضرة، فلكل قبيلة مقر معين ومع أنها ليست في الأهمية كما كانت في العصر الماضي، إلا أنه يوجد ديوان أو مجلس أو مكان معين تجتمع فيه القبيلة، وعادة ما يكون في الأعياد والمناسبات العامة، ففي عيدي الفطر والأضحى يكون اجتماع عام لكافة أفراد القبيلة، تقام فيه الولائم والزواجات للسلام والاجتماع مع بعضهم البعض، وقد تجتمع القبيلة للحالات الطارئة كدفع الديات في القتل والغرامات فيما دون النفس، فتدفع العاقلة كل ما يخص ذلك، ويسبق هذا اجتماع للقبيلة للترتيب وإقرار الطريقة لجمع الأموال .

وفي هذه المجالس يحدث التصادم والخلافات في بعض القضايا التي تهم القبيلة ومنها على سبيل المثال ما يحصل من الاختلاف على دفع الديات في القتل وتقدير الشجاج فيما دون النفس مما يدفع ببعض الأفخاذ والعوائل للاستقلال بنفسها والخروج من القبيلة، وكل شخص يريد أن يكون له القول والرأي ولا يريد أن يرد قوله، فتكون بذلك سبباً ووسيلة للتعصب القبلي.

---

(١) العرب في تاريخهم وحضاراتهم إلى آخر العصر الأموي، عمر فروخ، ص٧٧-٧٨.

وقد تكون هذه الاجتماعات والتكتلات قسرية يجد المرء نفسه فيها من مثل المجالس القبليَّة والعائلية، حيث يولد الإنسان ضمن هذه التكوينات، ويندر أن يخرج منها، وهناك تكتل حر من نوع آخر، كأن ينضم الشخص إلى استراحات معينة أو صالونات أدبية أو دوريات (ديوانيات) يجتمع فيها، فيكون فرداً من هذه المجموعة يتصف بصفاتها، ويميل ثقافياً وسياسياً لها كالدخول في حزب أو جمعية مهنية، وهنا قد يقع الصراع التنافسي، ولا يسلمون من منازعة الآخرين على الأدوار والفرص، ويكون هذا في المجتمعات المتحضرة(١).

وفي الآونة الأخيرة تكثر احتفالات القبائل في تكريم شعرائها خصوصاً عند كبر سن الشَّاعر، أو اعتزاله أو في تمثيله القبيلة في المسابقات الشعرية، فيقيمون لهم احتفالاً كبيراً توزع فيه الهدايا العينية (سيارة، جيب، قطع أراضي، سيف، دروع، عطور)، ويجمعون هدايا نقدية تصل أحياناً لمبالغ كبيرة وتتفاخر القبائل فيما بينها لمن يدفع أكثر لشاعره وتختلف مكانة الشعراء في داخل القبيلة بعضهم عن بعض مما يسبب خصومات ومشاحنات بين أبناء القبيلة الواحدة .

وكلما خرج شاعر من القبيلة في مسابقة اجتمعت قبيلته وأقامت حفلاً كبيراً باسمها لجمع الأموال للمشاركة في التصويت له من خلال المسابقة، وشراء أصوات لانتخابه كي ينال الفوز على الشعراء من القبائل الأخرى، وتصرف الأموال في غير وجه حق ويجبر الكثير باسم العصبيَّة القبليَّة في ذلك .

المطلب الثالث : مزاين الإبل

انتشرت في الفترة الأخيرة وبرزت ظاهرةٌ لم نعهدها من سنوات، وقد تحولت من مجرد مظهرٍ من مظاهر التراث الذي يذكره الأبناء عن الآباء حفظاً للتاريخ كما يقال إلى مصدرٍ من مصادر التعصب والانحياز والفخر والخيلاء التي يبغضها الله ورسوله ﷺ ، إنها ظاهرة مزاين الإبل .

---

(١) انظر، القبيلة والقبائلية، الغذامي، ص ١٦٣.

إحياء النعرات القبليَّة في هذه الأُمَّة أخذ في الفترة الأخيرة بُعداً آخر، ولستُ أُبالغُ إن قلتُ أن لهذا الأمر أبعاداً سياسيةً، وأغراضاً يستفيد منها الأعداء في مخططاتهم الرامية إلى تقسيم أمتنا الإسلاميَّة إلى دويلات وشوارع وأحياء، يتحكمون بها على أساس التقسيم القبلي والعرقي الذي يخدم هذه التوجهات بشكلٍ مباشرٍ وغير مباشر، إن ما يحدث من إشعال نار القبليَّة ظاهر الآن من التعصب للقبيلة والعشيرة، مما يلمس في الواقع اليوم من خلال الإعلام والساحات والإنترنت وحديث المجالس، وكل هذا هدفه واضح من مساعي تفكيك المجتمع والبلدان والقبائل"(١).

لقد نهانا رسولنا الكريم عن مآثر الجاهليَّة وفخرها وخيلائها وبين أن هذا الأمر لا يزال في هذه الأُمَّة حيث قال عليه الصلاة والسلام : « أربع في أمتي من أمر الجاهليَّة، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة »(٢)، وحدث الفخر بين أهل الغنم وأهل الإبل أمامه ﷺ فقال: « الفخر والخيلاء في أهل الإبل والسكينة والوقار في أهل الغنم »(٣).

وأبان عليه الصلاة والسلام أن آفة الجمال الخيلاء، وآفة الحسب الفخر، وفي حديث قيس بن عاصم قال : « أتيت النَّبيّ ﷺ، فلما دنوت منه سمعته يقول : هذا سيد أهل الوبر، فسلمت وجلست، فقلت: يا رسول الله ! المال الذي لا يكون عليّ فيه تبعة من ضيف ضافني أو عيال إن كثروا ؟. قال: نعم المال أربعون من الإبل، والكثير ستون، وويل لأصحاب المئين إلا من أعطى في رسلها ونجدتها، وأفقر ظهرها، وأطرق فحلها، ونحر سمينها، وأطعم القانع والمعتر. قلت: يا رسول الله، ما أكرم هذه الأخلاق وأحسنها، إنه لا يحل

(١) مقال ، للشيخ ناصر العمر ، موقع صيد الفوائد ،.
الرابط http://www.saaid.net/arabic/majed/91.htm.

(٢) تقدَّم تخريجه ص ٧.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند : (١٨/ ٤٠٩)، برقم : (١١٩١٨). وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته : (٧٨٩/٢)، برقم : (٤٢٨١). وفي السلسلة الصحيحة : (٥٠١/٧)، برقم : (٣١٦٧).

بالوادي الذي أنا فيه من كثرة إبلي. قال: فكيف تصنع بالمنيحة؟. قلت: إني لأمنح في كل عام مائة. قال: فكيف تصنع بالعارية؟. قلت: تغدو الإبل ويغدو النَّاس، فمن أخذ برأس بعير ذهب به. قال: فكيف تصنع بالإفقار؟. قال: إني أفقر البكر الضرع والناب المدبر. قال: مالك أحب إليك أم مال مولاك؟. قلت: بل مالي. قال: فإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو أعطيت فأمضيت، وما بقي فلمولاك. قلت: لمولاي؟. قال: نعم. قلت: والله لئن بقيت لأدعن عدّها قليلة. قال الحسن: ففعل رحمه الله، فلما حضرته الوفاة دعا بنيه فقال: يا بني خذوا عني، فلا أجد أنصح لكم مني، إذا أنا مت فسوّدوا أكابركم ولا تسودوا أصاغركم، فيستسفه النَّاس كباركم وتهونوا عليهم، وعليكم باستصلاح المال؛ فإنه منبهة للكريم، ويستغنى به عن اللئيم، وإياكم والمسألة؛ فإنها آخر كسب المرء، وإن أحدا لم يسأل إلا ترك كسبه، فإذا أنا مت فكفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم، وإياكم والنياحة علي؛ فإني سمعت النَّبيّ ﷺ ينهى عنها، وادفنوني في مكان لا يعلم به أحد؛ فإنه قد كانت بيننا وبين بكر بن وائل خماشات في الجاهليَّة، وأخاف أن يدخلوها عليكم في الإسلام فيعيثوا عليكم دينكم ››[(١)].

وفي هذا الحديث العظيم درسٌ بليغٌ لأهل الإبل الكثيرة عن تبعات المسؤولية عنها بين يدي الله عز وجل في أداء الحقوق من الإطعام والتصدق والاستعانة بها على فعل المعروف ونوائب الدهر، لا أن تتحول إلى معلمٍ من معالم البذخ والسرف والخيلاء وإحياء مآثر الجاهليَّة وقهر الضعفة، ممن لا يملكون مالاً، وقد أعوزهم الجوع، لا يستطيعون سد جوعتهم وجوعة من معهم، وهم يرون الأموال الطائلة تنفق على مظاهر زائفة ودعايات قبلية فجة[(٢)].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير : (١٨/ ٣٣٩)، برقم : (٨٧٠). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٨/٣)، برقم : (٤٥٩٧) : « رواه الطبراني في الكبير، وفي الأوسط باختصار، وفيه زياد الخصاص، وفيه كلام وقد وثق».

(٢) النعرات القبليَّة ومزاين الخيلاء، ماجد محمد الجهني، مقال في موقع صيد الفوائد ، الرابط : =

وقد انتشرت مهرجانات الإبل الخاصة بالقبائل في أعوام ٢٧-٢٨-١٤٢٩ هـ فقامت أغلب القبائل بإقامة مسابقات لمزاين الإبل في ما يسمونه حدود أراضيهم التي كانوا يملكونها قبل توحيد الجزيرة على يد الملك عبد العزيز رحمه الله، حتى توسعت القبائل في ذلك فأصبحت ملتقيات عامة ثقافية وشعرية أقيمت فيها المسابقات والندوات واللقاءات الإعلامية ومجالس الشعراء والمحاورات الشعرية، مع أن الهدف الأساسي هو سباق أجمل الإبل في أصنافها وأنواعها وألوانها لجميع أفراد القبيلة وفق قوانين ومحكمين معروفين في هذا المجال .

وقد صاحبت هذه الملتقيات كثيراً من التجاوزات المبنية على الفخر والخيلاء والمباهاة وتسببت هذه النُّعَرَة الجاهليَّة بفرض مبالغ مالية من أفراد القبيلة لتكلفة إقامة المزاين، بغض النظر عن يسار أحدهم أو إعساره، وجمعت هذه الأموال من الجميع، وقد تحصل تجاوزات أمنية أيضاً، ففي توزيع جوائز مزاين أحد القبائل قام البعض بإطلاق النار من أسلحتهم، وذلك احتجاجاً على عدم حضور ممثل رسمي يرتضونه يقوم بتسليم الجوائز للعشرة الأوائل الفائزين، هذا عدا ما يقع من مظاهر سيئة وانتشار رموز وأرقام وشعارات خاصة لكل قبيلة توضع في أعلام ومنشورات تعلق على لوحات السيارات توحي بالتعصب القبلي وإشعال فتيل التحدي والافتخار على الغير، حتى أخذت طابع الانتشار ومشاهدة ذلك بكثرة مع التغطية الإعلامية في عدد من القنوات الشعبية التي تميل لها القبيلة، فأصبحت حديث المجالس والساحات[(١)].

وقد يصاحب ذلك اغترار وزهو بالذات أدى لتعصب بغيض وانتقاص للآخرين، والنظر إليهم بشكل دوني لا يليق، إما لأن القبيلة الأخرى قليلة الأفراد أو لم ينجح ما قامت به من مهرجان أو لم تقمه أصلاً في أمر يشعر بالقلق على حال بعض المتشددين في التعصب لقبيلتهم، خصوصاً الشباب المراهقين وتتضح الخطورة الاجتماعيَّة والأمنية لتلك الرموز

=

. www.saaid.net/arabic/majed/91.htm

(١) جريدة الرياض السعودية، تقرير عن مزاين الإبل، الأحد رمضان ١٤٢٨هـ العدد١٤٣٤٢.

القبليَّة التي ظهرت بادئ ذي بدء بشكل واضح في مهرجانات مزاين الإبل، ولعل من أبرز التأثيرات لمثل تلك الدعوات العصبيَّة القبيلة، أن أصبحت القبيلة والانتماء لها، ونصرة أبنائها الشغل الشاغل حتى لصغار أبنائنا في المدارس المتوسطة والثانوية، فالملاحظ أنه حتى صغار الطلاب من أبناء القبائل يعمدون إلى كتابة رمز القبيلة على مناضد الدِّراسة، وعلى أغلفة كتبهم، في حين يعمد بعض طلاب الثانوية، وحتى الجامعية إلى كتابته على سياراتهم، لدرجة أن تلك الرموز وأسماء القبائل أصبحت تباع لدى محلات زينة السيارات، والمشاهد للرموز القبليَّة التي انتشرت مؤخراً يجد أنها أصبحت عرفاً واضحاً لدى الكثير، حيث تم استحداث أرقام خاصة بكل قبيلة وعن كيفية نشأتها والتفسيرات الخاصة بها، ترى أنها تعني في مجملها ذات دلالة افتخارية بقوة القبيلة، وغالباً ما تكون من ثلاثة أرقام فالبعض يقول لـ إنها نداءات ورموز إحداثيات اللاسلكي ومحطاته المختلفة وبعض يعزوه لرقم مكائن سيارات قديمة وربما تكون رمزاً لوسم القبيلة على الإبل(١).

إنّ مما كثر وشاع في زمننا الحاضر لاسيما في بعض دول الخليج ما يسمى بمهرجانات "المزايين " ويقصدون بذلك التنافس في إبداء أجود الإبل وأجملها وأغلاها في عالم النَّاس الذين يعشقونها، ومن ثم ابتدع بعض عشاق الإبل قبل أكثر من عقد من الزمان مسابقات مزايين الإبل، ولا حرج لو أنّ النّاس ربطوا الإبل ابتغاء وجه الله ولإعلاء كلمة الله تعالى، فهذا عمل تعبدي رائع يحث عليه الشرع ويثيب عليه، ولكنّ الأعمال بمقاصدها، فالذين يربطون الإبل اليوم ليس فيها مناوأة لأهل الكفر، ولكن تفاخرا ومكاثرة على غيرهم من القبائل الأخرى التي هي مسلمة، بل هم يربطونها حمية ومفاخرة على منوال أهل الجاهليَّة، فتثار بسببها العصبيَّات المقيتة، ويتطاول الشّعراء والمدّاحون بالقدح في أعراض النّاس ولمزهم وهمزهم، واحتقار القبيلة للأخرى وتصغير شأنها، وتبذير الأموال في غير مصلحة راجحة ولا مرجوحة، ومضيعة للأوقات، وجلبا للعداوات والبغضاء، ولهذه الجملة من الأخلاق المخالفة لتعاليم الإسلام أفتى علماؤنا بحرمة إقامة تلك المهرجانات(٢).

---

(١) المرجع السَّابق .

(٢) انظر : وقفة شرعية مع مزاين الإبل، أبو سليمان المختار بن العربي مؤمن، موقع الألوكة =

نعم قد أطلت على المجتمع السعودي ظاهرة في ظاهرها أنها (فقاعة) تراثية لا شر فيها، ولكنها سرعان ما تحولت إلى (فرقعة) إعلامية كبرى، وتشكل رأيًا عامًّا حادًّا حولها، متخذة لها اسماً أخاذاً أطلق عليها احتفالات (مزايين الإبل)، متكئة في زخمها على تقليد اجتماعي عريق، وعاطفة فطرية جياشة يحملها إنسان هذه الجزيرة العربية تجاه الإبل (سفينة الصحراء)، التي اعتمد عليها في تنقلاته وحروبه ورموز سيادته، بل وفي أساس حياته ومعيشته، فالإبل – كما هو معلوم – تمثل كل شيء في حياة البادية والبدوي والقبيلة، لذا فلا عجب أن تكون للإبل أسماء ووسوم متعددة، وسلالات متميزة، وتقاليد خاصة مرتبطة بها، وأن تستهل بها مطالع القصائد النبطية مدحاً وفخراً وحنيناً(١).

كما نشأت بينها وبين إنسان الجزيرة العربية علاقة خاصة امتدت عبر القرون؛ لأنها الوسيلة الوحيدة، التي استطاع بها وعبرها البدوي، أن يتكيف مع الطبيعة القاسية في الجزيرة العربية بكثبانها ورمالها، وشح مياهها، وأجواء الخوف والجوع التي لازمت التاريخ الاقتصادي والبيئي والاجتماعي والسياسي للجزيرة العربية، خاصة في وسطها وتخومها شمالاً وجنوباً ذلك الحنين، وتلك المركزية للإبل والرمزية تجاهها، وجدت في مهرجان مزايين الإبل (الشعلة) التي أوقدت تلك المشاعر، وحولتها إلى عاطفة ملتهبة مثل كرة النار أو الثلج في نفوس ووجدانات عاشقي الإبل وقد كان بالإمكان أن تكون ظاهرة احتفالات (مزايين الإبل) ظاهرة صحية، تستحق التشجيع والدعم والرعاية والإبراز، لو أنها سارت على درب الدعم المحمود الذي نقدمه – عادة – لتراثنا الاجتماعيّ والثقافي والإنساني وتعتز به، كما تفعل جميع دول العالم وشعوبه في الاحتفال بتراثياتها ولكن – للأسف – انحرف الأمر عن مساره، وتحولت بعض مظاهره وفعالياته إلى بوادر نعرات مقيتة، و (جاهلية) نتنة، حرصنا – رجالاً ودولة – على تخليص مجتمعنا منها، منذ أن توحدت هذه الأرض على يد المؤسس

=

./http://www.alukah.net/sharia/0/39334

(١) يوسف أحمد العثيمين، مقال بعنوان مزايين الإبل، جريدة الرياض السعودية، الاثنين ١٠ شوال ١٤٢٨هـ.

الملك عبد العزيز – رحمه الله – بل تجاوز الأمر، لو تُرك يأخذ مداه، إلى زرع بذور الفرقة الوطنية التي نحن أشدّ ما نكون حاجة اليوم إلى نبذها، وتعضيد الوحدة الوطنية وتعظيمها، والحرص على تماسك وحدة ولحمة هذه الدولة وعراها، وأن من اطلع على بعض ما يظهر في الساحات الإلكترونية، والشاشات الفضائية، وبعض الكتابات والتصريحات والقصائد التي من شأنها إيقاد مظاهر النعرات القبليَّة، بحجة الترويج لهذه المهرجانات، مما يقوم به بعض السفهاء، لهو أمر يدعو إلى أهمية استشعار خطر هذه الظاهرة، التي تكرس القبليَّة والإقليمية والمناطقية[١].

فهذا سائل للشيخ صالح الفوزان عضو هيئة كبار العلماء عن الحكم الشرعي في هذه المسابقات فيقول : فضيلة الشَّيخ انتشر الآن ما يسمى بالمزاين، مزاين الإبل ويكون فيه تفاخر وإسراف فما حكم المشاركة في ذلك ؟ رد الشَّيخ صالح الفوزان : لا يجوز المشاركة في ذلك، لما فيه من المنكرات، من بذل الأموال الطويلة بغير فائدة والله جل وعلا قال : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[البقرة: ١٨٨]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾[النساء: ٢٩]، ولا يجوز أخذ العوض على المسابقات، لأنه قمار، إلا ما استثناه الرسول ﷺ بقوله : « لا سبق إلا في ثلاث: في نصل أو خف أو حافر »[٢]، والمراد في ذلك: المسابقة على الخيل، أو على الإبل، أو على الرماية، لأجل التدرب على الجهاد في سبيل الله وما عدا ذلك لا يجوز أخذ الجوائز عليه من المسابقات؛ لأنه أكل المال بالباطل وهو داخل في الميسر والقمار[٣].

---

(١) المقال السابق.

(٢) رواه النسائي في السنن ، كتاب الخيل ، باب السبق ، برقم : (٣٥٨٥). وصححه الألباني.

(٣) موقع مشكاة الإسلامي

http://www.almeshkat.net/vb/showthread.php?t=62124.

.

المبحث الرابع : وسائل التواصل الاجتماعيّ الحديثة

أننا نعيش في عالم متسارع من التقدم المعلوماتي، والتقنيات الحديثة المتلاحقة، التي غطت أرجاء المعمورة، وفرضت نفسها كأخطر وأعظم الوسائل الإعلامية في عصرنا الحديث؛ لما تتمتع به من مزايا فائقة جامعة لكل خصائص وسائل الإعلام الأخرى، ففيها المشافهة وجها لوجه، وفيها الاستماع، وفيها الصوت والصورة والحركة جميعاً، وفيها الوسائل المطبوعة المقروءة، إنها بحق الوسيلة الجامعة لكل محاسن الإعلام، وأيضاً الجامعة لكل مساوئه بل أكثر، فهو ساحة عرض لكل الأفكار، ولجميع الملل والنحل، وكما أن للمؤمنين جهوداً كبيرة فلغيرهم -للأسف- جهود أكبر وأوسع انتشارا - لا بارك الله فيهم - تجذب المستخدمين للشبكة من جميع الأعمار. ورغم كل الجهود المخلصة في هذا المجال الفسيح فإنها تبقى قليلة وقاصرة، تحتاج الدعم، والزيادة، والتنوع، والمثابرة، والتنظيم، وترتيب الأولويات[(١)].

وهنا تأتي وسائل التواصل على الإنترنت (المواقع والصحف الإليكترونية، ومواقع الصوتيات والفيديو، والمجموعات البريدية، والمنتديات، ورسائل الإيميل، والمجموعات الاجتماعيَّة الإليكترونية ...) كمنافس قوي لساحة الإعلام التقليدي، لا يملك السيطرة عليها أو توجيهها أي أحد، لا رقيب ولا حسيب غير خشية الله سبحانه وتعالى، ومن هنا ترى دور دعاة التعصب القبلي يكون بجهد أقل وبشكل سريع

فقد استغل الكثير من الشباب الأجهزة الجديدة والتقنيات الحديثة في كل ما يدعو إلى زيادة الخصومات القبليَّة، فقاموا بتصوير التجمعات والتكتلات القبليَّة أثناء التراعات، فهيجوا النَّاس على الانتقام من بعضهم البعض ونشروا المقاطع التي تحث على الثأر سواءً عن طريق الواتس أب والرسائل الجماعية أو المواقع القبليَّة فتحولت هذه الأدوات والوسائل والهواتف المحمولة بدلاً من أن تكون وسائل اتصال أصبحت وسائل انفصال تقوم بسببها الفتن .

ولذلك يتأكد أهمية المراقبة على ما يعرض في المواقع الإلكترونية القبليَّة التي تؤجج

---

(١) صور الإعلام الإسلامي، عاطف إبراهيم رفاعي، ص ٥٠.

النعرات القبليَّة والطائفية وتزرع العصبيَّة، وقد أقيم ملتقى مشرفي المواقع الإلكترونية القبليَّة في الرياض حيث توصل المشاركون فيه إلى توصيات من أهمها :

١ ـــــ إنشاء اتحاد أو جمعية للمواقع الإلكترونية القبليَّة توضع فيها الضوابط والتشريعات المنظمة وأهداف المنتديات القبليَّة .

٢ ـــــ إنشاء منتدى رئيس ضمن المنتديات تحت مسمى وطني

٣ ـــــ أوصى المشاركون بضرورة محاسبة المواقع والقنوات التي تثير النعرات القبليَّة، وإذا ثبت ذلك يغلق ذلك المنتدى أو الموقع(١).

وفي دراسة علمية أكدت أن المنتديات الإلكترونية إذا خلت من روح التحيز والعصبية لفئة دون أخرى وإذا ترك المجال للجميع في طرح أفكارهم ومناقشة تلك الأفكار بشكل علمي ومؤدب قد يسهم في بناء اجتماعي جيد والي حل بعض المشكلات التي يعاني منها الإنسان، وإذا كان صاحب المنتدى أو الموقع على درجة عالية من الثَّقافة والوعي بحيث لا بُدَّ أن يتيح للجميع إبداء الرأي مع التحذير من بث كتابات تحقير أو سخرية أو بث روح العصبيَّة في المجتمع زاد ذلك من طرح الأفكار الجيدة والمنصفة(٢).

إنّنا نشهد تحوّلاً سريعاً في وسائل التواصل الاجتماعي؛ " فإنه : تمر على العالم اليوم موجة عاصفة من المعلومات الشخصية أو الأخبار المزاجية تكاد تدمر الفكر واليقين الإنساني من كثرة كثافتها وتركيزها وإتقانها، كان النَّاس قديماً يتلقون الأخبار والمعلومات حول الأحداث التي تهمهم بواسطة النَّاس، أو عند العرب من خلال الشعر، ثم تطورت الأخبار إلى ورق بواسطة الصحف، ومن ثم الإذاعات الصوتية إلى أن أصبحت الأخبار من خلال التلفزيونات بالصوت والصورة، وتطور الأمر إلى أن قامت وكالات أخبار متخصصة تقوم

---

(١) صحيفة الوطن السعودية، العدد ٣٨٣٣، في ١٤٣٢/٤/٢٤هـ.

(٢) بحث منشور بعنوان : دور التربية الإسلاميَّة في مواجهة العصبيَّة في زمن العولمة الاجتماعيَّة، عايض محمد عايض حجراف، كلية التربية، جامعة أم القرى ١٤٣٣هـ.

بتزويد الوسائل الورقية والصوتية والمرئية بالأخبار صوت وصورة .

واليوم نحن نشهد ثورة معلوماتية بواسطة الإنترنت أو بـالأحرى بواسـطة تطبيقـات التواصل الاجتماعيّ الذي يحتويه الإنترنت، فقد أصبحت وسائل التواصل الاجتماعيّ كتوتير وفيسبوك وغوغل بلص وواتساب وانستغرام وتليغرام وبلاك بيري وغيرها الكثير الكثير من التطبيقات بمثابة وكالات أنباء شخصية ومتحررة ومستقلة، ولا تخضع لدولة أو نهج أو فكر أو قانون، وهنا تكمن الخطورة لا يمر يوم إلا ويشهد العالم حادثة هنا أو هناك ويشـاهدها العالم بأسره صوتاً وصورة وفي بعض الأحيان كبث مباشر.!

لا يخفى على العالم شيء اليوم بل أصبح العالم قرية صغيرة، الأخبار تتحرك وتنتشـر، وبعد ذلك يتلقاها الإعلام الرسمي الكلاسيكي مثل وكالات الأنباء والصحف والفضائيات، فالخطورة هي في مصدر المعلومات التي صدرت من أشخاص عاديين، ومن ثم تلقاها العـالم بأسره عبر جميع وسائل الإعلام الرسمي والاجتماعي، فلو كان هذا الخبر ملفّقًا أو هو نـوع من أنواع التشهير في إي شخصية من خلال برامج خاصة مثل " فوتوشـوب" أو غـيره، وعلى أساس هذا السلوك الخبيث تمت الإساءة لشخص بشكل من الأشكال، وقد تم تداول هذا الخبر على نطاق واسع، فتصوّروا مقدار الضرر الذي سيلحق بهذا الإنسان، عدا الأخبار والفيديوهات التي تصاغ وتنتج بخبث وتنشر للإساءة والتشهير بالأديان والرموز الدِّينيَّـة أو أشخاص أو فئات أو طوائف أو أعراق...الخ وتصوّروا كيف يمكن أن يتحمل العالم أخبارًا ومعلومات تتدفق من هذا النوع وبهذا الشكل، وهناك من يتلقاها ويصدقها ويعيد نشـرها ولا تتوقف، ولا تمحى أبدا؛ لأنها دخلت شبكة الإنترنت العالمية فلن يستطيع أحد الـتحكم في هذا التدفق(١).

أقامت مؤسسة محمد بن سلمان الخيرية "مسك" ملتقى إعلاميًّا ينقل فيـه عـدد مـن المتحدثين والمهتمين تجاربهم في منصة شبكة التواصل الإلكترونية تويتر في ملتقى اسمه مغردون

(١) مقال بعنوان : خطر وسائل التواصـل الاجتمـاعي ، مدونـة الـدكتور علـي العـامري ، الـرابط https://alialamri.wordpress.com/2014/03/.

سعوديون عقد هذا الملتقى على أربع جلسات متنوعة تناقش القضايا ذات العلاقة بوسائل التواصل الاجتماعيّ وموقع تويتر على وجه الخصوص، حيث يشكل هذا الموقع ساحة للكثير من التعليقات والآراء التي يعتبرها البعض تثير شكلاً جديداً من أشكال التعصب خصوصاً من الشباب دون سن ١٨ عاماً؛ لكثرة تناولهم لذلك وشددوا بعد ذلك على خطورة هذه الوسائل على عدد كبير من القضايا الاجتماعيَّة(١).

وللإنترنت ميزة ثقافية عالية في منحتها الكبرى في حرية النشر وسقوط الرقابة والوصاية، غير أن هذا يحمل معه ما يحمله من إغراءات خطرة، ومنها فتح أبوابٍ للعنصريات والعصبيات والهجائيات، ومع تواتر ظهور الخطابات السالبة نشأ نوع من الإغواء الذاتي حتى انقشع ثوب الحياء، والمرء كان يتصور نفسه وحيداً في هواجسه ونوازعه السلبية بدأ يشعر بحس عريض بأن له شركاء يشاركونه الهواجس نفسها والنزعات ذاتها، فيستطرد في غوايته ويجد له من يرد عليه بردود معاكسة له ويشيع الخطاب السالب عبر الروابط والمواقع العنكبوتية بلا وازع ولا رادع(٢).

---

(١) صحيفة عكاظ العدد ٤٦٥٠ في ١٤٣٥/٥/١٠هـ.

(٢) القبيلة والقبائلية أو ما بعد الحداثة، الغذامي، ٢٢٨-٢٢٩.

الفصل الثَّالث

آثار العصبيَّة القبليَّة

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحـــــث الأَوَّل : الآثار الدِّينيَّة والفكريَّة .

المبحـــث الثَّـــاني : الآثار الاجتماعيَّة والأخلاقية .

المبحـــث الثَّالـــث : الآثار السِّياسيَّة والاقتصاديّة .

المبحث الأول: الآثار الدِّينيَّة والفكريَّة

تمهيد :

لا يخفى على كل ذي لب آثار التعصب القبلي على الفرد والمجتمع، فهي من يمزق المجتمعات ويبعدها عن الاجتماع والألفة والتعاون فيما بينهم، إن المجتمعات التي تنتشر فيها هذه الظاهرة تجد لها أثراً سلبيًّا، ولا شك في جميع الجوانب والمجالات، سواءً المجال الديني والفكري، أو يكون لها تأثيرٌ في المجتمع والسلوك والأخلاق، ولها آثار سياسية واقتصادية، فإلى تفصيل هذه الآثار :

المطلب الأول : الآثار الدِّينيَّة :

أولاً : الردة بعد موت الرسولﷺ

لقد قوبل تولي أبي بكر الخلافة بامتعاض وسخط شديدين من قبل طائفة من القبائل، وما لبثت هذه القبائل أن عبرت عن سخطها تعبيراً عملياً بارتدادها عن الإسلام، وامتناعها عن الزكاة، فقد أدركت بأن تولي أحد القرشيين الخلافة معناه التسليم بحق قريش في الاستئثار بالأمر دون سائر قبائل العرب، ولئن ارتضت هذه القبائل الإذعان لمحمد ﷺ فما ذاك لقرشيته، وإنما لنبوته وقد عبر الحطيئة عن شعورهم هذا في قوله يخاطب قومه ويحثهم على الارتداد :

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا ❀ فيا عجباً ما بال دين أبي بكر
أيورثها بكرا إذا مات بعده ❀ فتلك وبيت الله قاصمة الظهر (١)

ولولا حزم أبي بكر وإسراعه في إخماد حركة الردة، لتداعت أركان الدَّعوة الإسلاميَّة الناشئة ولعاد العرب سيرتهم الأولى في الجاهليَّة، وبقمع حركة الردة خفت صوت العصبيَّة شيئاً، وأدرك زعماء القبائل العربية الذين كانوا يحلمون باسترجاع مجدهم القديم أن الدولة العربية أصبحت وطيدة الأركان ثابتة الدعائم وأن عهد الاستقلال القبلي الذي لا يعترف

---

(١) ديوان الحطيئة، ٣٢٩.

بسلطان فوق سلطان القبيلة قد انقضى إلى غير رجعة وأن فضل قريش على سائر قبائل العرب لا سبيل إلى دفعه والاعتراض عليه، فلم يسعهم إلا الإذعان للأمر الواقع، وأخذوا يتنافسون في إظهار ولائهم للدولة القائمة، ليحتفظوا بمناصب السيادة في قومهم، وأخذت العقيدة الجديدة تجد سبيلها إلى قلوب العرب، وتتمكن من نفوسهم يوماً بعد يوم، واستطاع عمر بشخصيته الفذة وسياسته الصارمة أن يعلي كلمة الدين ويوطد دعائم الدولة الإسلاميَّة(١).

لقد كان سبب ردة القبائل نزوات قبلية قبل أن تكون ردة دينية، فالقبائل رأت خلافة أبي بكر رضي الله عنه وزعامة قريش ضربا من الاستعباد تأباه الأنفة العربية، أما الخليفة فقد اعتبر خروج القبائل عليه هو خروجًا عن الدين والإسلام يقضي على إعادتهم إلى حظيرة الإسلام مهما كانت التضحيات(٢).

لقد خرجت جموع من القبائل مرتدة حيث لم يكن الإسلام قد تمكن في قلوبهم، ولهذا يشير القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحجرات: ١٤]. لم يكن إسلام كثير من القبائل إسلام المؤمن بتعاليمه، بل كان إسلام من وجد نفسه غريباً في محيط أخذت القبائل فيه تعلن ولاءها للرسول ﷺ فجاءت بعض القبائل إلى المدينة وعادت إلى مواطنها، وهي لا تزال تحمل معها عصبياتها الجاهليَّة، ولعل من دواعي الردة أيضاً نظرة القبائل لقريش، فقد كان حب القبائل في حكم نفسها بنفسها من الأسباب الرئيسية للردة، تطلعت القبائل إلى قريش فرأت فيها قبيلة ستحكمهم، وإليها تذهب أموالهم فاعتبرت خضوعها لها ضرباً من الذلة والهوان فأعلنت القبائل ردتها(٣).

لقد كانت العصبيَّة الجاهليَّة التي كانت تحقد على مضر وقريش حتى لقد قال قائل منهم

(١) العصبيَّة القبليَّة في الشعر الأموي، النص، ١٨٩-١٩٠.

(٢) العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، خريسات، ١٩٠-١٩٣.

(٣) العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، خريسات، ١٩٠-١٩٣.

" كاذب ربيعة خير وأحب إلينا من صادق مضر "(١). فالعصبية التي حاربها محمد ﷺ واعتبر الدعاية بها دعاية منتنة خبيثة ارتفعت رأسها ناتئة تنادي بالفرقة والانقسام، وأن يعود العرب كما كانوا، ولكن حكمة الصديق رضي الله عنه وجهاد أهل الإيمان حيث جيش الجيوش من قريش والأنصار وحاربوا عن إيمانهم(٢).

لقد انفرط العقد الذي قضى رسول الله ﷺ في تجميعه سنوات عديدة، وكانت العصبيَّة القبليَّة من أقوى البواعث على انقسامه، فلقد آزرت العصبيَّة القبليَّة هؤلاء المرتدين وقادهم النصرة القبليَّة فلم يجدوا ما يعبرون به عن ردهم إلا ظهور المتنبئين المهووسين بالزعامة، فقد هالهم وصرع لبهم ما حققه الرسول ﷺ من نصر في الجزيرة العربية، فأرادوا أن يجربوا حظهم في هذا الشأن، ومن هنا قاموا بدعوة قبائلهم لمؤازرهم، ولما كانت العصبيَّة القبيلة ولا تزال تحكم النفوس، فقد أقبلت هذه القبائل من كل فج عميق حتى تقف وراء أنبيائها، ففي اليمن ظهر الأسود العنسي، وفي قبيلة حنيفة مسيلمة الكذاب، وكانت نبوءة هؤلاء فتحاً جديداً في عالم القبائل التي أخذت تتسابق في إظهار المتنبئين منها(٣).

لقد كان موت الرسول ﷺ إيذاناً بانطلاق القبائل إلى وضعها السابق، فكانت دوافع روح القبليَّة العنيفة التي لا تؤمن بالقيادة الجماعية سبباً في خروجها على سلطان المدينة، فكانت الردة صدامًا بين التيار الإسلامي الذي مثلته المدينة وبين التيار القبلي المتعدد الجوانب والأهداف والذي صورته القبائل العربية المختلفة(٤).

فلما عضت الحرب أهل العصبيَّة الجاهليَّة قالوا : نرضى بالصلاة ولا نعطي الزكاة، فرأى

---

(١) قالها : مؤذن مسيلمة الكذاب وهو شبث بن ربعي.

(٢) الوحدة الإسلاميَّة، أبو زهرة، ١٠٩-١١٥.

(٣) العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، خريسات، ١٩٠-١٩٣، حيث ظهر متنبؤن للنبوة من قبائل عدة فمن أسد طليحة بن خويلد الأسدي ومن تميم ظهرت متنبئة تدعى سجاح بنت الحارث بن سويد ومن الأزد ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي.

(٤) المرجع السابق، ١٩٣.

بعض المؤمنين أن يقبل منهم ذلك حتى يتمكن خليفة رسول الله ﷺ، وكان فيهم عمر رضي الله عنه ولكن الصديق رضي الله عنه عزم ولم يرض بنصف الحل، وقال : إما سلم مخزية وإما حرب مجلية والتفت إلى عمر رضي الله عنه وأخذ بلحيته وقال له : « ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ! أجبار في الجاهليَّة خوار في الإسلام ؟ والله لو منعوني عقالاً أعطوه رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه »[(١)]، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة: ٥٤][(٢)].

إن مفهوم الردة أن ترى بعض القبائل عدم أحقية أبي بكر بالخلافة، هو ليس من بيت الرسول الكريم ﷺ، ويشمل مفهوم الردة النزعة القبليَّة التي ترى فيها أي قبيلة غريبة علو منزلتها على قبيلة قريش الذي لا تخضع لقريش ولا لغيره، لقد تجلى للصحابة الموقف العام مختصراً على نحو أنه لما توفي رسول ﷺ ارتدت أحياء كثيرة من الأعراب، واشرأبت اليهودية والنصرانية، ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقدهم نبيهم ﷺ، حتى جمعهم الله على أبي بكر الصديق على ما تروي عائشة رضي الله عنها واستغلظ أمر مسيلمة وطليحة واجتمع على طليحة عوام طيء وأسد، وارتدت غطفان تبعاً لعيينة بن حصن، فإنه قال : "نبي من الحليفين -يعني أسداً وغطفان – أحب إلينا من قريش "[(٣)].

إن العصبيَّة القبليَّة لا زالت عميقة في البلاد النائية ووسط نجد، حيث ترى القبائل أنها أضخم عددا وعُددا من قريش، وبالتالي فهي أولى بالزعامة، وعلى الأقل لم تكن ترضى بالخضوع لحكم قريش. وقد ظهر زعماء طموحون تطلعوا إلى القيادة مقلدين الرسول ﷺ في أسلوب العمل والدعوة، ولم ينتبهوا إلى الفروق الكبيرة بين النبوة الصادقة وانتحالها لأغراض

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة : (٤٧٧/٢).

(٢) الوحدة الإسلاميَّة، أبو زهرة، ١١٤-١١٥.

(٣) أسباب الردة ومظاهرها في عهد الصديق، بحث علمي منشور، حسن محمد الربابعة، مجلة مؤتة للبحوث والاستشارات، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، ٢٠٠٣م، ص ١٧٨.

شخصية، ومن هنا كان ادعاء النبوة من قبل زعماء الحركات الانشقاقية[١].

ويمكن اختصار أسباب الردة في عدد من الأسباب منها[٢] : التأثر بالعادات الجاهليَّة، والعصبيَّة القبليَّة، والتحاسد المشيخي، وتفشي العنصرية بين اليمانية والعدنانية، والرغبة في تنحية قريش عن الخلافة، وذمهم واستعلاء زعماء كندة، واعتزازهم بقبيلتهم، حتى رأوا أنهم من أصل الملوك في تمايز طبقي قياساً بقبيلة تيم بن مرة قبيلة الصديق رضي الله عنه وقد قال الأشعث[٣] في ذلك :

وإن صلحت في تيم مُرّة إمرةٌ ❁ ففي كندة الأملاك أمرى وأصلح

ثانياً : التحاكم للأعراف والتقاليد القبليَّة

إن من أعظم الآثار الدِّينيَّة خطراً والتي نتجت عن العصبيَّة القبليَّة هو التحاكم للأعراف[٤] والتقاليد[٥] حيث أن لكل مجتمع أعرافه وتقاليده التي قد تمكنت في النفوس، ورسخ احترامها في القلوب، أعراف تلقاها الأبناء عن الآباء قضية مسلمة لا تقبل الجدل حافظوا عليها ورعوها، ورأوا الخروج عليها أمراً صعباً يستحق فاعله التأديب أو المقت الشَّديد على الأقل، وبخاصة كبار السن الذين يعشقون ما ألفوه واستقرت عليه حياتهم

---

(١) عصر الخلافة الراشدة، أكرم ضياء العمري، العبيكان الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ، ص ٣٩٢.

(٢) عصر الخلافة الراشدة، أكرم ضياء العمري، ص ٣٩٢.

(٣) كتاب الردة، محمد عمر الواقدي، تحقيق د يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٠م، ص ١٧٦.

(٤) العرف لغة : ما تعارف عليه النَّاس في عاداتهم ومعاملاتهم (لسان العرب ١١٥/٩) واصطلاحاً : ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول (القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب ص ٢٤٩) والمقصود بالأعراف القبليَّة : مجموعة من العادات التي سادت بين النَّاس واصبحت بمثابة الشرع في الاهمية والاحترام وهي من صنع الجماعة تحكي أوضاعهم وتنقل أخبارهم .

(٥) التقاليد : عند علماء الاجتماع تأتي من الرضى والاتفاق الجمعي على إجراءات وأوضاع معينة تخص المجتمع المحلي الذي تنشأ فيه (الضبط الاجتماعيّ، الخريجي، ص ٢٠٥).

ونفروا من كل جديد[(١)].

إن نظام القضاء القبلي[(٢)] في معظم أحواله يكون وفق أعراف وعادات لا تتفق مع الشَّريعة الإسلاميَّة، ويستند فيها القاضي القبلي إلى أحكام وقوانين توارثها الأحفاد عن الأجداد دون الرجوع للكتاب والسنة، ومن صور التشريع المخالفة لشرع الله عوائد القبائل وسلومهم التي اعتادوها وتوارثوها، والتي تكون مخالفة للشرع، فكثير من القبائل اتخذت أنظمة وعقوبات استمدتها من وضع البشر وفرضتها على أفرادها، وإن كانت أخذت من تشريعات الإسلام ما يناسبها ويوافق هواها، فهو لا يكفي لجعله نظاماً إسلاميا، لأن الشَّريعة كل لا يتجزأ متماسكة مترابطة لا تقبل التقسيم، فنصوص القرآن الكريم تمنع من العمل ببعض الشَّريعة وإهمال الآخر، كما تمنع الإيمان ببعضها والكفر ببعض، وتوجب العمل بكل أحكامها والإيمان بها إيماناً تاماً وبكل ما جاءت به، ومن لا يؤمن بهذا دخل تحت قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة: ٨٥][(٣)].

ويقول ابن القيم رحمه الله : " وقد جاء القرآن وصح الإجماع بأن دين الإسلام نسخ كل دين كان قبله وأن من التزم ما جاءت به التوراة والإنجيل ولم يتبع القرآن فإنه كافر، وقد أبطل الله كل شريعة كانت في التوراة والإنجيل وسائر الملل وافترض على الجن والإنس شرائع الإسلام، فلا حرام إلا ما حرم ولا فرض إلا ما أوجبه الإسلام "[(٤)].

---

(١) العرف وأثره في الشَّريعة والقانون، أحمد سير المباركي، ط١، ١٩٩٢م، ص ٥٧.

(٢) يقصد به الطريقة التي يقررها المجتمع لفض المنازعات بين افراده في جميع أمورهم الحياتية (النظام القبلي في ظفار منذ ٣٥٠ سنة إلى مرحلة تطبيق قوانين الدولة الحديثة، أحمد سعيد المعشني، ص ٣٥).

(٣) فصل الخصومات عند القبائل، علي سعد العصيمي، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القرى كلية الشَّريعة قسم الفقة، ١٤٢٢هـ.

(٤) أحكام أهل الذمة، ابن القيم، ١/٢٥٩.

فكيف بمن يلتزم الأحكام العرفية للقبائل ويعرض عن حكم رب البرية !! .

العصبيَّة القبليَّة هي المحور الذي يدور حوله القضاء القبلي، وهي الأساس الذي تبنى عليه الأنظمة في الأعراف كالسوارح أو السوابق القبليَّة[1]، وكذلك أحكام التجريم والعقاب، وعليها تقوم أسس المسؤولية الجزائية في المجتمع القبلي، وهي التي تفسر كثيرا من الظواهر في حياة القبيلة مثل الغزو والثأر، وبها كانت القبائل تحافظ على سلامتها وتدافع عن كيانها ووجودها، ولها فوق كل ذلك آثار خطيرة في حياة الشعوب والقبائل العربية عامة، حيث إنها امتدت عبر التاريخ حتى يومنا هذا، وولدت المنازعات والانقسامات والخلافات التي أدت إلى تأخرها، وقد شجعت بعض الأنظمة هذه العصبيَّة لتستخدمها متى شاءت وبالطريقة التي تخدم نظامها السياسي[2].

إن أغلب النظم والأعراف المتبعة عند القبائل[3] تجد أنها تعتمد على السوابق والسوارح القبليَّة والتقاليد الموروثة في فض التراعات إضافة إلى ما اكتسبته من قوانين الدول القديمة ومن التشريع الإسلامي، وهذه الأنظمة والأعراف هي التي تعنى بتسيير الحياة الاجتماعيَّة في المجتمع القبلي وتتمتع بسلطة قوية وقبول عام رغم عدم استيعابها وملاءمتها لمقتضى الحال في الكثير من القضايا، ولكن ضرورة التعايش السلمي وقلة الوعي الثقافي وعدم وجود سلطة شرعية قادرة قد تجعل من هذه القوانين والأعراف واقعاً مقبولاً؛ لتحقيق أدنى معدل من الأمن والانضباط[4] .

---

(١) المقصود بالسوابق أو السوارح القبليَّة : هي الأحكام المتكررة التي يصدرها قضاة البادية في دعاوى قديمة مشابهة للقضايا التي يتناولونها ولذلك يعتبر الحكم السابق بمثابة قاعدة يتكرر تطبيقها في جميع الوقائع المشابهة انظر كتاب شريعة العشائر في الوطن العربي لفاروق كيلاني ط١، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٩١.

(٢) النظام القبلي في ظفار منذ ٣٥٠ سنة إلى مرحلة تطبيق قوانين الدولة الحديثة، أحمد سعيد المعشني.

(٣) وبقصد الكاتب هنا قبائل المجتمع اليمني.

(٤) القبيلة بين الشَّريعة والقانون، سيف محمد الجوفي، الناشر هيئة الكتاب اليمنية، ط١، ١٤٣٤هـ، ص ٢٢.

يقول الشَّيخ بكر أبو زيد(١) رحمه الله(٢) : "لقد أحدثت بعض القبائل والمجتمعات القبليَّة عادات وأعراف منكرة أحدثوها من عند أنفسهم ما أنزل الله بها من سلطان، استحكمت على كثير منهم، فصارت قوانينهم التي يسيرون عليها ويتحاكمون لها مما له أثر على الدين والمعتقد، بل إنه منكر عظيم فعند بعض القبائل ما يسمونه المذهب، يسنون فيه أحكاماً لكل واقعة مخالفة لحكم الله، يسندون النظر في هذه الوقائع، وإنزال الأحكام والأعراف عليها إلى شيخ القبيلة أو حكّام ينتخبون من بينهم ويلومون ويقاطعون من خرج عن هذا الميثاق الباطل، أو يذهب للمحاكم الشرعية ويصفون بأنه خارج عن المذهب، زاعمين جهلاً منهم أن هذا من الحفاظ على مجتمع القبيلة، وتسوية خلافاتها في محيطها، وفي هذا حماية للقبيلة وسمعتها ووصل من الأبناء والأحفاد لموروث الآباء والأجداد، وهذا من تلبيس إبليس عليهم، وأعوانه لهم وتلاعبه بعقولهم، فتركوا حكم الله لهذه الأعراف، فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير والباطل بالحق والظلم بالعدل، وهذا ضلال مبين وقع في وحله كثير من بلاد المسلمين، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠].

الأعراف القبليَّة كثيراً ما تعتبر أولياء الجاني في الخصومات طرفاً، ويكون أولياء المجني عليه طرف مقابل، وبذلك تصبح القضية بين عشيرتين أو قبيلتين وليست بين شخصين،

---

(١) هو : بكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله (الملقب بأبي زيد)، ولد عام ١٣٦٥هـ، تخرج من كلية الشريعة بالرياض عام ١٣٨٧ه/١٣٨٨ه . ونال شهادة العالمية (الدكتوراه)، من المعهد العالي للقضاء، في عام ١٤٠٣هـ، وفي عام ١٤٠٠هـ، اختير وكيلاً عامًّا لوَزارة العدل، واستمرَّ حتى نهاية عام ١٤١٢هـ. توفّي -رحمه الله- يوم الثلاثاء ١٤٢٩/١/٢٧هـ، له العديد من المؤلفات والجهود الدعوية في داخل المملكة وخارجها . انظر : موقع الشيخ بكر أبو زيد في الشبكة العنكبوتية http://s.sunnahway.net/bakrabozaid.

(٢) فتوى جامعة في التنبية على بعض العادات والاعراف القبليَّة المخالفة للشرع المطهر، بكر عبد الله أبو زيد، الرسالة بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ص ٥-٨-٩-١٠.

حينها يضطر كثير من ذوي المجني عليه أن يصبحوا خصوماً في المشكلة وأعداء لأهل الجاني وعشيرته، وتتحول من قضية شخصية بين فردين إلى خصام جماعي تعود به القبائل والعشائر في أعرافها وتقاليدها إلى مفهوم النصرة الجاهلي، وبعد ذلك تقع الجنايات المتكررة وقوفا مع الفرد من القبيلة وحماية المعتدي، ولو كان ظالماً، وقد يكون البريء مستهدفاً، والله تعالى يقول : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وحديث النَّبيِّ ﷺ : « لا يجني جان إلا على نفسه »(١).

ويجب أن يعلم أن التحاكم لهذه الأعراف والتقاليد القبليَّة يقدح في الدين، وسأسوق مختصراً أقوال بعض علماء السلف القدامى والمعاصرين في ذلك :

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَةَ : « ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين النَّاس بما يراه هو عدلا من غير إتباع لما أنزل الله فهو كافر ؛ فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم، بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم يترلها الله سبحانه وتعالى، كسوالف البادية، وكأوامر المطاعين فيهم، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة. وهذا هو الكفر، فإن كثيرا من النَّاس أسلموا، ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية لهم التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفَّار »(٢).

---

(١) رواه الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء دماؤكم وأموالكم عليكم حرام، برقم : (٢١٥٩) . وصححه الألباني.

(٢) منهاج السنة النبوية، ابن تيميَّة، ٥/٨٣.

قال العلامة ابن القيم: ((لما أعرض النَّاس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليهما واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ عرض لهم من ذلك فساد في فطرهم وظلمة في قلوبهم وكدر في أفهامهم ومحق في عقولهم، وعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم حتى ربي فيها الصغير، وهرم عليها الكبير، فلم يروها مكرا فجاءتهم دولة أخرى قامت فيها البدع مقام السنن، والنفس مقام العقل، والهوى مقام الرشد، والظلال مقام الهدى، والمنكر مقام المعروف، والجهل مقام العلم، والرياء مقام الإخلاص، والباطل مقام الحق، والكذب مقام الصدق، والمداهنة مقام النصيحة، والظلم مقام العدل، فصارت الدولة والغلبة لهذه الأمور، وأهلها هم المشار إليهم، وكانت قبل ذلك لأضدادها وكان أهلها هم المشار إليهم، فإذا رأيت دولة هذه الأمور قد أقبلت وراياتها قد نصبت وجيوشها قد ركبت فبطن الأرض والله خير من ظهرها، وقلل الجبال خير من السهول، ومخالطة الوحش أسلم من مخالطة النَّاس، اقشعرت الأرض وأظلمت السماء وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة، وذهبت البركات وقلت الخيرات وهزلت الوحوش وتكدرت الحياة من فسق الظلمة))(١).

قال الإمام عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز : ((... لأن في إحياء العادات القبليَّة والأعراف الجاهليَّة ما يدعو إلى ترك التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفي ذلك المخالفة لشرع الله المطهر. وبهذا يعلم أنه لا يجوز إحياء قوانين القبائل وأعرافهم وأنظمتهم التي يتحاكمون إليها بدلا من الشرع المطهر الذي شرعه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، بل يجب دفنها وإماتتها والإعراض عنها، والاكتفاء بالتحاكم إلى شرع الله سبحانه وتعالى، ففيه صلاح الجميع وسلامة دينهم ودنياهم، وعلى مشايخ القبائل ألا يحكموا بين النَّاس بالأعراف التي لا أساس لها من الدين، وما أنزل الله بها من سلطان، بل يجب أن يردوا ما

=

(١) الفوائد، ابن القيم، ٨٣-٨٤.

تنازع فيه قبائلهم إلى المحاكم))[١].

قال العلامة الشَّيخ صالح الفوزان : ((... من حكم بغير ما أنزل الله، هذا يعم كل من حكم بغير ما أنزل الله بين النَّاس في الخصومات والمنازعات، حكم بينهم بالقانون أو بعوايد البدو والسلوم التي عليها البدو والقبائل، وأعرض عن كتاب الله. هذا هو الطاغوت. يحكمون بغير ما أنزل الله، ويدعون أن هذا من الإصلاح والتوفيق بين النَّاس، هذا كذب، الإصلاح لا يكون إلا بكتاب الله، والتوفيق بين النَّاس والمؤمنين لا يكون إلا بكتاب الله))[٢].

ومن السلبيات المنتشرة عند القبائل الزيادة والمبالغة في الديات وأرش الجنايات، حتى وصلت الديات إلى مبالغ خيالية تجمع من تجار القبيلة ولو كانت بالملايين، مما أدى للتساهل في القتل وضمان وقوف القبيلة معه .

ثالثاً : نشوء الخوارج وأهل البدع والأهواء

إن من أسباب نشأة الخوارج : العصبيَّة القبليَّة، والتناحر المتوارث بين القبائل العربية المختلفة، وقد كان جيش الإمام علي – رضي الله عنه – يضم فئات مختلفة من ربيعة، ومضر، واليمانية، وكانت هذه الفئات يعز عليها أن تكون الصدارة لبعضها دون بعض، فكان لذلك أثره في وقعة صفين، ثم في نشوء الخوارج، وكذلك النزعة المتشددة التي كانت تسود بعض المؤمنين البسطاء وخصوصا القراء – قراء البصرة – ، هذه النزعة فتحت الطريق لنمو نزعات متطرفة في صفوفهم منها نزعة الخوارج[٣].

لقد فرقت القبليَّة بين أبناء المجتمع الواحد وأوقدت البغضاء بين أبناء الوطن الواحد،

---

(١) مجموع فتاوى بن باز، ٢٧٢/٨ – ٢٧٤.

(٢) سلسلة شرح الرسائل للإمام محمد بن عبد الوهاب، شرح الشَّيخ صالح الفوزان، ٣٠٢.

(٣) مجلة البحوث الإسلاميَّة، تصدر عن الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، العدد ٤٠ ص ٢٢٤.

واستفاد منها كل عدوّ لدود وماكر حسود، فتداعوا من الأنحاء وجاءت كل فرقة ببضاعتها المسمومة وأفكارها المشؤومة؛ لاستئصال هذه الأُمَّة التي ظلمت نفسها وأعطت فرصة الإفساد لأعدائها، فجاءت خطط الأعداء ودعاة الباطل بمكايدها وحيلها ومكرها ودسائسها وخطبها التي تشوه بها دين الإسلام، وتزدري بها المسلمين، واستخدمت جميع الوسائل التي ترى من خلالها نجاح دعوتها، وانتشار عقيدتها، وبذلت قصارى جهدها في زرع البدع والفرق بأهوائها المختلفة وأفكارها المتباينة، وآرائها المتضاربة، ومعتقداتها المتعارضة، وبذلت كل فرقة في ذلك الأموال الطائلة في تنفيذ برامجها ونشر دعوتها، فاختلف النَّاس حينئذ وانقسمت الأُمَّة وتشتت شملها، وتفرق جمعها حتى كفرت هذه الطوائف بعضها البعض، وصار النَّاس فرقاً متنافرة وشيعاً متناحرة، ترد كل فرقة على الأخرى، وتدافع عن فكرة فرقتها، واعتقاد عصابتها، فضاعت بهذه وحدة الجماعة واستهدفت العقيدة الإسلاميَّة الصحيحة[1].

وفي دراسة علمية[2] ذكر باحثها في النتائج أن حركات التنبؤ في العصور الإسلاميَّة الأولى وفي العصر الحديث – إلى جانب زيفها وبطلانها – أنها قد قامت مدفوعة بدوافع العصبيَّة القبليَّة والعصبية الشّعوبيّة، زد على ذلك الفكر الشيعي المنحرف، والمجاهدات الصوفية الغالية، والظروف السيئة التي مرت بها الأُمَّة الإسلاميَّة إبّان ظهور أكثر هذه الحركات، وخاصة المعاصرة منها .

لقد كان للتعصب أثره فيما أحدثته الطوائف والفرق فيما بينها من لعن وطعن وقدح وتشهير وذم وتنقيص واتهامات أوصلت إلى الحقد والكراهية والحسد، فسيطر التعصب على العقول والمشاعر، وقد عرف الرافضة بسبهم للصحابة الكرام والطعن فيهم وانتقاصهم، سواءً من غلاتهم كالإسماعيلية والإثني عشرية أو غيرها[3].

---

(١) المنح الوهبية في ذم العصبيَّة، عثمان شيخ عمر، ص ١١-١٢.

(٢) ختم النبوة بالنبوة المحمدية، أحمد سعد الغامدي، رسالة ماجستير، دار طيبة الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ.

(٣) التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي، خالد كبير علال، دار المحتسب، ١٤٢٩هـ، ص١٣.

ويصور لنا الإمام ابن تيميَّة ظهور أهل البدع والأهواء في قوله: ((الصحابة رضي الله عنهم كانوا أقل فتنا من سائر من بعدهم فإنه كلما تأخر العصر عن النبوة كثر التفرق والخلاف ولهذا لم يحدث في خلافة عثمان بدعة ظاهرة فلما قتل وتفرق النَّاس حدثت بدعتان متقابلتان بدعة الخوارج المكفرين لعلي وبدعة الرافضة المدعين لإمامته وعصمته أو نبوته أو إلاهيته ثم لما كان في آخر عصر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبد الملك حدثت بدعة المرجئة والقدرية ثم لما كان في أول عصر التابعين في أواخر الخلافة الأموية حدثت بدعة الجهمية والمشبهة الممثلة و لم يكن على عهد الصحابة شيء من ذلك وكذلك فتن السيف فإن النَّاس كانوا في ولاية معاوية ﷺ متفقين يغزون العدو فلما مات معاوية قتل الحسين وحوصر ابن الزبير بمكة ، ثم جرت فتنة الحرة بالمدينة ثم لما مات يزيد، جرت فتنة بالشام بين مروان والضحاك بمرج راهط، ثم وثب المختار على ابن زياد فقتله، وجرت فتنة ثم جاء مصعب بن الزبير فقتل المختار، وجرت فتنة ثم ذهب عبد الملك إلى مصعب فقتله وجرت فتنة ، وأرسل الحجاج إلى ابن الزبير فحاصره مدة ثم قتله، وجرت فتنة ثم لما تولى الحجاج العراق خرج عليه محمد بن الأشعث مع خلق عظيم من العراق وكانت فتنة كبيرة فهذا كله بعد موت معاوية ثم جرت فتنة ابن المهلب بخراسان وقتل زيد بن علي بالكوفة وقتل خلق كثير آخرون ، ثم قام أبو مسلم وغيره بخراسان وجرت حروب وفتن يطول وصفها))(١).

وفي مقال بشبكة الشاهد يقول الكاتب : ((وجدت في بحثي أن أقطاب الطرق الصوفية هم أكثر من يتعامل بالقبلية والعصبية في المجتمع الصومالي دون غيرهم، كأنهم في زمن الجاهليَّة، كلّ شيخ يحابي عصبيته سرًا أو علانية، والعجب أن الطرق الصوفية هي التي أعطت الفرص الذهبية للفرق المبتدعة الموجودة في الساحة الصومالية؛ لأن أقطاب الصوفية صاروا شيعا متنافرة، ترد كل فرقة على الأخرى، وبدأت تتنازع في السلطة الدِّينيَّة، وصاروا

---

(١) المنتقى في منهاج الاعتدال، تقي الدين أحمد بن تيميَّة، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية بالقاهرة، ١٣٧٤هـ، ص ٣٨٦-٣٨٧.

منهمكين في أمور تافهة مثل: من يحق له نصب راية الطريقة الفلانية، وأن شيخ تلك الطريقة له التبعية، وإن كان هذا الكلام في غابر الأزمان قبل ظهور الصحوة المحمودة وقبل مجـيء طلاب حلقات العلم إلى ساحة الجامعة والمعاهد العلمية، لكن ما زال له أثـر ملحـوظ في بعض أتباع الصوفية، وتقدم الطرق الصوفية لا يتم إذا لم يوافق وجـود مصـلحة قبيلتـه وعصبيته، فقد ينحدر شيخها من قبيلة أخرى وهكذا نشاطات الطرق الصوفية في الصومال »(١).

وقد جمع النَّبيّ ﷺ فحذر من التعصب والعصبية العمياء ومن بدعة الخوارج، فعـن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النَّبيّ ﷺ قال : « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل فقتلته جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنـها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه »(٢)، والشاهد في قوله : يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة هذه هي العصبيَّة القبليَّة، وقوله من خرج من الطاعة أو على أمتي فهي فتنة الخوارج وهم أصحاب بدعة .

رابعاً : تعظيم الولاء القبلي على الولاء للدين

لقد جاء الإسلام بمفهوم الولاء لله وحده ولرسوله وللمؤمنين والولاء هذا يسمو فـوق جميع الروابط القبليَّة، وكان هذا التغيير نعمة من نعم الله على هذه الأُمَّة العربيـة خاصـة والعالم عامة، لقد كان جمع القبائل العربية على دين واحد من أكبر المعجزات التي شـهدتها المجتمعات القديمة والحديثة، قـال تعـالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال:

(١) مقال بعنوان : كيف نعالج سرطان القبليّة والعصبية في الصومال، حسـن البصـري، شـبكة الشـاهد، ٢٠١١/١/٧م .http://arabic.alshahid.net/columnists/43569

(٢) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهـور الفـتن وتحـذير الـدّعاة إلى الكفـر، رقم (١٨٤٨).

٦٣]، بهذا التأليف أصبح الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين بعد أن كان للقبيلة ولرابطة الدم والنسب، ومن هنا نقل عرب الجزيرة من ولاء قبلي ضيق إلى ولاء يقوم على عقيدة دينية واسعة، تضم مجتمعاً من قبائل شتى وأعراق مختلفة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦][(١)][(٢)].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢]. قال أهل العلم في سبب نزول هذه الآية: إنها نزلت في أبي عبيدة حين قتل أباه يوم أحد، وفي أبي بكر حين دعا ابنه للمبارزة يوم بدر، وفي عمر حيث قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر، وفي علي وحمزة حين قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر، لقد جمعت هذه العقيدة صهيباً الرومي وبلالاً الحبشي وسلمان الفارسي وأبا بكر العربي القرشي تحت راية واحدة، راية الإسلام، وتوارت العصبيَّة، عصبيَّة القبيلة والجنس والقوم والأرض[(٣)].

لقد تبرأ المسلمون من آبائهم وأبنائهم وأقربائهم المشركين وقاتلوهم، ولا أدل على ذلك من غزوة بدر الكبرى بقيادة الرَّسول ﷺ حتى مدحهم الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

(١) وانظر سورة الأنفال، الآيتان، ٧٢-٧٥.
(٢) العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، خريسات، ص ١٠٦.
(٣) الولاء والبراء، ٢٢٨.

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[الفتح: ٢٩]. نعم لقد كان بحق ولاؤهم لله والرسول وليس للآباء والأبناء والأقارب، وقد بين الله ذلك في كثير من الآيات فقد تبرأ نبي الله إبراهيم من أبيه؛ لأنه أصر على عبادة الأصنام، وتبرأ نوح عليه السلام من زوجته وابنه لأنهما أصرا على الكفر، وتبرأت آسية امرأة فرعون المؤمنة من زوجها فرعون، وهنا يكون الولاء للدين وليس للقرابة والقبيلة(١).

لا بُدَّ أن يخلص المسلم ولاءه وحبه الأكبر لله ولرسوله، ولا بُدَّ أن تكون هذه حقيقة لا مجرد شعار يطويه حب الأهل والعشيرة :

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[المائدة: ٥٥ - ٥٦]. فمن علامة صدق العبد في محبته لله أن يُقدم ما يحبه الله على ما تحبه نفسه، وما يميل إليه هواه وطبعه من المال والقرابة والوطن، ومن علامات محبة الله بغض ما يبغضه الله من الأشخاص ولو كانوا أقرب القرابة ومن أسباب حصول حلاوة الإيمان التي ينشدها المسلمون ليل نهار : إخلاص المحبة لله ولرسوله ﷺ دون سائر العالمين، فعَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه – عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ((ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ))(٢)، وما أحسن ما أُثر عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : ((من ذاق من خالص محبة الله، شغله ذلك من طلب الدنيا، وأوحشه عن جميع البشر))(٣)(٤).

---

(١) الإسلام والعنصرية، قاره، ٣٤-٣٧.

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، برقم : (١٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم : (٤٣).

(٣) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين : (٤/ ٢٩٥) . ونسبه إلى أبي بكر الصديق ، ولم أجد من ذكره من المحدّثين.

(٤) مقال بعنوان : علاج العصبيَّة القبليَّة، محمد ولي الصومالي، موقع جماعة الاعتصام بالكتاب والسنة، =

إن العلاقة بين البشر بعضهم خاصة بين المؤمنين يجب أن تكون على أساس الدين والعقيدة وليس على أساس النسب والعرق القبليَّة والأجداد، وقد أدرك المؤمنون هذه المبادئ، فإما إيمان كامل يجعل صاحبه ينحاز للفئة المؤمنة والعقيدة الإسلاميَّة وإما شرك أو كفر ينحاز لمبادئ الكفر والشرك، ولكن العنصرية في هذا الزمن أبوا إلا أن يأخذوا من هذا أو ذاك عن جهل وغباء منهم، يصرون على الولاء للقبلية والوطن والنسب والعرق في الوقت الذي يعلنون فيه إسلامهم ويطبقون كثيراً من تعاليم الدين[١].

أما المشركون الأوائل من أهل مكة فقد أدركوا ذلك وانحازوا لإخوانهم عباد الأوثان من الفرس وفضلوهم في الاعتقاد وعلى الفئة المؤمنة من الذين تربطهم بهم أواصر القربى، ولقد فرح المؤمنون بانتصار الروم على الفرس؛ لأنهم أهل كتاب وأقرب للحق وافتخروا بذلك على المشركين من قريش أهل مكة، رغم أن هؤلاء المشركين من قريش إخوانهم من الدم والنسب والجنس والقبلية، وقد قبل المشركون من قريش الرهان طمعا في انتصار إخوانهم المشركين من المجوس قال الله تعالى : ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾﴾[الروم: ١ - ٦][٢].

إن الولاء للقبيلة في الصومال مثلًا أدى للجوع والفقر والدمار والكره والحقد والعداء والتفرقة بين النَّاس الذين يؤمنون برب واحد، ودين واحد ويصلون في صف واحد وإلى قبلة واحدة، ويحجون لبيت واحد، إنها القبليَّة التي تؤدي للخوف والرعب والبلاء والنقمة، فدمر الشعب كل شيء بيديه وبرضاه، وارتكب جريمة في حق نفسه وجاهد ليدمر حياته ويقضي على أبنائه، كل ذلك في سبيل الولاء للقبيلة، إنه عمل انتحاري في سبيل الطاغوت، فقد

=

١٨/يوليو/٢٠١٣م.

(١) الإسلام والعنصرية، عبد العزيز قاره، ٦٢-٦٤.

(٢) المرجع السابق.

دمروا البيوت وقتلوا الرجال والنساء وهدموا كل نافع مفيد لماذا ؟ ليحيا اسم القبيلة ! وزعماء القبيلة ! وكل ذلك بسبب الجهل بالإسلام وتعاليمه العظام[١].

وفي دراسة علمية[٢] عن الولاء القبلي في الخليج خلصت الدِّراسة إلى نتائج، من أهمها أن الولاء القبلي موجود وبكثرة في المناطق التي يكثر سكانها من القبائل وسكن الفرد بين قبيلته يجعله مرتبطاً بها وبقيمها ويكون الولاء القبلي أكثر لدى الذكور، ويعود هذا لسيادة الرجل القبلي ومعرفته بالقيم والعادات القبليَّة والسيادة الأسرية مما جعل لديه اهتمامًا بذلك، ويبرز ذلك في الانتخابات والتصويت لمرشح القبيلة، ويكون ذلك عزوة ونخوة وولاء للقبيلة دون النظر للأكفأ والأجدر، ومن النتائج أيضاً أنه كلما زادت وارتفعت مكانة الفرد وظيفياً زاد لديه التمسك بالهوية والتضامن القبلي، وكلما كان مؤمناً بدور القيادة القبليَّة .

وتشير الدِّراسة نفسها بأن زواج الرجل من القبيلة يزيد من ولائه القبلي، وأن القنوات القبليَّة زادت وبشدة من الولاء والانتماء القبلي حتى أصبحت هوية الفرد وانتماؤه ليس الحدود الوطنية الضيقة، وإنما أينما وجدت قبيلته فتلك حدوده، ومن النتائج أيضاً شعور الفرد بعدم الأمن والخوف من المستقبل، فأصبح العالم من حولنا يتحزب استناداً إلى أسباب طائفية وعرقية ودينية، وكثرت الأخطار السِّياسيَّة مما يزيد من اللجوء إلى القوة والتماسك والافتخار بالهوية القبليَّة، ويرى الباحث في دراسته أنه يجب أن نغير من الولاء القبلي كظاهرة سلبية إلى الولاء القبلي الإيجابي الذي يؤدي إلى ما أسماه ب (القبليَّة الرشيدة) أي الواعية التي تدعو إلى احترام القبائل والتراحم والسعي للوحدة .

المطلب الثاني : الآثار الفكريَّة

أولاً : محاولة تحريف الحديث والتاريخ الإسلامي

لم يرق لأعداء الإسلام قديماً وحديثاً، أنْ يروا ازدهار الأُمَّة الإسلاميَّة وتقدمها، فعملوا

(١) الإسلام والعنصرية، قاره، ص١١٤-١١٥.

(٢) الولاء القبلي في الخليج العربي، د علي عبدالهادي الشاوي، دراسة علمية بقسم العلوم الاجتماعيَّة كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، بحوث ودراسات، شؤون اجتماعية، العدد ١٢١ ربيع ٢٠١٤م السنة ٣١.

على هدم أسس الإسلام، وتشكيك المسلمين في دينهم، وكان من الصعب أنْ ينالوا من القرآن الكريم، فوجَّهُوا سهامهم إلى السنَّة، وحاولوا تشويهها، فوضعوا الأحاديث، وطعنوا في بعض الصحيح منها، واتَّهمُوا بعض الرُواة الثقات، ولكن هذا لم ينل من السُنَّة أمام يقظة الأُمَّة وعلمائها الذين ذبُّوا عنها وحافظوا عليها، وسلك أعداء الإسلام سُبُلاً مختلفة لإنكار السُنَّة جملة بعد التشكيك فيها، وبقي الحديث النبوي صافيًا لا يعتريه الكذب، ولا يتناوله التحريف والتلفيق طول اجتماع كلمة الأُمَّة على الخلفاء الأربعة الراشدين، قبل أن تنقسم إلى شيع وأحزاب، وقبل أن يندس في صفوفها أهل المصالح والأهواء والعصبيات(١).

وقد اعتمد الأمويون في إدارة دولتهم وتسيير أمورها على العرب خاصة، وتعصب بعضهم للعرب والعربية، وربما نظر بعض العرب إلى المسلمين من العناصر الأخرى نظرة لا توافق روح العصر، حتى إن طبقة الموالي (وهم المسلمون من غير العرب) شعرت بهذه العنصرية، فكانوا يحاولون المساواة بينهم وبين العرب وانتهزوا أكثر الاضطرابات والحركات الثورية فانضموا إليها في سبيل تحقيق ذلك وإلى جانب هذا كانوا يبادلون العرب الاعتزاز والفخار، فحملهم هذا على وضع أحاديث ترفع من قدرهم، وتبين فضائلهم، ومن ذلك حديث: ((إن كلام الذين حول العرش بالفارسية، وإن الله إذا أوحى أمرًا فيه لين أوحاه بالفارسية، وإذا أوحى أمرًا فيه شدّة أوحاه بالعربية))(٢)، فوضع مقابله حديث: ((أبغض الكلام إلى الله الفارسية، وكلام الشياطين الخوزية، وكلام أهل النار البخارية، وكلام أهل الجنة العربية))(٣)، وحديث: ((دعوني من السودان؛ إنما الأسود لبطنه وفرجه))(٤) (١).

(١) السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، الناشر دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ، ص ١٨٧.

(٢) أخرجه ابن عدي في "الكامل": (٢/٥٥٩) ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات : (١/١١٠) . والسيوطي في اللآلي المصنوعة : (١/١٠-١١).

(٣) أورده الذهبي في تلخيص كتاب الموضوعات : (١/٢٧٣) ، برقم : (٧٢٨).

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير : (١١/١٩١) ، برقم : (١١٤٦٣). قال الألباني في السلسلة الضعيفة =

ومنشأ وضع الأحاديث في فضائل بعض القبائل العربية يرجع إلى إثارة تلك العصبيَّة القبليَّة التي ظهرت في الدولة الأموية عقب وفاة يزيد بن معاوية، كانت وضعت أحاديث في الجنس والقبيلة واللغة وضعت أحاديثُ في تفضيل البلدان والأئمة، وأظن أن انتقال مركز إدارة الدولة الإسلاميَّة من بلد إلى آخر كان له أثر بعيد في دفع بعض المتعصبين إلى وضع الأحاديث في فضائل بلدانهم أو أئمتهم، ومما لا شك فيه أن التعصب للأئمة لم يظهر إلا في القرن الثالث الهجري، ولم تبد هذه الظاهرة إلا من الأتباع الجاهلين، فَوُضِعَتْ أحاديث كثيرة في فضائل البلدان منها: «أربع مدائن من مدن الجنة في الدنيا: مكة، والمدينة، وبيت المقدس ودمشق»[(٢)][(٣)].

لقد استغل أصحاب الاتجاهات المنحرفة بعض الروايات الضعيفة أو الموضوعة في الموسوعات التاريخية القديمة أو تحليلات المستشرقين المشوهة استغلوا هذا في المدارس أو الجامعات، وغرسوا في نفوس الشباب المتعلم أن تاريخنا لا يعدو أن يكون أحداثًا دموية يتلو بعضها بعضا، وأنه إذا استثنينا الخلفاء الراشدين فكل تاريخنا صراع على الحكم وترف وفساد في القصور، وعظمت المصيبة بأمثال هؤلاء والمتعلم الناشئ يتأثر بما يقال له، وأصبح الشباب في حيرة واضطراب، فعندما يسألون عن كتب التاريخ لترشدهم إلى الحقيقة لا يجدون أمامهم إلا كتب الموسوعات الكبيرة التي من الصعب على أمثالهم الرجوع إليها أو الكتب المعاصرة وفيها من الجهل والتشويه الشيء الكثير[(٤)].

لقد ظل التاريخ الإسلامي -دون غيره- في القرن الأول والثاني الهجري هدفًا لهجمات

=

والموضوعة : (١٥٧/٢) ، برقم : (٧٢٧) : موضوع . وأورده ابن الجوزي في الموضوعات : (٢٣٢/٢).

(١) السنة قبل التدوين ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٢) ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة : (٤٢٨/١).

(٣) السنة قبل التدوين ٢٠٩.

(٤) معالم حول كتابة التاريخ الإسلامي، محمد العبده، مجلة البيان ص ٧٥ عدد.

مغرضة من بين تواريخ دول العالم، ولا يزال حتى الآن هدفًا لهذه الهجمات المتنوعة التي أخذت أشكالاً مختلفة وفى مقدمتها: العصبيَّات القبليَّة، ومصالح الشعوب والجماعات المختلفة ومسلك كل منها، والاختلافات السِّياسيَّة، وقد مثلت هذه الأمور بداية تلك الهجمات؛ ذلك لأن مصادر التاريخ الإسلامي التي كتبت في الأمصار العراقية، وبخاصة في الكوفة والبصرة وبغداد، لم تنج من تعصب المؤلفين ورواة الأخبار الذين لم يبتعد أكثرهم عن العصبيَّة بكافة أنواعها(١).

ومع أن هناك مؤلفين ورواة أوائل كتبوا في السيرة، والمغازي وتوافرت الثقة بينهم من خلال الدِّراسة التحليلية أن جميع رواة ومؤلفي الحوليات تقريبًا يدخل في عملهم عُنصر العصبيَّة القبليَّة بصورة واضحة تمامًا، كما أنهم من الناحية السِّياسيَّة كانوا يعبرون عن وجهات نظر قبائلهم، ويتحدثون بلسان هذه القبائل(٢).

و لم يكن مؤرخو القرن الرابع والخامس الهجري والقرون التالية لهما مؤرخين إسلاميين بمعنى الكلمة، فلم يبرأوا من العصبيَّات الاجتماعيَّة، والمحاباة القبليَّة، والميول السِّياسيَّة، والخلافات الفقهية، والنزاعات المذهبية. وقد صدر هذا عن بعضهم نتيجة لنقص في المعرفة، إلا أن عددًا كبيرًا منهم قد ترك جروحًا وبثورًا وبصمات سيئة عن عمد وعن قصد على صفحات التاريخ الإِسلامي؛ نتيجة لتدوينه لما يعجبه ومالا يعجبه ونتيجة لعصبيته، وهكذا قام معارضو الإسلام بالاستفادة من الكتابات الضعيفة لدى هؤلاء الكبار العظام، وجعلوها عونًا لهم أثناء هجماتهم الفكريَّة ومؤامراتهم المغرضة على تاريخنا العظيم(٣).

ثانياً : الافتعال في الأنساب والأخبار

كان ثمة ميدان آخر اصطرعت فيه العصبيَّات غير ميدان القتال، وساح الأدب والبيان

(١) الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي، د محمد ياسين مظهر صديقي (اردو)، ترجمة د سمير إبراهيم، دار الصحوة ط١، ١٤٠٨هـ، ص ٩-١٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١١.

(٣) المرجع السابق، ص ١٢.

في ذلك الميدان، ذاك هو ميدان الرواية والتاريخ الذي تجلت فيه مشاركة رواة الأخبار والأشعار والنسابين في المحاماة عن قبائلهم والتعصب لها والمفاخرة بها، فقد فرضت العصبيَّة على كل مواطن قبلي متحمس لجماعته أن ينتصر لها ويذود عنها بالوسيلة التي يملكها سواء بسلاح الحرب أو بسلاح الأدب والبيان، أو بسلاح التزوير والتاريخ وتلفيق الأنساب ووضع الأحاديث واختلاق الأخبار وافتعال الأشعار وقد نشط هذا اللون من ألوان النشاط القبلي الناجم عن استشراء العصبيَّة طوال عصر بني أمية، وظلّ قائماً بعد ذلك أمداً طويلاً في العصر العباسي واحتدم فيه حتى غدا أبرز مظاهر الصراع القبلي في ذلك العصر(١).

ويكاد يكون هذا اللون من الصراع وقفًا على العصبيَّة الواسعة النطاق بين العدنانية والقحطانية، و لم يكن للعصبيات الأخرى مشاركة فيه ذات خطر، وأكثر ما نجد أثر العصبيَّات الضيقة في رواية أخبار الجاهليَّة وأيامها، فقد حملت العصبية رواة هذه الأخبار والأيام على تحريف أخبار الوقائع الجاهليَّة تضخيماً من شأن الدور الذي لعبته قبيلتهم فيها، ومن هنا أصبحنا نجد للخبر الواحد روايات مختلفة وكثيراً ما تكون متناقضة(٢).

وكما أدخلوا التحريف على أخبار الوقائع الجاهليَّة لغايات قبلية، فعلوا مثل ذلك أحيانا في الأنساب العربية، فالقبيلة ربما ادعت انتماء قبيلة أخرى إلى نسبها ، وافتعلت جدولا نسبياً يؤيد مدّعاها ؛ بغية استمالة هذه القبيلة إلى صفها وكسب تأييدها ونصرتها، وهذا الضرب من العبث بالأنساب وتجاذب القبائل كان أحد مظاهر الصراع القبلي البارزة بين العدنانية القحطانية، فقد حرصت كل من الكتلتين على ضم أكبر عدد من القبائل إلى شجرتها النسبية؛ لتشد بها أزرها وتغدو الكثرة العددية في جانبها، وفي سبيل ذلك أقدمت على تزوير الأنساب وافتعالها ووضع الأشعار والأحاديث والأخبار التي تؤيد مزاعمها، وهذا الافتعال والتزوير في الأنساب هو أحد الأسباب التي حملت طائفة من الباحثين المحدثين

---

(١) العصبيَّة القبليَّة في الشعر الأموي، النص، ص ٣٤٠.

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤٠.

على الشك في صحة جداول الأنساب العربية(١).

و لم يقتصر التلفيق في الأنساب والتزوير والتاريخي على الفروع بل امتد إلى الأصول نفسها، فقد شق على القحطانية أن يفاخرهم العدنانيون بانتمائهم إلى الأنبياء، بكونهم أبناء إسماعيل بن إبراهيم وبظهور محمد عليه السلام بين ظهرانيهم، فادعى نفر منهم أن العرب كافة هم من سلالة إسماعيل بن إبراهيم، وافتعلوا لتأييد ذلك سلسة نسبية ترجع كلا من عدنان وقحطان إلى الجذم الإسماعيلي، واحتجو بقول الرسول عليه السلام لنفر من أسلم والأنصار : « ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً »(٢)، وبشعر نسبوه إلى المنذر بن حرام جد حسان بن ثابت، ولجأت طائفة أخرى منهم إلى إقحام اسم هود النبي في سلسة النسب القحطاني ليجعلوه بإزاء إسماعيل الذي فاخرهم به العدنانيون، فقالوا : إن قحطان هو ابن عابر، وعابر هو هود النبي، وقد ذكر وهب بن منبه أن اليمن ادعت هوداً أباً لها حين وقعت العصبيَّة بين اليمن ومضر، رداً على افتخار العدنانية بأبيها إسماعيل، بل إن القحطانية لم تقنع بنبيّ واحد، فادعوا أن صالحاً النبي كان منهم أيضا، وأنه حميري آل ذي رعين، ثم اتسع موضوع التنازع فشمل التاريخ القديم كله، وأخذ كل من الفريقين يفتعل القصص التاريخي والأخبار التي تحيط ماضيه بهالة مشرقه تدعو إلى الفخر، وافتعلوا من الشِّعر ما يدعم قصصهم هذا، وأضافوا إلى الشعراء القدامى وغيرهم(٣).

ثم إنّ أخبارًا في هذا اللون من الصراع بين العدنانية والقحطانية، ينبئنا بالدور الكبير الذي لعبه النسابون وأهل الأخبار ورواة الأشعار في هذا الصراع القبلي المحتدم الأدوار، و لم تزل مخلفات هذا الصراع وآثاره ماثلة في المصادر التاريخية والأدبية حتى يومنا هذا، وكثير من الأخبار المفتعلة والأنساب الملفقة التي وضعت بدافع هذه العصبيَّة ارتدى على زمن لبوس الحقائق التاريخية المقررة(٤).

---

(١) العصبيَّة القبليَّة في الشعر الأموي، النص، ص٣٤٢.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، برقم : (٢٨٩٩).

(٣) العصبيَّة القبليَّة في الشعر الأموي، النص، ص٣٤٨.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٥٤.

ثالثاً : الانغلاق والجمود وعدم التجديد

لكل المجتمعات القبليَّة عادات وتقاليد، اكتسبتها مع مرور الزمن، فتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل، فشكَّلت هذه العادات والتقاليد مع التغييرات التي طرأت عليها مع تعاقب الليل والنهار قدسيات لا يمكن التعدِّي عليها، وهي التي تتفاخر بها الأقوام[١].

وتعتقد كل قبيلة أو قوم بأن عاداتها أفضل العادات وأمجدها وسنامها، حتى ورث الجيل الحالي هذه الأفكار التي لا يستطيع الانعتاق منها، وإن من تحرر من قيودها يعتبر شاذًّا وخارجًا عن قانون القبيلة، فيعامَل بازدراء وسخرية، ولا يُضرب له أي حسبان!، وهذه الأفكار المتوارثة أصبحت عائقًا أمام التطور، وفكرة بناء الحضارة الإسلاميَّة صحيحة الأسس؛ فهي بانطوائية أفكارها على النطاق القبلي -والمحدودة غير النافعة- جعلت من الأُمَّة العربية الإسلاميَّة أُمَّة متأخرة، تحتل ذيل المراتب في كل الاتجاهات العلمية والاقتصاديّة والسياسية... إلخ[٢].

إن للعصبيَّة القبليَّة دورًا كبيرًا في تضييق الأفق عند الأفراد، فيصبح لا يعرف إلا محيط قبيلته، والمحصور في منطقة جغرافية محدودة بدلاً من السعي في الأرض حتى غطت القبليَّة عقل اللبيب، فأعمته عن الانفتاح للحوار والفكر وطرح الآراء والتمييز بينها، فتجده متعصّبًا لعادات وموروثات قديمة ومتمسّكًا بها نقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل دون النظر وإعمال العقل والنظر للمصالح والمفاسد فيها حتى كان الحياء والخوف من القبيلة أشد من الخوف والحياء من الله .

وكل مَن يعيش في ظل تلك العادات ويذوب فيها، لا يستطيع أن يوفِّق بينها وبين الأفكار الحديثة إلا في مواقف قليلة جدًّا، تنحصر على الفرد أو الأسرة ذات العدد القليل، أما النطاق الاجتماعيّ أو القبلي، فلا يمكن أن تصل إليه تلك الأفكار الحديثة؛ لأنها سوف

(١) العادات والأفكار الحديثة، مقال لـ : فواز بن ناصر حضرم المحمدي، موقع الألوكة، ١٤٣٣/١٠/٢٦هـ، http://www.alukah.net/Spotlight/10919/44203/#ixzz2NVsppU5R.

(٢) المرجع السابق.

تصطدم بمقدسات وعادات ذات جذور عميقة، كما أن الخوف من ما وراء تلك الأفكار والشك فيها، يشكل الهاجس الأول لكل من يحاول الانعتاق من العادات والتقاليد، فتجده متذبذبًا، سريع الانكسار للنداء القبلي المفروض عليه، خاصة حينما تجده أعزل من السلاح العلمي، كما أن هناك فئة متعلمة تتجرد من لباسها العلمي عند الاحتكاك بالعادات والتقاليد القبليَّة، وهي الفئة التي تشكل خطرًا قويًّا على المجتمع الذي يحاول الخروج من أفكاره الجاهليَّة !

وتتصادم العادات والتقاليد مع الأفكار الحديثة التي جعلتها في موقف حرج جدًّا، فالأفكار في النطاق القبلي تكون محدودة منعدمة الفوائد، ضيقة الأفق سريعة الفشل، بينما الأفكار الحديثة مرنة قوية متينة، تتسع لأي شريحة، فردية كانت أو جماعية .

وإن من الأسباب التي تدفع لممارسة التعصب وتجد لها أثراً عدم فهم الدين بالشكل السليم، وقلة فهم النصوص بعموميتها والبعد عن فهم محتوى النص الشرعي والجمود الذي هو آفة من آفات الفكر، ومنه الجمود على شكل معين في التنظيم وعلى وسائل معينة في التربية، وعلى صور معينة في الدَّعوة، ومن حاول أن يغير من هذا الشكل أو تلك الوسيلة قوبل بالرفض الشَّديد أو الاتهام والتنديد[١].

رابعاً : نظريات التعصب عند علماء النفس

تعددت النظريات المفسرة للعصبيَّة باختلاف منظريها وروادها ومن أهم تلك النظريات عند علماء النفس الاجتماعيّ :

١ - نظرية الصراع بين الريف والحضر :

تقوم هذه النظرية على أساس افتراض أن أشكال التعصب المختلفة تنشأ عن العداوة المتبادلة بين قاطني الريف والحضر بناءً على ما لدى كل منها من توقعات عن الآخر، وبما

(١) القرضاوي ١٠٤.

يمكن أن يسببه ذلك الصراع من أضرار لكل منها على الآخر[١].

والصراع بين أهل الريف والحضر لوثة أصابت الكثير من المجتمعات وخاصة الإسلاميَّة والعربية، فما من بلد ألا وقد مزقته العصبيَّة فأفرزت التنابز بألقاب والسخرية والاحتقار فنجد في مصر – مثلاً – من يعمل بالفلاحة أو الصعايدة موضع سخرية وتندر، فتوضع عليهم النكت والحكايات التي توهم السامع ببعدهم عن الحضارة والتطور، وأنهم للأعمال الوضيعة، وكل ذلك من أسباب التعصب المقيت واحتقار الإنسان[٢].

وفي العراق حيث الأكراد في شماله ينالهم من السخرية واتهامهم بالغباء وسوء التصرف الشيء الكثير، كما أنهم يردون الإساءة بالإساءة بتلفيق النكات والضحكات عن جهالة العرب وغبائهم، وفي الجزائر حيث الشاوية في تبسه وسوق هراس وفي المغرب حيث أهل مراكش[٣].

ويقع كذلك عند أهل الحضر استهزاؤهم بالبدو وانتقاصهم ، ويرد البدوي بالإساءة والحط من الحاضرة، وقد يلمزونهم في أصولهم وأنسابهم أو يكون في أنهم جاءوا من الخارج، فيقال (طرش بحر) مثلاً ومنها من يلمز أهل جهة معينة بأوصاف غير لائقة، مثل لمز أهل الجنوب أو سكان منطقة جيزان وما ذلك إلا للبعد عن منهج الله سبحانه وتعالى وغفلة عن أدب الإسلام الكريم وأخلاقه الفاضلة، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾ [الحجرات: ١١]. جاء في الجامع لأحكام القرآن : "السخرية والاستحقار والاستهانة والتنبه على العيوب والنقائص بوجه يضحك منه بعين النقص، وعلّل النهي ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا

(١) الاتجاهات التعصبية، معتز سيد عبد الله، ص ١٠٥.

(٢) انظر العصبيَّة في ضوء الإسلام، للمشهداني ص ١١٠، ودور التربية الإسلاميَّة في مواجهة العصبيَّة، لحجراف ص٢٢.

(٣) العصبيَّة في ضوء الإسلام، المشهداني، ص ١١٠.

﴿مِّنۡهُمۡ﴾ أي : عسى أن يكون المسخور منهم خيراً عند الله تعالى من الساخرين، ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ لا يعب بعضكم بعضاً بقول أو إشارة؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمنُ المؤمنَ فكأنه عاب نفسه[(١)].

٢ - نظرية الصراع الواقعي بين الجماعات

وتقوم هذه النظرية على افتراض أنه حينما يحدث صراع بين جماعتين من الجماعات نتيجة أي عوامل خارجية بسبب تهديد كل منها للآخر ؛ تتكون مشاعر عدائية بينهما لوجود عدد من القيم أو الاتجاهات المتغايرة أو لأجل التنافس الاقتصادي حول الوظائف الشاغرة، فيبدأ التعصب بينهم ، وهذا يدخل من باب التحاسد بسبب المنافسة على الأعمال والكسب المادي الناتج عنها والحسد أصل العصبيَّة الأول كحال إبليس عندما رأى تكريم آدم عليه السلام فامتلأ قلبه غيضاً، قال تعالى : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾ [الأعراف: ١٢]. أو كحسد ابن آدم على أخيه حتى حمله على قتله ﴿۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة: ٢٧]، وفي حسد الكفار عن الإيمان برسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ٥٤﴾ [النساء: ٥٤].

قال ابن كثير: يعني ذلك حسدهم له كونه من العرب وليس من بني إسرائيل[(٢)]، وما العصبيَّة إلا صورة وثمرة للتحاسد بين الأفراد والجماعات بأساليب تتفاوت في شدتها وخستها وكلها مذمومة[(٣)].

---

(١) أحكام القرأن، القرطبي، ٤/١٥٥.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/٦٨٣.

(٣) العصبيَّة القبليَّة في ضوء الإسلام، المشهداني، ص ١٠٨.

٣ - نظرية التهديد الجماعي مقابل الفردي

وذلك باعتقاد إحدى الجماعات أن حياتها مهددة أو مستهدفة من قبل الجماعات الأخرى ، فكل ما يحكم هذه العملية هو الشعور الجماعي لا الذاتي بالكراهية والاستياء مثل ما فعلت اليهودية العالمية حيث نجحت باستغلال نظرية أنهم مهددون من الآخرين لتقوية نوازع العصبيَّة فيهم من كراهية وحقد على الآخرين[١].

والعصبية تولد في المجتمعات التي تنمو فيها تناقضات اجتماعية كبيرة ولاسيما مستوى تعدد الطبقات الاجتماعيَّة، وتعدد الأديان والمذاهب، وتلعب الآراء التعصبية في ذلك دوراً بارزاً ويدعم ذلك كله وجود عوامل كالفقر والتمييز، وما ينمو مع الشخص وتزداد العصبيَّة مع مرور السنين[٢].

٤ - نظرية الحرمان النسبي

تدل هذه النظرية على الستياء وعدم الرضا نتيجة أن الإنسان محروم نسبياً أكثر من بعض الأشخاص الآخرين في الجماعات الأخرى وتؤكد بعض الدِّراسات أن الحرمان النسبي يؤدي إلى الخصومة بين الجماعات المختلفة حينها يشعر الأشخاص بحافز إلى تحقيق موضوع قيمي معين لا يتوفر لديهم، وذلك بمقارنة أنفسهم ببعض الجماعات الأخرى التي تمتلك هذا الموضوع ويشعر أن في مقدورهم تحقيقه إلا أن الظروف لا تساعدهم، ففي جنوب أفريقيا ــــ مثلاً ــــ تتمتع الأقلية البيضاء بكل المميزات السِّياسيَّة والاجتماعيَّة والتعليمية التي لم تشعر الأغلبية السوداء معها بأنهم يستطيعون تحقيقها، والوصول إليها بسهولة، فهم يشعرون فعلاً بالحرمان[٣].

ومن هذا أن تقوم الأمم الغربية في معاملة أهل البلاد المستعمرة أو الخاضعة لسلطانها؛ إذ

---

(١) الاتجاهات التعصبية، معتز سيد عبد الله، ص ١٠٨.

(٢) التربية إزاء تحديات التعصب والعنف في العالم العربي، علي أسعد وطفة، ٢٠٠٢م، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٤٧-٤٨.

(٣) الاتجاهات التعصبية، معتز سيد عبد الله، ص ٩٤.

تسومهم سوء العذاب وتخضعهم لقوانين جائرة مذلة مهينة تتنافى مع أبسط حقوق الإنسان، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، ففي فتح مكة نادى في قريش: « إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهليَّة وتعاظمها بالآباء، النَّاس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾[الحجرات: ١٣]، ثم قال : يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء »(١).

وهذا صلاح الدين الأيوبي(٢) يوم أن فتح بيت المقدس وبعد ٩٠ سنة من مجزرة الصليبيين حيث ذبحوا في بيت المقدس وحده ٧٠ ألفاً من المسلمين مشى صلاح الدين على سنة رسول الله ﷺ فبذل الأمان لمئة ألف غربي في أنفسهم وأموالهم وأرسل معهم من يوصلهم إلى أماكن الصليبيين في صور وصيدا(٣).

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ٤/٦٠-٦٤. وقد ضعّفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣/١٦٥ رقم ١١٦٣).

(٢) يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر، من أشهر ملوك الإسلام. كردي الأصل، ولد بتكريت، وولي أبوه (أيوب) أعمالا في بغداد والموصل ودمشق. ونشأ هو في دمشق، وتفقه وتأدب وروى الحديث بها وبمصر والإسكندرية، كان له بطولات وجولات في قتال الصليبين وأشهر معاركه : معركة حطين، وفتح بيت المقدس، توفي بدمشق سنة ٥٨٩هـ . انظر : الأعلام للزركلي : (٨/٢٢٠).

(٣) من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، ص١٠٤.

المبحث الثاني: الآثار الاجتماعيَّة والأخلاقية

المطلب الأول : الآثار الاجتماعيَّة

أوّلاً : القتل وسفك الدماء

إن العصبيَّة القبليَّة والنعرات الجاهليَّة أوجدت سلوكيات سوداوية وممارسات دموية خاطئة، فهانت عليهم الحروب وإراقة الدماء وقتل الأنفس لأتفه الأسباب، حتى كانت تثير تلك الحروب والفتن الحوادث البسيطة، فيقع القتل وإزهاق الأرواح وسفك الدماء، ولذلك يجب أن يعلم المسلم حرمة القتل وما يترتب عليه .

إن القتل من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب وأشد الآثام، بل هو أغلظها جميعا بعد الإشراك بالله، وما زال النَّاس منذ تكونوا جماعات وظهر فيما بينهم تعارض الرغبات والشهوات وتمكنت بها في النفوس بواعث التعدي يرون أن جريمة القتل من أكبر الجرائم، وذلك أنها سلب لحياة المجني عليه بغير حق وتيتيم لأولاده، وترميل لنسائه، وحرمان لأهله وأقاربه، وإضاعة لحقوقه، وقطع لأعمال حياته، والحيلولة بينه وبين التوبة والوصايا وغير ذلك وإيصال النَّاس حقوقهم إن كان عليه لهم شيء، وأنت إذا تتبعت المعاصي معصية معصية لا تجد لواحدة منها فسادا يساوي فساد القتل؛ لأن الإنسان إذا مات ومحي من الوجود ذهب كله و لم يبق ناحية من نواحيه وليس ذلك المعنى في أي معصية، ولذلك كانت هذه الكبيرة تلي الشرك بالله، وورد عن أبي موسى رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قال: ((إذا أصبح إبليس بث جنوده فيقول: من أضل اليوم مسلمًا ألبسته التاج. قال: فيجيء هذا فيقول: لم أزل به حتى طلق امرأته، فيقول: يوشك أن يتزوج، ويجيء هذا فيقول: لم أزل به حتى عقَّ والديه، فيقول: يوشك أن يبرهما، ويجيء هذا فيقول: لم أزل به حتى أشرك، فيقول: أنت أنت، ويجيء هذا فيقول: لم أزل به حتى قتل فيقول: أنت أنت، ويلبسه التاج))[(١)][(٢)].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين : (٣٩٠/٤) ، برقم : (٨٠٢٧) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ، ووافقه الذهبي.

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، عبد العزيز =

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾[الإسراء: ٣٣]. قال صاحب الظلال في معرض تفسيره لهذه الآية :

"والإسلام دين الحياة ودين السلام، فقتل النفس عنده كبيرة تلي الشرك بالله، فالله واهب الحياة، وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه وفي الحدود التي يرسمها، وكل نفس هي حرام لا تمس، وحرام إلا بالحق، وهذا الحق الذي يبيح قتل النفس محدد لا غموض فيه، وليس متروكا للرأي ولا متأثرا بالهوى، وقد جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والزاني المحصن، والتارك لدينه المفارق للجماعة))(١)، فأما الأولى فهي القصاص العادل الذي إن قتل نفسا فقد ضمن الحياة لنفوس ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾[البقرة: ١٧٩]؛ حياة بكف يد الذين يهمون بالاعتداء على الأنفس والقصاص ينتظرهم فيردعهم قبل الإقدام على الفعلة النكراء، وحياة بكف يد أصحاب الدم أن تثور نفوسهم فيثأروا ولا يقفوا عند القاتل، بل يمضوا في الثأر، ويتبادلوا القتل فلا يقف هذا الفريق وذاك حتى تسيل دماء ودماء، وحياة بأمن كل فرد على شخصه واطمئنانه إلى عدالة القصاص، فينطلق آمنا يعمل وينتج فإذا الأُمَّة كلها في حياة"(٢).

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾[الإسراء: ٣٣]، قال الشوكاني : "والمراد بالتي حرم الله التي جعلها معصومة بعصمة الدين أو عصمة العهد، والمراد بالحق الذي استثناه هو ما يباح به قتل الأنفس المعصومة في الأصل، وذلك كالردة

=

السلمان، ط٣٠، ١٤٢٤هـ، طبعة خيرية موكل بها إبراهيم العوده، ٥/٧٣.

(١) رواه البخاري، كتاب الديات، باب قوله تعالى : (أن النفس بالنفس...)، برقم : (٦٨٧٨). ومسلم، كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم، برقم : (١٦٧٦).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط١٧، ١٤١٢هـ، ٤/٢٢٢٤.

والزنا من المحصن، وكالقصاص من القاتل عمدا عدوانا وما يلتحق بذلك، والاستثناء مفرغ، أي: لا تقتلوها بسبب من الأسباب إلا بسبب متلبس بالحق، أو إلا متلبسين بالحق، ثم بين حكم بعض المقتولين بغير حق فقال: ومن قتل مظلوما أي: لا بسبب من الأسباب المسوغة لقتله شرعا، فقد جعلنا لوليه سلطانا أي: لمن يلي أمره من ورثته إن كانوا موجودين، أو ممن له سلطان إن لم يكونوا موجودين، والسلطان: التسلط على القاتل إن شاء قتل، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية[١].

لقد جاء في خطبة الوداع بيان حرمة الدماء وعظم شأنها في عموم الأرجاء، وإن إراقتها جريمة نكراء، وعقوبة منتهكها سوء الجزاء، وشبه النبي ﷺ حرمة دماء المسلمين بحرمة الزمان والمكان، وإليك البيان : قال ﷺ في يوم النحر : ((أي يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال : أليس هذا يوم النحر ؟ قلنا : بلى، ثم قال : أي شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ضننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال : أليس هذا ذا الحجة ؟ قلنا : بلى، قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، وستلقون ربكم ويسألكم عن أعمالكم، ألا لا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا هل بلغت ؟ ألا فيبلغ الشاهد منكم الغائب))[٢].

لم يكن هناك دين ولا مذهب أو نظام في تاريخ البشر أشد حرصاً على النفس البشرية وإحاطتها بالرعاية مثلما فعل دين الله عز وجل الذي جعل الحفاظ على النفس من الضرورات الخمس، فصان دم الإنسان وحرم سفكه والاعتداء عليه حتى منذ بدء الخليقة كما في قصة ابني آدم، فقد جاء الإسلام والناس في جاهلية جهلاء يقتل بعضهم البعض لأتفه الأسباب، فأخذ رسول الهدى ﷺ يعلمهم قيمة النفس وكيفية احترام الدماء حتى غرس ذلك

---

(١) فتح القدير، محمد علي الشوكاني، داربن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ، ٢٦٦/٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، برقم : (٤٤٠٦). ومسلم، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، برقم : (١٦٧٩).

في قلوبهم، وإليك هذه الطائفة من الأحاديث التي وردت في تحريم دم المسلم وعظم أمره أضعها بين أيديكم لعظمها فعن عبد الله بن مسعود عن النّبيّ ﷺ قال: « يجيء المقتول متعلّقا بقاتله يوم القيامة، آخذ رأسه بيده فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلني، قال: فيقول، قتلته لتكون العزة لفلان، قال: فإنها ليست له، بوء بإثمه، قال: فيهوى في النار سبعين خريفا »[(١)]، وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « كلّ ذنب عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يموت كافرا، أو الرجل يقتل مؤمنا متعمّدا »[(٢)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة؛ لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله »[(٣)]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النّبيّ ﷺ قال: « أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة »[(٤)].

إن أمر الدماء من أول ما يقضى فيه بين العباد يوم الحساب ووزر من انتهكها يتعدى بحسب من أصابها وعدد من اشترك فيها ولو كان ذلك بمثابة أمة جمعا أو أهل الأرض والسماء فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « أول ما يقضى بين النّاس يوم القيامة في الدماء »[(٥)]، وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن

---

(١) رواه النسائي، كتاب تحريم الدم، باب تعظيم الدم، برقم : (٣٩٩٧). وصححه الألباني . بلفظ : « عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ، فَيَقُولُ: فَإِنَّهَا لِي. وَيَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: إِنَّ هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلَانٍ، فَيَقُولُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِفُلَانٍ فَيَبُوءُ بِإِثْمِهِ " ».

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند : (١١٢/٢٨)، برقم : (١٦٩٠٧). وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط.

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب الديات، باب التغليظ في قتل مسلم، برقم : (٢٦٢٠). وضعفه الألباني جدا.

(٤) رواه الواحدي في التفسير الوسيط : (٩٧/٢). قال الألباني في السلسلة الصحيحة : (٣٠٢/٢)، برقم : (٦٨٩) : « أخرجه محمد بن حمزة الفقيه في " أحاديثه " (ق ٢١٥ / ٢) والواحدي في " الوسيط " (٢/١٨٠/١) والضياء في "المختارة " (١/١٢٧) من طريقين ... قلت: وهذا إسناد صحيح ».

(٥) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، برقم : (٦٥٣٣). ومسلم، كتاب، القسامة باب المجازاة بالدماء في الآخرة، برقم : (١٦٧٨).

رسول الله ﷺ : « لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار »[١]، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما »[٢]، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: « إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها؛ سفك الدم الحرام بغير حله »[٣].

ومما يدل ويؤكد على عظيم حرمة دم المؤمن وعلو شأنه عند الله ما رواه عبد الله بن عمرو قال: « رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول : ما أطيبك وما أطيب ريحك، ما أعظمك وما أعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك؛ ماله ودمه »[٤].

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم امرئ مسلم أن يهريقه، كما يذبح به دجاجة، كلما تعرض لباب من أبواب الجنة حال الله بينه وبينه، ومن استطاع منكم أن لا يجعل في بطنه إلّا طيبا فليفعل؛ فإن أوّل ما ينتن من الإنسان بطنه »[٥].

هذا هو هدي الله ورسوله، فسفك الدماء جريمة عظيمة وإزهاق النفوس على غرار التعصب القبلي الممقوت لا يرضي الله ولا رسوله ولا جماعة المسلمين، فإنه يجر وراءه الكثير

---

(١) رواه الترمذي، أبواب الديات، باب الحكم في الدماء، برقم : (١٣٩٨). وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري، كتاب الديات، باب، برقم : (٦٨٦٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب الديات، باب، برقم : (٦٨٦٣).

(٤) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله، برقم : (٣٩٣٢). وضعفه الألباني، ورواه الترمذي بإسناد آخر في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن برقم : (٢٠٣٢)، بلفظ : «ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك» . وصححه الألباني.

(٥) رواه الطبراني في المعجم الأوسط : (٢٣٣/٨)، برقم : (٨٤٩٥). والمعجم الكبير : (١٦٠/٢)، برقم : (١٦٦٢). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٧/٧)، برقم : (١٢٣٠٢): « رواه الطبراني في الأوسط والكبير، ورجاله رجال الصحيح ».

من المصائب والويلات ويزرع الأحقاد والضغائن ويثير الشقاق والتزاع في الصفوف ويفصم عرى الأخوّة في الدين .

ومن المآسي التي كان سببها التفرقة القبليَّة الأحداث التي وقعت في الصومال من حروب أهلية دارت بين القبائل لعدة سنوات نتج عنها قتل وإبادة مئات الألوف من الرجال والنساء والأطفال حتى وصل أن كل قبيلة تتقاتل في فروعها ويفني بعضها البعض، ونتج عن ذلك دمار البلاد بالكامل كل ذلك في سبيل القبيلة وإعزازها والتفاخر والانتساب لها على الأسس الجاهليَّة، وماذا كانت الغنيمة ؟ الدمار والشتات، و لم تنتصر قبيلة على أخرى، ولا زالوا مصرين على ذلك القتال والشقاق(١).

ثانياً : الاختلاف والفرقة

إنَّ من آثار العصبيَّة القبليَّة ـــ والتي أثَّرت بشكل كبير على بنيان الأخوَّة الإسلاميَّة وتماسكه، الذي به تنجح وتسود، وتكون قدوة للأمم ـــ الاختلاف والتفرق، ولقد أمرنا الله في كتابه الكريم بالحرص على الاجتماع والأخوة والألفة، فكثيراً ما يدعو القرآن الكريم إلى هذا المبدأ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٣]. قال ابن جرير : المعنى وتعلقوا بأسباب الله جميعا، يريد بذلك أن تمسكوا بدينه الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم، في كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله"، والحبل: هو السبب الذي يوصل إلى المراد، ولذلك سمي الأمان حبلا، لأنه يوصل إلى زوال الخوف، والنجاة من الفزع والذعر، ومنه قول أعشى بني ثعلبه :

وإذا تجوزهـا حبـال قبيلـة ❁ أخـذت مـن الأخـرى إليـك حبالهـا

ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[آل عمران: ١١٢]. وقد فسّر حبل الله بأنه الاجتماع على الحق، وفسر بأنه القرآن وعهد الله الذي عهده إلى عباده

(١) الإسلام والعنصرية، قاره، ص١١٣-١١٤.

فيه، وفسر بأنه التوحيد وإخلاص العمل لله تعالى، وقال ابن مسعود : ((حبل الله الجماعة))[(١)]، وروى عن قتادة قال : ((حبل الله المتين الذي أمر أن يعتصم به: هذا القرآن))[(٢)]، وكذا قال مجاهد والضحاك وعطاء وروي عن ابن مسعود، قال: ((إن الصراط محتضر، تحضره الشياطين، ينادون: يا عبد الله هلم هذا الطريق، ليصدوا عن سبيل الله، فاعتصموا بحبل الله؛ فإن حبل الله هو كتابه))[(٣)]، وقال مجاهد: ((حبل الله عهده وأمره))[(٤)]، وقال رسول الله ﷺ : ((كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض))[(٥)]، وقال أبي العالية إنه : "الإخلاص لله وحده"[(٦)].

وهذه الأقوال كلها حق، وليس فيها اختلاف، فحبل الله هو كتابه، ودينه وأمره الذي أمر به عباده، وعهد إليهم به، وهو الذي أمر بالاجتماع عليه، ونهى عن التفرق فيه، والمقصود من ذلك كله أن يوحدوا الله تعالى بالطاعة والعبادة، ويخلصوا له العمل، والاعتصام بحبل الله يتضمن الاجتماع على الحق، والتعاون على البر والتقوى والتناصر على أعداء الله وأعداء المسلمين، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، ولذلك بعد أن أمر الله تعالى بالاعتصام بحبله، وهو الاجتماع على دينه والاحتماء به، أكد ذلك بالنهي عن الفرقة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[آل عمران: ١٠٣]، قال ابن جرير: "يعني ألا تفرقوا عن دين الله وعهده إليكم في كتابه، من الائتلاف والاجتماع على طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ والانتهاء إلى أمره"[(٧)].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره عن عبد الله بن مسعود : (٧١/٧).

(٢) رواه الطبري في تفسيره عن قتاده : (٧١/٧).

(٣) رواه الطبري في تفسيره عن عبد الله بن مسعود : (٧٢/٧) . وصححه أحمد شاكر.

(٤) رواه الطبري في تفسيره عن قتاده : (٧١/٧).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره : (٧/ ٧٢) ، وصححه الألباني في السلسلة : (٥: ٣٧) ، برقم : (٢٠٢٤).

(٦) تفسير الطبري، ٧١/٧.

(٧) ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة، عبد الله محمد الغنيمان، مجلة الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة، عدد ٦٥، =

إن الله تعالى أوجب على المسلمين أن يجتمعوا على دين الحق الذي هو الإسلام وأن يعتصموا بكتاب الله تعالى، وأن تكون وحدتهم عليه، فعليه يجتمعون وبه يتحدون، لا بالقوميات والجنسيات والعصبيات، ونهاهم تعالى عن التفرق والانقسام، بعد الاجتماع والاعتصام بكتاب الله تعالى في التفرق من زوال الوحدة التي هي معقد العز والقوة فبالاجتماع تقوى الأُمَّة، وبالقوة يعتز الحق فيعلو على الباطل، ويحفظ من هجمات المتربصين، ويحمى من كيد الكائدين، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]. فالإسلام هو سبيله، والعصبيات والقوميات هي السبل المشتتة التي تؤدي إلى الضعف والهلاك، والإسلام يأمر بالوفاق، والاتفاق، بين كل من تحكمهم شريعته، وأن يعتصموا بحبل الله جميعا، وقد بددت العصبيَّات القبليَّة العرب قبل الإسلام، فلم يكن لهم شريعة تجمعهم ولا نظام يحكمهم، وحين لجأوا إلى الإسلام نالوا به العزة والسيادة، والسعادة ، ولما سرى سم العصبيَّات الموبوءة التي نقلها متفرنجة المسلمين إليهم، يخادعون بذلك قومهم موهمين بأنهم يريدون النهوض بأوطانهم، وإعلاء شأنهم، أصبح الأمر معكوسا، فلم يجنوا من ذلك سوى الضعف والتفكك، والتفرق الذي مهد السبيل أمام أعدائهم للاستيلاء على خيرات بلادهم، وعلى أفكارهم، وفي النهاية أصبح أعداؤهم يتحكمون فيهم، وإن أوهموهم بأن الأمر بأيديهم(١).

وقد علم كل من يقرأ التاريخ أن المسلمين كلما حادوا عن دينهم، حاق بهم ما وقع بهم في الأندلس وغيره، أن ما وقع للمسلمين قديما وحديثا كله بسبب انصرافهم عن دينهم، فيجب أن يكون ذلك لهم عبرة، فقد أبيدت أمم من المسلمين وسلبت بلادهم، وسبيت نساؤهم وأولادهم، وارتد من بقي منهم في تلك البلاد عن الإسلام كما حصل في الأندلس، بسبب التفكك والاختلاف الذي نهاهم عنه دينهم وحذرهم الله منه على لسان رسوله ﷺ،

=

محرم ١٤٠٥هـ، ص ١٣.

(١) المرجع السابق ص ١٣-١٥.

كما في حديث ثوبان : ((وأني سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من في أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا))[(١)].

ولما كانوا مجتمعين، تسودهم روح الإسلام، ويلتزمون أحكامه، لم يكن العدو يطمع بهم وليس له فيهم منفذ، حتى صاروا هم يدمرون أنفسهم وبلادهم، بتفرقهم، واختلافهم.

ومعرفة الجماعة وأهميتها في الدين، وكذلك معرفة حكم الفرقة وعظيم ضررها مما ينبغي الاعتناء به، وكذلك معرفة منشأ الفرقة وأسبابها، فإن بالفرقة يحصل التلاعن والتباغض والتقاطع، ثم القتال، وهذا أصل محرم في الشرائع كلها التي أنزلها الله على رسله، وإنما ترتكب بظلم النَّاس وجهلهم[(٢)].

لقد جاءت الأحاديث الكثيرة التي يأمر فيها النَّبيّ ﷺ بتسوية الصلاة وبعدم الاختلاف على الإمام؛ لأن ذلك يؤدى إلى اختلاف القلوب، فكان النَّبيّ ﷺ كما في حديث النعمان بن بشير : ((يسوي صفوفنا حتى كأنما يسوي بها القداح حتى رأى أنا قد عقلنا، عنه ثم خرج يوما فقام حتى كاد أن يكبر، فرأى رجلا بادياً صدره من الصف فقال: عباد الله لتسوون صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم))[(٣)].

ومعنى الحديث : أن عدم تسوية الصفوف سبب في وقوع العداوة والبغضاء واختلاف القلوب كما يقال تغير وجه فلان عليّ ، أي : ظهر لي من وجهه كراهية لي ، وتغير قلبه على مخالفتهم في الصفوف مخالفة في الظواهر واختلاف الظواهر سبب الاختلاف

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، برقم : (٢٨٨٩).

(٢) المرجع السابق، ص ١٤.

(٣) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها ...، برقم : (٤٣٦).

البواطن[(١)].

هذا في تسوية الصفوف في الصلاة، وهنا أغلق الرسول ﷺ كل باب يؤدي إلى الاختلاف والفرقة.

الفرقة دائما بلاء يفسد كل عمل صالح ويقطع آثاره ونتائجه، فكيف إذا صاحبها تنازع واختلاف وتباعد وقد نهانا الله أن نسلك مسلك الأمم من قبل وهو التنازع والاختلاف فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. وأخبر سبحانه أن التنازع والخلاف يؤدي إلى الفشل والذهاب الأخوّة الإسلاميَّة وقوتها ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وتلك ثمرة مرة لتنافر القلوب وتباعدها واختلافها على أساس العصبيَّات الجاهليَّة، وتأتي بعدها الفواصل والفوارق وبدلًا من طلب الاقتراب يحصل الافتراق حينها يعيش المجتمع متمزقا متناثرا.

إن التعصب القبلي المبني على الظلم والعداوة ناقض لعرى المودة والإخاء، وقاطع لحبال الصلة والالتقاء التي أمر الله بها في كتابه وسنة نبيه الكريم وجعلها من صفات ومميزات وروابط الأخوَّة الإسلاميَّة .

ولقد استغل أعداء الإسلام الاختلاف والتّفرّق عند أهل السنة، فهؤلاء الرّافضة الصفويون يسعون لعدم اجتماع أهل السنة والجماعة فيما بينهم، ولكن ما نعيشه هذه الأيام من التكاتف والتحالف لمحاربة الرافضة ومن عاونهم من الحوثيين؛ يجدّد للأمّة نصرها واجتماعها، ولعلّ في عاصفة الحزم ـــــ التي اجتمعت فيها دول الخليج العربي وبعض الدول العربية والإسلامية لدحر الرافضة وصدّ نفوذهم وتوسعهم في اليمن ـــــ أكبر دليل على أهميّة الاجتماع والتعاون.

---

(١) شرح النووي على مسلم ١٥٧/٤ .

ثالثاً : الكفاءة في النسب عند النكاح

إن الأعراف القبليَّة تشترط الكفاءة في النسب بين الزوجين ويشددون في ذلك، بل ينكرون على من خالف هذا العرف أو حاول الخروج عنه، والكفاءة من أكثر مظاهر العصبيَّة القبليَّة شيوعاً وانتشاراً فيمنع كثير من القبائل نساءهم من النكاح إلا ممن يكافئهن في النسب، حتى أدى هذا المظهر وهذا الأثر إلى ما يسمى بالطبقية المجتمعية، فيعتقدون أنهم في مرتبة أو درجة نسبية تفوق غيرهم، وأن غيرهم لا يدانيهم نسباً وحسباً وأصالة، ويحتجون في ذلك بالمحافظة على أنسابهم[(١)].

وإذا قالوا أنهم يحافظون على أنسابهم، فإذا كان ذلك لهذا الحد وقصراً على التبرير وحصراً في نطاقه فلا بأس، ولكن على ألا يجر إلى ممنوع غير مشروع فشطر المجتمع إلى قبيلي وغير قبيلي مع وقف التصاهر بينهما ليس تعاوناً على البر والتقوى، أما التخير للنطفة فهو بالتأكد والتحري من صلاح الأسرة وتقواها والأخذ بظاهر النص النبوي والذي يفهم منه قصر التحري على دين الخاطب وخلقه دون التركيز على عائلته وجذره كما ذهب إليه جماعة من الصحابة وأتباعهم من الأئمَّة المجتهدين فمن أتقى الله فلن يضره أن لا قبيلة له ومن زلت به قدمه وهواه في الأوحال فلن تنفعه قبيلته ونسبه شيئا، ولن يكون حينئذ من اختاره قد وفق في التخير لنطفته[(٢)].

وأول المسائل التي تطلب التخير من أجلها وهي الأهم مسائل الدين والعقيدة والصلاح والاستقامة والعرض والشرف والأخلاق الحسنة كالصدق والأمانة وغيرها، وإنما نفهم ما ينسجم مع هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[الحجرات: ١٣]، وقول الرسول الكريم ﷺ : ((تنكح المرأة لأربع : لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين ترتب يداك))[(٣)]، ولم يورد النبي ﷺ الأربع حثاً عليها بل ذكرها؛ لأنها عادة

---

(١) العصبيَّة القبليَّة من المنظور الإسلامي، الجريسي، ص ٩٣-٩٤.

(٢) قبيلة آدم، علي محمد العيسى، مكتبة الحرمين، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ، ص ١٨-٢٣ بتصرف.

(٣) رواه البخاري ، كتاب النكاح ، باب الأكفاء ، برقم : (٥٠٩٠) ومسلم ، كتاب الرضاع ، باب استحباب =

النَّاس والمعتبر عندهم ثم أورد الدين آخرها لأنه موضع اهتمامه ونقطة تعليقه، فلا يكون الحسب والنسب والمال والجمال هو الدافع للشاب على الزواج بل الدين والخلق[1].

وقد اختصر رسول الله ﷺ المقياس الحقيقي والصفات المعتبرة لمن أراد أن ينكح موليته فجعلها في شيئين لا ثالث لهما فقال ﷺ : ((إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه؛ إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد . قالوا : يا رسول الله وإن كان فيه ؟![2] قال : إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه)) ثلاث مرات[3]، ولم يكرّر الرَّسول ﷺ هذا الأمر إلّا لأهميته، وكان الأمر صريحاً .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وكان سبب نزولها ما رواه قتادة وابن عباس ومجاهد أن رسول الله ﷺ خطب زينب بنت جحش وكانت بنت عمه، فظنت أن الخطبة لنفسه فلما تبين أنها لزيد كرهت وأبت وامتنعت فنزلت الآية فأذعنت زينب حينئذ وتزوجته[4]، وهنا نعلم أن القرآن الكريم والسنة الفعلية الثابتة تهمل أمر الكفاءة في النسب .

الكفاءة في النسب عند الفقهاء وأقوال العلماء في ذلك :

ويحسن بنا أن نعرف الكفاءة لغة واصطلاحاً ثم بعد ذلك نوضح معنى الفقهاء لخصال الكفاءة وماهيتها ثم نذكر خلاف العلماء على حكم الكفاءة في النسب والاعتداد بها .

=

نكاح ذات الدين ، برقم : (١٤٦٦).

(١) المرجع السابق ص ١٨ - ٢٣.

(٢) أي شيء من قلة المال او عدم الكفاءة، تحفة الاحوذي، المباركفوري، ٤/٢٠٥.

(٣) رواه الترمذي ، كتاب النكاح ، باب إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه ، برقم : (١٠٨٥) ، وابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب الأكفاء ، برقم : (١٩٦٧). وحسنه الألباني.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٤/١٨٦.

الكفاءة لغة[١]:

المماثلة والمساواة، يقال: فلان كفء لفلان أي مساو له. ومنه قوله ﷺ : ((المسلمون تتكافأ دماؤهم))[٢] أي تتساوى، فيكون دم الوضيع منهم كدم الرفيع. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ٤]. أي لا مثيل له.

واصطلاحاً :

هي كون الزوج نظيراً للزوجة[٣] أي: هي مساواة الرجل للمرأة في أمور مخصوصة، بحيث لا تُعيّر الزوجة ولا أولياؤها بزواجها منه، أو في أمر يوجب عدمه عاراً والعار هنا بمعنى حصول الانتقاد للمرأة أو أوليائها لقبولهم بهذا الزواج مما يوقع ضرراً معنوياً بسمعتهم، لأنهم يتعيرون بأن ينسب إليهم بالمصاهرة من لا يكافئهم[٤].

وخصال الكفاءة المعتبرة عند الفقهاء هي عند المالكية اثنان: وهما الدين والحال، أي السلامة من العيوب المثبتة للخيار، لا الحال بمعنى الحسب والنسب، وعند الحنفية ستة: هي الدين والإسلام والحرية والنسب والمال والحرفة، ولا تكون الكفاءة عندهم في السلامة من العيوب التي يفسخ بها البيع كالجذام والجنون والبرص، والبخر والدفر إلا عند أحمد في الثلاثة الأولى، وعند الشافعية خمسة: هي الدين أو العفة، والحرية، والنسب، والسلامة من العيوب المثبتة للخيار، والحرفة. وعند الحنابلة خمسة أيضا: هي الدين، والحرية، والنسب، واليسار (المال)، والصناعة أي الحرفة، فهم متفقون على الكفاءة في الدين، واتفق غير المالكية على الكفاءة في الحرية والنسب والحرفة، واتفق المالكية والشافعية على خصلة السلامة من العيوب المثبتة للخيار، واتفق الحنفية في ظاهر الرواية والحنابلة على خصلة المال، وانفرد الحنفية بخصلة

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٣٨٩٢/٥ مادة ك ف أ.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر، برقم : (٢٧٥١). وابن ماجه، كتاب الديات، باب المسلمون تتكافأ دماؤهم، برقم : (٢٦٨٣). وصححه الألباني.

(٣) التعريفات، الجرجاني، ص ٢٣٧.

(٤) حقيقة تكافؤ النسب في الزواج، البدراني، ص ٧.

إسلام الأصول[1].

وقد نظم بعضهم ما تعتبر فيه الكفاءة، فقال:

شرط الكفاءة ستة قد حررت ۞ ينبيك عنها بيت شعر مفرد
نسب ودين صنعة حرية ۞ فقد العيوب وفي اليسار تردد

وعند الحنفية نظم العلامة الحموي ما تعتبر فيه الكفاءة، فقال:

إن الكفاءة في النكاح تكون في ۞ ست لها بيت بديع قد ضبط
نسب وإسلام كذلك حرفة ۞ حرية وديانة مال فقط

على أننا في زماننا هذا نرى الكفاءة تكاد تكون منحصرة عند النَّاس في باب المال، فإنه هو الذي يستطيع به الزوج أن يحفظ كرامة المرأة وكرامة أسرها ويمنعها من التبذل والتعرض لما لا يليق بها .

ويعجبني ما قاله الأستاذ مرعي الحنبلي رحمه الله:

قالوا: الكفاءة ستة، فأجبتهم ۞ قد كان هذا في الزمان المبهم
أما بنو هذا الزمان فإنهم ۞ لا يعرفون سوى يسار الدرهم [2]

وإليك مذاهب وأقوال العلماء في اعتبار الكفاءة في النسب[3] :

القول الأول: أنه لا اعتبار بالنسب، وهو قول الإمام مالك رحمه الله ومن وافقه وهو أن المعتبر في الكفاءة الدين، وأنه لا يثبت في اعتبار الكفاءة بالنسب حديث، وجعلوا المسلمين متكافئين لا فرق بين عربيهم وعجميهم .

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، دار الفكر بدمشق، ط٤، ٦٧٤٧/٩.

(٢) الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرَّحمن الجزيري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ، ٥٥/٤.

(٣) انظر كلاً من : الفقه الإسلامي وأدلته، وهبه الزحيلي، ص٦٧٤٧/٩ – الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة بالكويت، مصطلح كفاءة، ٢٦٦/٣٤ – الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة، حسين العوايشة، ١٤٦/٥ – حقيقة تكافؤ النسب في الزواج، البدراني، ص ٧.

أدلة القول الأول:

١- عمومات الأدلة التي تقتضي ذلك ومنها :

قوله تعـالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجـرات: ١٣]، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠]، ولقوله ﷺ : ‹‹ لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي علـى عـربي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، النَّاس من آدم، وآدم من تراب ››[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ‹‹ إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليَّة وفخرهـا بالآبـاء، مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكوننّ أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفهـا الـنتن ››[٢]، وثبت عنه ﷺ أنه قال: ‹‹ إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض ››[٣].

السنة المطهرة :

حديث سهل -رضي الله عنه- قال: ‹‹ مرّ رجل على رسول الله ﷺ، فقال: ما تقولون في هذا ؟ قالوا: حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفّع، وإن قال أن يُسْمَعَ! قال: ثم سكت. فمر رجل من فقراء المسلمين؛ فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفّع، وإن قال أن لا يُسْمَعَ! فقال رسول الله ﷺ : هذا خير من

---

(١) هذان حديثان مركبان في بعض، الأول : رواه الطبراني في المعجم الكبير : (١٢/١٨) برقم : (١٦) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٧٢)، برقم : (٥٦٤١) : « رواه الطبراني في الكبير بأسانيد، هـذا ضـعيف، وتقدم له إسناد صحيح في الخطبة يوم عرفة » . والحديث الثَّاني رواه الإمام أحمد في المسـند : (٤٧٤/٣٨)، برقم : (٢٣٤٨٩). وصححه شعيب الأرناؤوط . بلفظ " يا أيها النَّاس إنَّكم لآدم وآدم من تراب لا فضـل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي إلا بالتقوى ".

(٢) تقدَّم تخريجه ص ٩.

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب النكاح، باب الأكفاء، برقم : (١٩٦٧). وحسنه الألباني.

ملء الأرض مثل هذا))[١]، والحديث في غاية التصريح إلى ما يذهب إليه من يقول باعتبار الكفاءة في الدين والخلق فقط، كذلك فإن النَّبيّ ﷺ لا مكافئ له، وقد تزوج من أحياء العرب، وتزوج صفية بنت حيي رضي الله تعالى عنها، ومن فعله ﷺ فقد زوج النَّبيّ ﷺ زينب بنت جحش الأسدية من زيد بن حارثة مولاه، وزوج فاطمة بنت قيس القرشية من أسامة وهو وأبوه عتيقان، قال الصنعاني في سبل السلام : "وفاطمة قرشية فهريه، أخت الضحاك بن قيس، وهي من المهاجرات الأول، كانت ذات جمال وفضل وكمال، جاءت إلى رسول الله ﷺ بعد أن طلقها أبو عمرو بن حفص بن المغيرة بعد انقضاء عدتها منه، فأخبرته أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباها، فقال رسول الله ﷺ : ((أما أبو جهم؛ فلا يضع عصاه عن عاتقه. وأما معاوية فصعلوك لا مال له. أنكحي أسامة بن زيد ...))[٢] الحديث، فأمرها بنكاح أسامة مولاه ابن مولاه، وهي قرشية، وقدمه على أكفائها ممن ذكر، ولا أعلم أنه طلب من أحد من أوليائها إسقاط حقه، وقد صح أن بلالا نكح هالة بنت عوف أخت عبد الرَّحمن بن عوف رضي الله عنهم، فالمعتبر هو الدين "[٣].

قال في المغني : والرواية الثانية عن أحمد : " أن العرب بعضهم لبعض أكفاء، والعجم بعضهم لبعض أكفاء؛ لأن النبي ﷺ زوج ابنتيه عثمان، وزوج أبا العاص بن الربيع زينب، وهما من بني عبد شمس، وزوج علي عمر ابنته أم كلثوم، وتزوج عبد الله بن عمرو بن عثمان فاطمة بنت الحسين بن علي، وتزوج المصعب بن الزبير أختها سكينة، وتزوجها أيضا عبد الله بن عثمان بن حكيم بن حزام، وتزوج المقداد بن الأسود ضباعة ابنة الزبير بن عبد المطلب ابنة عم رسول الله ﷺ وزوج أبو بكر أخته أم فروة الأشعث بن قيس، وهما كنديان، وتزوج أسامة بن زيد فاطمة بنت قيس، وهي من قريش، ولأن العجم والموالي بعضهم

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب فضل الفقراء، برقم : (٤١٢٠). وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم ، كتاب النكاح ، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها ، برقم : (١٤٨٠).

(٣) سبل السلام، الصنعاني، ٣/٢٥٠.

لبعض أكفاء، وإن تفاضلوا، وشرف بعضهم على بعض، فكذلك العرب"(١).

والحق أن اعتبار النسب في الكفاءة ليس صحيحا، وهو الصحيح ، وبه قالت المالكية؛ لأن مزية الإسلام الجوهرية هي الدَّعوة إلى المساواة، ومحاربة التمييز العرقي أو العنصري، ودعوات الجاهليَّة القبليَّة والنسبية، ولأن انتشار الإسلام بين النَّاس غير العرب إنما كان أساسا لهذه المزية، وإعلان حجة الوداع واضح وهو أن النَّاس جميعا أبناء آدم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى(٢).

القول الثاني: أن الكفاءة في النسب شرط لصحة النكاح، وهي إحدى الروايتين عن أحمد، وهذا القول من مفردات مذهب الحنابلة فمنهم من جعل الأعجمي (غير العربي) ليس كفؤا للعربية، لأن العرب يعتدون بالكفاءة في النسب، ويأنفون من نكاح الموالي ويرون ذلك نقصا وعارا، ويؤيده الحديث في صحيح مسلم: ((إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم))(٣)، ولأن العرب فضلوا على الأمم برسول الله ﷺ وقال ﷺ : ((قريش بعضهم أكفاء لبعض، والعرب بعضهم أكفاء لبعض، حي بحي، وقبيلة بقبيلة، والموالي بعضهم أكفاء لبعض، رجل برجل))(٤)، وحديث: ((خيارهم في الجاهليَّة خيارهم في الإسلام إذا فقهوا))(٥)، وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : ((لا تنكحوا النساء إلا

(١) المغني، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي الحنبلي، مكتبة القاهرة، بدون طبعة، ١٣٨٨هـ، ٣٦/٧.

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته، وهبه الزحيلي، دار الفكر دمشق، ط٤، ٦٧٤٧/٩.

(٣) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، برقم: (٢٢٧٦).

(٤) رواه البزار في مسنده : (١٢١/٧)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : (٢٧٥/٤) : « رواه البزار وسليمان بن أبي الجون لم أجد من ذكره ».

(٥) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى : ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾، برقم : (٣٣٥٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف عليه السلام، برقم : (٢٣٧٨).

الأكفاء، ولا تزوجهن إلا الأولياء ››[١]، وروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النَّبيّ ﷺ قال: ‹‹ تخيروا لنطفكم، وأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم ››[٢]، وروى محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده، أن النَّبيّ ﷺ قال: ‹‹ ثلاثة لا تؤخرها : الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيم إذا وجدت كفؤا ››[٣].

والدليل على اعتبار النسب في الكفاءة، قول عمر - رضي الله عنه -: ‹‹ لأمنعن فروج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء. قال: قلت: وما الأكفاء؟ قال في الحسب ››[٤].

قال في المغني : "واختلفت الرواية عن أحمد، فروي عنه أن غير قريش من العرب لا يكافئها، وغير بني هاشم لا يكافئهم. وهذا قول بعض أصحاب الشافعي؛ لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: ‹‹ إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم ››[٥]، ولأن العرب فضلت على الأمم برسول الله ﷺ وقريش أخص به من سائر العرب، وبنو هاشم أخص به من قريش، وكذلك قال عثمان وجبير بن مطعم : إن إخواننا من بني هاشم لا ننكر فضلهم علينا، لمكانك الذي وضعك الله به منهم. وقال أبو حنيفة لا تكافئ العجم العرب ولا العرب قريشا، وقريش كلهم أكفاء؛ لأن ابن عباس قال: ‹‹ قريش بعضهم أكفاء بعض ››[٦] "[٧].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط : (٦/١)، برقم : (٣). وقال في مجمع الزوائد (٢٧٥/٤)، برقم : (٧٤٤٦) : «وفيه مبشر بن عبيد، وهو متروك».

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب النكاح، باب الأكفاء، برقم : (١٩٦٨). وحسنه الألباني.

(٣) رواه الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في الوقت الأول من الفضل، برقم : (١٧١). وضعفه الألباني.

(٤) رواه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه : (٦/ ١٥٢)، برقم : (١٠٣٢٤). وابن أبي شيبة في المصنف : (٥٢/٤)، برقم : (١٧٧٠٢).

(٥) تقدَّم تخريجه ص ٢٠٧.

(٦) تقدَّم تخريجه ص ٢٠٧.

(٧) المغني، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي الحنبلي، مكتبة القاهرة، بدون طبعة، =

ويقول الشَّيخ بكر أبو زيد في ((عشرون ضماناً لحماية جزيرة العـــرب)) : "إذا كـــان الإسلام قد محا العصبيَّة القبليَّة الممقوتة ؛ فإن المحافظة على سلاسل النسب مطلوبة والمحافظة عل نقاء النطف وأنسابها لا تعني العصبيَّة بحال، وعليه ؛ فينبغي سد منافذ التهجين لأول رائد للإسلام: العرق العربي لتبقى سلاسل النسب صافية من الدخل وملامح العرب سالمة مـــن سحنة العلوج والعجم، صانها الله من تلكم الأذايا والبلايا، واعتبار الكفاءة له آثار حسان في التربية وعزة الدار وقوام الأخلاق ومناهج الشرف "(١).

وقد أمرت الشَّريعة برعاية الكفاءة في الزوج، وذلك أيضا مرحمة بالرجال، وأكثر الأئمَّة المجتهدين أغفلوا لزوم تحري الكفاءة في جانب المرأة للرجل، وأوجبوا أن يكون هـــو فقـــط كفؤا لها كي لا تملكه بفخارها وتحكمها. على أن لرعاية الكفاءة في المرأة للرجـــل أيضـــا موجبات عائلية مهمة منها: التخير للاستسلام والتخير لتربية النسل، وللتســـاهل في ذلـــك دخل عظيم في انحلال الأخلاق في المدن؛ لأن التزوج بمجهولات الأصول أو الأخـــلاق، أو بسافلات الطباع والعادات، أو بالغريبات جنسا أو الرقيقات، مفاسد شتى. لأن الرجل ينجر طوعا أو كرها لأخلاق زوجته، فإن كانت سافلة يتسفل لا محالة، وإن كانت غريبة بغضته في أهله وقومه، وجرته إلى موالاة قومها والتخلق بأخلاقهم، ولا شك أن هـــذه المفســـدة تستحكم في الأولاد أكثر من الأزواج(٢).

القول الثالث: أن الكفاءة حق للزوجة والأولياء، فإذا أسقطوه فلهم ذلـــك والنكـــاح صحيح، وهذا مذهب جمهور الفقهاء ومنهم الحنفية والشافعية وهو المعتمد عند الحنابلـــة – وهو قول وسط بين القولين السابقين وهو الأقرب للصواب – والأدلة على ذلك :

=

١٣٨٨هـ، ٣٦/٧.

(١) خصائص جزيرة العرب، بكر أبو زيد، ط٢، ص ٥٩.

(٢) أم القرى، عبد الرَّحمن أحمد الكواكبي الملقب بالسيد الفراتي، دار الرايـــد العـــربي لبنـــان بـــيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ ص ١٨٠-١٨١.

١- حديث عبد الله بن بريدة، عن أبيه: ((أن فتاة جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته ؟ ! قال: فجعل الأمر إليها، فقالت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن أعلم النساء أنه ليس إلى الآباء من أمر النساء شيء))(١)، ومحل الحجة منه قولها: ليرفع بي خسيسته؛ فإن ذلك مشعر بأنه غير كفء لها، ولا يخفى أن هذا إنما هو من كلامها، وإنما جعل النَّبيّ ﷺ الأمر إليها(٢).

وقد رد أصحاب القول الأول - القائلين بعدم اعتبار كفاءة النسب - على أدلة من قال باعتبار كفاءة النسب :

بأنّ حديث: ((خيارهم في الجاهليَّة خيارهم في الإسلام إذا فقهوا))(٣) : "ليس فيه دلالة على المطلوب؛ لأن إثبات كون البعض خيرا من بعض؛ لا يستلزم أن الأدنى غير كفؤ للأعلى"(٤).

وهكذا حديث: ((إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم))(٥)، وأما ما روي عن علي - رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: ((ثلاث لا يؤخرن: الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيم إذا وجدت لها كفؤا))(٦) فهو ضعيف، وما روي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- "أن النبي ﷺ قال: ((العرب أكفاء بعضهم لبعض، قبيلة لقبيلة، وحي لحي، ورجل

(١) رواه ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب من زوج ابنته وهي كارهة ، برقم : (١٨٧٤) ، وفي الزوائد إسناده صحيح ، وصححه شعيب الأرناؤوط.

(٢) الروضة الندية شرح الدرر البهية، محمد صديق خان، دار المعرفة، ١٤٣/٢.

(٣) تقدَّم تخريجه ص ٢٠٧.

(٤) المرجع السابق.

(٥) تقدَّم تخريجه ص ٢٠٧.

(٦) تقدَّم تخريجه ص ٢٠٧.

لرجل؛ إلّا حائك أو حجام ››[1] فهو موضوع.

وحديث بريدة -رضي الله عنه- قال: ‹‹ جاءت فتاة إلى النبي ﷺ فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته! قال: فجعل الأمر إليها، فقالت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء ››[2]، وهو ضعيف وعلى افتراض ثبوته أقول بما جاء في الروضة : "ومحل الحجة منه قولها: ليرفع بي خسيسته، فإن ذلك مشعر بأنه غير كفء لها، ولا يخفى أن هذا إنما هو من كلامها، وإنما جعل النبي ﷺ الأمر إليها؛ لكون رضاها معتبرا. فإذا لم ترض، لم يصح النكاح، سواء كان المعقود له كفئًا، أو غير كفء. وأيضا هو زوجها بابن أخيه؛ وابن عم المرأة كفء لها"[3]، ؟ وذكروا أثر عمر ﷺ : ‹‹ لأمنعن تزوج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء ››[4]. وقد أخرجه الدار قطني، وفيه انقطاع؛ فإن إبراهيم بن محمد بن طلحة لم يدرك عمر -رضي الله عنه-[5].

والخلاصة : أن أحاديث هذا الرأي فيها ضعف ولا يعتد بها "صحيحها غير صريح، وصريحها غير صحيح، وقال شيخ الإسلام -رحمه الله- في الفتاوى : "وليس عن النبي ﷺ نص صحيح صريح في هذه الأمور عدم اعتبار الكفاءة "[6].

وقال الشافعي: " ولم يثبت في اعتبار الكفاءة بالنسب حديث، وجاء في الفتح : "ولم يثبت في اعتبار الكفاءة بالنسب حديث"[7].

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى ، كتاب النكاح ، باب اعتبار الصنعة في الكفاءة ، برقم : (١٣٧٧٠). وضعفه.

(٢) تقدَّم تخريجه ص ٢٠٩.

(٣) المرجع السابق.

(٤) تقدَّم تخريجه ص ٢٠٧.

(٥) إرواء الغليل حديث رقم ١٨٦٧.

(٦) الفتاوى، ابن تيميَّة، ٢٩/١٩.

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ١٣٣/٩.

وقد أجاب أصحاب القول باعتبار الكفاءة بالنسب على أدلة من قال بعدم اعتبارها :

وردوا عليهم بأن معنى التفاوت والتفاضل موجود حتى في أعراف النَّاس وعاداتهم، فلا شك في أن النَّاس يتفاوتون فيها، فهناك تفاضل في الرزق والثروة : ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ ﴾ [النحل: ٧١]، وهناك تفاضل في العلم يقتضي التكريم : ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة: ١١]، وما يزال النَّاس يتفاوتون في منازلهم الاجتماعيَّة ومراكزهم الأدبية، وهو مقتضى الفطرة الإنسانية، والشريعة لا تصادم الفطرة والأعراف والعادات التي لا تخالف أصول الدين ومبادئه.

والحديث المتقدم: وهو أن بلالا رضي الله عنه خطب إلى قوم من الأنصار، فأبوا أن يزوجوه، فقال له رسول الله ﷺ : « قل لهم: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوجوني »[(١)]، فقد أمرهم النَّبيّ ﷺ بالتزويج عند عدم الكفاءة، ولو كانت معتبرة لما أمر؛ لأن التزويج من غير كفء غير مأمور به.

ويؤكده أن سالـمًا مولى امرأة من الأنصار زوجه أبو حذيفة من ابنة أخيه: هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة وكذلك أمر النَّبيّ ﷺ امرأة قرشية هي فاطمة أخت الضحاك بن قيس، وهي من المهاجرات الأول أن تتزوج أسامة قائلا لها: « انكحي أسامة »[(٢)]، وروى الدار قطني أن أخت عبد الرَّحمن بن عوف كانت تحت بلال، ويدل له: « أن أبا هند حجم النَّبيّ ﷺ في اليافوخ، فقال النَّبيّ ﷺ: يا بني بياضه، أنكحوا أبا هند، وأنكحوا إليه »[(٣)]، ورد على الأحاديث بمعارضتها بأحاديث أخرى تتطلب الكفاءة، فتكون محمولة على الندب والأفضل، وبأن التسوية بين العرب وغيرهم إنما هو في أحكام الآخرة، أما في الدنيا فقد ظهر

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند : (٢٧/ ١١٢) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد : « رواه أحمد ، والطبراني ، وفيه مبارك بن فضالة ، وحديثه حسن ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح ».

(٢) تقدَّم تخريجه ص ٢٠٥.

(٣) رواه أبو داود ، كتاب النكاح ، باب في الأكفاء ، برقم : (٢١٠٢). وحسنه الألباني.

فضل العربي على العجمي في كثير من أحكام الدنيا(١).

والقول الراجح والله أعلم هو القول الثالث وهو قول وسط وفيه جمع بين الأدلة .

رابعاً : العنوسة(٢)

وكما أن العصبيَّة القبليَّة قد اشترطت الكفاءة في النسب فقد أفــرزت أثــراً لا يقــل خطورة، وهو تابع ومتفرع عنها، ألا وهي ظاهرة العنوسة الخطيرة على المجتمع .

إن للعنوسة أخطارًا وآثارًا على المجتمع فالزواج له منافع شرعية مترتبة عليه تتعطــل إذا انتشرت العنوسة كتحقيق السكن والمودة وصرف الغريزة الجنسية وإيجاد الأسرة الصــالحة والنسل الصالح الذي لا يكون إلا بالزواج، وبتعطيله تكثر الأمراض الموجعة والأدواء المعضلة فتظهر الانحرافات في الأخلاق وتتعرض الأعراض للفساد وخاصة في هذا الزمان التي كثرت فيه دواعي الفتنة والطرق الموصلة إليها .

وتعتبر ظاهرة العنوسة من أبرز المشكلات الاجتماعيَّة المعاصرة، ولها خطورة على المجتمع فهي مدخل رئيس لعدد من الأمراض الاجتماعيَّة التي تنخر في جسد المجتمع وتهــدد نمــوه وتطوره، فقد عمت العنوسة في المجتمعات ودخلت في البيوتات وحطمت آمال الكثير مــن الشباب والشابات، ولها مخاطر اجتماعية قاتلة من التفكك الأسري وانتشار الزواج العــرفي والإعجاب والاتجاه إلى حياة الانحلال الخلقي والفواحش.

وإذا أردنا أن نعرف أكثر كيف كان للعصبيَّة القبليَّة أثر بــالغ في ذلــك فلننظــر إلى العادات السيئة عند بعض القبائل في الزواج والتي لازالت أغلب القبائل متمسكة بها ومــن أبرز هذه العادات ما يلي :

---

(١) المراجع السابقة في الأقوال.

(٢) العانس التي بلغت مبلغ الزواج وتقدم بها العمر عن مثيلاتها من النساء، ويطلق على الرجل والمرأة لكنه على المرأة أكثر شيوعا ويطلق على الرجال العزوبة، انظر، لسان العرب ١/٥٩٥.

١ - الحجر على بنت العم :

يقع عند كثير من أسر القبائل حجر البنت على الزواج من ابن عمها وإجبارها على ذلك، وقد يكون هذا الأمر في سنّ مبكرة باتفاق سابق لوقت الزواج، وربما لا يكون ابن العم مناسبًا لهذه البنت سواء من الناحية العلمية أو الوظيفية أو غير مكافئ لها في الأمور الأخرى، ولكن العادة أن لا تعطي البنت عند وجود ابن عم لها، فيحصر الزواج في دوائر ضيقة مع الأقارب والأهل والأقارب .

وقد يتم الزواج للبنت من ابن عمها وهي لا تقبله ولا ترغب فيه وترفضه، وقد يكون رفضها لسبب مقنع ؛ وفي هذا ظلم كبير وجور على الفتاة وكبت لمشاعرها وعواطفها، وبعد ذلك يكون مصيره الطلاق أو عدم الاستقرار ويؤثر على العلاقات والأرحام، وإذا رفضت ابن عمها كان مصيرها البقاء في بيت أبيها والدخول في طابور العنوسة .

٢ - عدم تزويج الفتاة قبل أختها الكبيرة :

ومع شعار « الكبيرة أولاً » التي لازالت كثير من الأسر متمسكة به وإصرار الأب والعائلة على عدم تزويج الفتاة الصغرى قبل الكبرى[١]، وتتضح هذه الظاهرة بوضوح في الأسر التي فيها عدد من الفتيات إذ يحكم عليهن بالانتظار بسبب أختهن الكبرى والتي ربما لم يتقدم لها أحد لأي سبب وبذلك يحكم على بناته كلهن بالعنوسة .

إن بعض الأعراف المعينة التي تلزم الترتيب بين الأخوات في الزواج تسهم في انتشار العنوسة، فربما تقدم أكثر من خاطب للصغيرة وفي أوقات وأزمنة متعددة فيرد بسبب هذا الرتيب والنظام القبلي الجائر .

٣ - عضل الأولياء :

يجب على الأولياء أن يبحثوا عن تزويج مولياتهم وتيسير أمر نكاحهن والنصح لهن بالأكفاء من الرجال وعدم تأخيرها إذا خطبهن كفؤ لهن، والبحث عن الكفء الصالح إذا لم

(١) وهذا تقدير لمشاعر الأخت الكبرى ويقولون من حقها ولكنه أضاع حق الصغرى وحقها.

يأت إليها من الخطاب من يتصف بذلك كما فعل صالح سلف الأُمَّة[١]، لكن من الحث والتوجيه الشرعي[٢] للأولياء يوجد من بعض الأولياء تعنت ومنع لمولياتهم عن النكاح بعضلهن[٣] عن الزواج حيناً وصرفهم عن أسبابه المشروعة حيناً آخر والعضل يكون لأسباب إما عصبيَّة جاهلية وأعراف قبلية أو طمعاً في مالها وراتبها أو خدمتها أو لإكمال تعليمها أو شدة الولي وكثرة شروطه غير المبررة، وهذا كله جور وظلم ويفوتها الزواج الشرعي[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة " فليس للولي أن يجبرها على نكاح من لا ترضاه ولا يعضلها عن نكاح من ترضاه إذا كان كفئاً باتفاق الأئمَّة وإنما يجبرها ويعضلها أهل الجاهليَّة والظلمة"[٥].

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾[النساء: ١٩ - ٢١].

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ ﴾ الآية :

(١) فقد عرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على عثمان بن عفان ثم على أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين، انظر صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب عرض الإنسان ابنته أو أمته على أهل الخير، ١٧٥/٩، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٨٣/٩.

(٢) لحديث " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه ....".

(٣) العضل هو المنع، عضل الرجل أيمه أي منعها من التزويج، الصحاح، الجوهري، ص٤٧٧.

(٤) انظر، تعنيس النساء بعضل الأولياء، د عبد الرَّحمن علي الطريقي، بحث محكم، مجلة العدل، عدد٣١، رجب، ١٤٢٧هـ.

(٥) الفتاوى الكبرى، ابن تيميَّة، ٨٣/٣.

قال ابن عباس: كانوا في الجاهليَّة، إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته من أهلها، إن شاؤوا تزوجها أحدهم، وإن شاؤوا زوجوها من غيرهم، وإن شاؤوا منعوها الزواج، فنزلت الآية في ذلك. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ .. الآية : قال ابن عباس وغيره : هي أيضا في أولئك الأولياء الذين كانوا يرثون المرأة، لأنهم كانوا يتزوجونها؛ إذا كانت جميلة، ويمسكونها حتى تموت، إذا كانت دميمة، وقال نحوه الحسن، وعكرمة(١).

٤ - غلاء المهور وتكاليف الزواج والتَّباهي بها عند بعض القبائل :

إن من أهم المشكلات التي تواجه بعض الشباب الراغبين في الزواج المغالاة في المهور وكثرة النفقات المادية الثقيلة والالتزامات التي يعجز عن تحملها الخاطب في كثير من الأحيان وهي أعراف اجتماعية مستحكمة كهدايا الخطبة والمهر المرتفع ونفقات حفل الزفاف وإقامة الولائم وذبح الذبائح وغير ذلك من النفقات التي تثقل كاهل من يريد العفاف وقد يطمع بعض الأولياء لعدم إدراكهم لقيمة الزواج وأهدافه الأساسية فتجدهم يشترطون لأنفسهم أمورًا زائدة تعطي لهم يفرضها العرف القبلي على الخاطب حتى أصبحت هذه المبالغة واضحة فكلما كان المتقدم بمهر وفير كانت الاستجابة سريعة وكأن هذه الفتاة سلعة تباع وتشترى .

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة : والسنة تخفيف الصداق، وأن لا يزيد على نساء النَّبيّ ﷺ وبناته: فقد روت عائشة رضي الله عنها عن النَّبيّ ﷺ أنه قال: « إن أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة »(٢)، وعن ابن عباس عن النَّبيّ ﷺ قال: « خيرهن أيسرهن صداقا »(٣)،

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٣٩ .

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب بركة المرأة، برقم : (٩٢٢٩) . وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة : (٨/٣٠٤)، برقم : (٩٢٢٩).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير : (١١/٧٨)، برقم : (١١١٠٠)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة : (٨/٧٨)، برقم : (٣٥٨٤).

وخطب عمر بن الخطاب النَّاس فقال: ((ألا لا تغالوا في مهور النساء؛ فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله؛ كان أولاكم النَّبيّ ﷺ؛ ما أصدق امرأة من نسائه ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية))(١).

٥ - عدم السماح بالنظر إلى المخطوبة عند بعض القبائل :

لقد شرع الإسلام رؤية الفتاة قبل خطبتها وأمر بها وجعلها أدعى إلى استمرار النكاح، إلا أن بعض المجتمعات القبليَّة لا تسمح برؤية الفتاة قبل خطبتها، ويجعلون ذلك أمراً مخالفاً لعاداتهم الموروثة والقديمة، وهذا ما كان سببًا في كثير من الخلافات التي تحصل في بعض الزيجات ؛ وذلك لأنّ أن الزوج لم ينظر إلى زوجته ، وبعضها يكون مهدّدًا بالانقطاع، وقد أمر النبي ﷺ بالنظر للمخطوبة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنت عند النبي ﷺ فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله ﷺ : ((أنظرت اليها ؟ قال : لا ، قال : فانظر اليها؛ فإن في أعين الأنصار شيئًا))(٢)، وعن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل))(٣)، وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه خطب امرأة فقال النبي ﷺ : ((انظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما))(٤).

يقول ابن قدامة رحمه الله تعالى : لا نعلم بين أهل العلم خلافاً في إباحة النظر لمن أراد نكاحها(٥).

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب النكاح، باب صداق النساء، برقم : (١٨٨٧). وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزويجها، برقم : (١٤٢٤).

(٣) رواه أبو داود، كتاب النكاح، باب في الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزويجها، برقم : (٢٠٨٢). وحسنه الألباني.

(٤) رواه الترمذي، أبواب النكاح، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة، برقم : (١٠٨٧). وصححه الألباني.

(٥) المغني، ابن قدامه، ٦٩/١٥.

خامساً : التَّفاضل بين الأفراد في القبيلة الواحدة

التعصّب القبلي في ظاهره من الوهلة الأولى يكون حماية لجميع أفراد القبيلة وحفظاً لحقوقهم، إلَّا إن العصبيَّة القبليَّة تعادي الحقوق الفردية، فهي تنكر المساواة بين الأفراد سواء داخل مجتمع القبيلة أو خارجه، ففي داخل مجتمع القبيلة لا يساوى أبناء القبيلة الصرحاء مع غيرهم من الحلفاء والرقيق والمستلحقين في الحقوق والواجبات؛ فإن هؤلاء أدنى منزلة من أولئك(١).

يقول ابن خلدون : (إن الشرف بالأصالة والحقيقة إنما لأهل العصبيَّة فإذا اصطنع أهل العصبيَّة قوماً من غير نسبهم أو استرقوا العبيد والموالي...لا يتجاوز إلى شرفهم، بل يكون أدون منهم على كل حال، وهذا شأن الموالي في الدول والخدمة كلهم)(٢).

المطلب الثاني : الآثار الأخلاقية

أولاً : السخرية والاستهزاء

ومن الآفات الاجتماعيَّة الناشئة عن العصبيَّة القبليَّة السخرية والاستهزاء، وهي محرمة ومنهي عنها، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾[الحجرات: ١١]، فإذا كانت هذه السخرية تؤدي إلى أذية أخيه المسلم فهي حرام، ومعنى السخرية: الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يبحث منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة بالفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء، فأي وسيلة استعملت لأجل الاستهزاء والسخرية وإظهار النقائص والتنبيه عليها، سواء كان بالكلام أو بغمزة العين أو بإخراج

---

(١) العصبيَّة في ضوء الإسلام، المشهداني، ٢٢٠.

(٢) المقدمة، ابن خلدون، ١١٩.

لسانه أو بمحاكاته في الحركة، فكل هذا سخرية[١].

واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع، يعني: لم يرد النهي بصيغة المفرد: لا يسخر رجل من رجل ولا امرأة من امرأة، وإنما جاء بصيغة الجمع: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١]؛ لغلبة وقوع السخرية في المجامع، لأن فيها القابلية للضحك، والتفاعل معه في مثل هذه المجامع يكون أسهل، تجد الواحد إذا كان في وسط مجموعة من الأصدقاء أو شلة من الشباب مثلاً، فإنه يضحكهم، ويكون هناك استعداد أكثر لأن يسخر من أحد ويستحقره، فاختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع؛ ولأنه غالباً يقصد فيه أن يضع من غيره ويرفع من نفسه، وهذا غالباً ما يقع أمام جمع من النَّاس، ولا يكون في حالة الانفراد[٢].

قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١] ... الآية : نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، كان في أذنه وقر، فإذا سبقوه إلى مجلس النَّبيّ ﷺ أوسعوا له إذا أتى حتى يجلس إلى جنبه ليسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النَّبيّ ﷺ فلما انصرف النَّبيّ ﷺ أخذ أصحابه مجالسهم منه، فربض كل رجل منهم بمجلسه، وعضوا فيه فلا يكاد يوسع أحد لأحد، حتى يظل الرجل لا يجد مجلسا فيظل قائما. فلما انصرف ثابت من الصلاة تخطى رقاب النَّاس، ويقول: تفسحوا، تفسحوا، ففسحوا له حتى انتهى إلى النَّبيّ ﷺ وبينه وبينه رجل، فقال له: تفسح، فقال له الرجل: قد وجدت مجلسا فاجلس. فجلس ثابت من خلفه مغضبا، ثم قال: من هذا؟ قالوا: فلان. فقال ثابت: ابن فلانة! يعيره بها، يعني أما له في الجاهليَّة، فاستحيا الرجل. فنزلت) (وقال الضحاك: نزلت في وفد بني تميم، كانوا يستهزئون بفقراء الصحابة مثل

(١) إحياء علوم الدِّين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة، بيروت، ١٣١/٣.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٢١/٨.

عمار، وخباب، وبلال، وصهيب، وسلمان، وسالم- مولى أبي حذيفة-، وغيرهم، لما رأوا من رثاثة حالهم، فترلت في الذين آمنوا منهم)[١].

قال ابن كثير : (ينهى تعالى عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، ... فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدرا عند الله وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له؛ ... وقوله: ولا تلمزوا أنفسكم أي: لا تلمزوا النّاس. والهماز اللماز من الرجال مذموم ملعون ... وقوله: ولا تنابزوا بالألقاب أي: لا تتداعوا بالألقاب، وهي التي يسوء الشخص سماعها. عن الشعبي قال: حدثني أبو جبيرة بن الضحاك قال: ((فينا نزلت في بني سلمة : ولا تنابزوا بالألقاب، قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعي أحد منهم باسم من تلك الأسماء قالوا: يا رسول الله، إنه يغضب من هذا. فترلت: ولا تنابزوا بالألقاب))[٢] [٣].

وعن المعرور قال: ((لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال : إني سابيت رجلا فعيرته بأمه، فقال لي النّبيّ ﷺ : يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم))[٤].

وقال ابن تيميَّة: (الاستهزاء هو: السخرية وهو حمل الأقوال والأفعال على الهزل واللعب لا على الجد والحقيقة، فالذي يسخر بالناس هو الذي يذم صفاتهم وأفعالهم ذما يخرجها عن درجة الاعتبار كما سخروا بالمطوعين من المؤمنين في الصدقات)[٥].

---

(١) تفسير القرطبي ٣٢٥/١٦.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند : (٢٢١/٣٠)، برقم : (١٨٢٨٨). وصححه شعيب الأرناؤوط.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٧٦/٧.

(٤) تقدم تخريجه ص ٧٦.

(٥) الفتاوى الكبرى، ابن تيميَّة ، ٢٢/٦.

ومن صور السخرية والاستهزاء :

الهمز واللمز : وهو أن يعيب الإنسان أخاه في وجهه بكلام ولو خفي، ورب لمز خفي هو أشد من طعن صريح، وأعمق جرحا في داخل النفس؛ لأن فيه بالإضافة إلى الطعن والتجريح بالعيب معنى استغباء الملموز واستغفاله، فكأن اللامز يشعر الذين في المجلس أن الملموز غبي لا يتنبه إلى الطعن الذي يوجه ضده في رمز الكلام، واللمز قبيحة اجتماعية تورث الأحقاد والأضغان، وتقطع أواصر الأخوة الإيمانية، وهو ظلم من الإنسان لأخيه الإنسان، وعدوان على حقه عليه[١].

قال ابن جرير : في قوله سبحانه ولا تلمزوا أنفسكم فجعل اللامز أخاه لامزا نفسه، لأن المؤمنين كرجل واحد فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمره، وطلب صلاحه، ومحبته الخير[٢].

واللمز هو العيب وأصله الإشارة بالعين ونحوها وهو ذكر ما يعده الذاكر عيبا لأحد مواجهة، فهو المباشرة بالمكروه ويكون بحالة بين الإشارة والكلام بتحريك الشفتين بكلام خفي يعرف منه المواجه به أنه يذم أو يتوعد وهذا يصبّ في قالب من يزدري النَّاس وينتقص بهم ويطعن فيهم ويعيب عليهم هو من أشنع الأخلاق وأسوئها[٣].

وأحياناً يكون الهمز واللمز بقبائل وعشائر معينة في صفاتهم وهيئاتهم ولباسهم فتكون أشد تحريماً لكونها على جماعة وليست على فرد واحد .

التنابز بالألقاب : التنابز بالألقاب التي هي مما يؤذي النَّاس وما يدعى به الشخص من لفظ غير اسمه وغير كنيته وهو له كاره ويشعر فيه قصوراً وذماً، فالتنابز يحمل معنى التحقير والإهانة، نهى الله عنه، وجعله من المحرمات، وجعله من الفسوق والظلم، وربما يصل التنابز

(١) الأخلاق الإسلاميَّة، عبد الرَّحمن الميداني، ٢/٢٢٦.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير، ٢٢/٢٩٨.

(٣) مقال بعنوان "الأمراض الستة في سورة الحجرات " أحمد بازز، مجلة البيان عدد١٣٥ ص ٢٢.

بالألقاب إلى مستوى الشتيمة، ومن شأن التنابز بالألقاب أنه يقطع أواصر الأخوة الإيمانية، ويفسد المودات ويولد العداوات والأحقاد، وربما يوصل إلى التقاتل مع ثورات الغضب وهيجان الحماقات(١).

والنبز هو اللقب السوء والمكروه وغالب الألقاب في الجاهليَّة كانت نبزاً واللقب هنا ما أشعر بخسة أو شرف سواءً كان ملقبا به صاحبه أو اخترعه له النابز، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾ [الحجرات: ١١]، أي لا تتنادوا بالألقاب الساخرة مما يطلقه بعضكم على بعض سخرية وتنقيصاً واستهزاءً، والنبز طعن كاللمز، ولذلك قال تعالى بعدها: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [الحجرات: ١١]، أي: بئس ما كنتم تصنعون من التنادي بالأسماء الفاسقة والألقاب الشنيعة مما اعتدتم عليه في الجاهليَّة، فربما يكون همزك ولمزك ونبزك فيمن أحبهم الله، ومن أهل الدرجات العالية وما يدريك فربما طعنت وليًّا من الصالحين قال النَّبيّ ﷺ: « كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره »(٢).

التعيير والتهكم: أن يريد الإنسان ذم رجل وتنقصه وإظهار عيبه لينفر النَّاس عنه إما محبة لإيذائه أو لعداوته أو مخافة من مزاحمته على مال أو رئاسة أو غير ذلك من الأسباب المذمومة فلا يتوصل إلى ذلك إلا بإظهار الطعن فيه بسبب(٣)، وقال الكفوي في معنى التهكم: (هو ما كان ظاهره جدا وباطنه هزلا والهزل الذي يراد به الجد بالعكس ولا تخلو ألفاظ التهكم من لفظة من اللفظ الدال على نوع من أنواع الذم أو لفظة من معناها الهجو)(٤).

---

(١) الأخلاق الإسلاميَّة، الميداني، ٢/٢٢٦.

(٢) رواه الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب البراء بن مالك، برقم: (٣٨٥٤). وصححه الألباني.

(٣) الفرق بين النصيحة والتعيير، زين الدين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب، خرجه وعلق عليه: علي عبدالحميد، دار عمان، عمان، ط٢، ١٤٠٩هـ، ص ٢٥.

(٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة =

أن كل الخطايا والجرائم والآثام الشخصية قد يقال: إن منشأها من السخرية؛ لأنك سخرت منه عندما رأيت نفسك أعلى منه وهو دونك، فاستنقصته فصار هناك الغمز واللمز، وصار هناك الاعتداء وكانت هناك الآثام، (بحسب امرئ مسلم من الإثم أن يحقر أخاه المسلم)(١) ، يكفيه ذنب واحد في الدنيا لهلاكه وتعذيبه وهو الاحتقار، والاحتقار سيؤدي إلى السخرية، إذ السخرية نتيجة الاحتقار، ويحمله ذلك على معصية الله(٢).

أن يحافظ بعضهم على كرامة بعض محافظة دقيقة، لا ينتقصها بسخرية ولا لمز ولا نبز، وأنت إذا أمعنت النظر: رأيت أنّ هذه الثلاثة هي أول أبواب الشر والخصومة بين النَّاس. يستهين أحدهم بأخيه فيهزأ منه، ثم يلمزه ويعيبه، ثم يناديه بلقب يكرهه، فتتولّد من ذلك كراهية وبغضاء، لهذا أدب الله المؤمنين بترك هذه الخصال، وسدّ هذا الباب حتى تظلّ وحدتهم سليمة، وكلمتهم مجتمعة(٣).

وقال في الجامع لأحكام القرآن : من لقب أخاه أو سخر منه فهو فاسق(٤)، وجاء في غذاء الألباب : إن كل من افتخر على إخوانه واحتقر أحدا من أقرانه وأخدانه أو سخر أو استهزأ بأحد من المؤمنين فقد باء بالإثم والوزر المبين(٥)، وقال في الزواجر عن اقتراف الكبائر: لا تحتقر غيرك عسى أن يكون عند الله خيرا منك وأفضل وأقرب(٦).

=

الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ، ص ٣٠٣.

(١) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير (١٥/٤٥٠) (ح ١٧٦٤٤) .

(٢) تفسير سورة الحجرات، عطيه محمد سالم، دروس صوتية مفرغة من موقع الشبكة الإسلاميَّة درس رقم ١٢، ص ٧/٧ http://www.islamweb.net.

(٣) نظرات في كتاب الله، حسن البنا، دار التوزيع والنشر الإسلاميَّة القاهرة، ١٤٢٣هـ، ص ٤٧٥.

(٤) تفسيرالقرطبي، ١٦/٣٢٨.

(٥) السفاريني، ص١٣٤.

(٦) ابن حجر الهيتمي، ٢/٨.

إن السخرية بكل أشكالها قبيحة وغاية في القبح والظلم والعدوان والشناعة، ولها آثارها ومضارها في الفرد وفي المجتمع الإسلامي، فهي تقطع الروابط الاجتماعيَّة القائمة على الأخوة والتواد والتراحم وتبذر بذور الحقد والشحناء، وتولد الرغبة بالانتقام وتورث الأحقاد والأضغان في الصدور، والسخرية تفكك عرى المجتمع وتجعل المستسخر به ناقما على الساخر متربصا به يحاول الانتقام لنفسه، والسخرية داء من أدواء الجاهليَّة يجب تجنبه والبعد عنه، واللامز لأخيه المؤمن الساخر منه، إنما يلمز نفسه ويسخر منها؛ لأن المؤمنين كرجل واحد، والسخرية وما في معناها من الاستهزاء بالضعفاء والمساكين والتحقير لهم والإزراء عليهم، كل ذلك مبعد من الله عز وجل، وعلى الساخر أن يتوقع عقوبته في الدار العاجلة أيضا بأن يحدث له مثل ما حدث للمسخور منه[(١)].

ثانياً : العداوة والبغضاء

إن العداوة والبغضاء ثمرة مرة من ثمرات العصبيَّة القبليَّة، فقد زرعتها وسببت بغض المسلم لأخيه المسلم، كل ذلك لأجل عصبيَّة منتنة حرمها الإسلام بين أفراده، عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا))[(٢)].

وقوله ﷺ : ((ولا تباغضوا)) نهى المسلمين عن التباغض بينهم في غير الله تعالى بل على أهواء النفوس، فإن المسلمين جعلهم الله إخوة، والإخوة يتحابون بينهم ولا يتباغضون، وقال النَّبيّ ﷺ : ((والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تسلموا، ولا تسلموا حتى تحابوا، وأفشوا السلام تحابوا، وإياكم والبغضة، فإنها هي الحالقة، لا أقول لكم تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين))[(٣)]. وقد حرم الله على المؤمنين ما يوقع بينهم العداوة والبغضاء كما قال

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلاميَّة الدرر السنية، مجموعة مؤلفين، ٢٨٦/٢، dorar.net.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، برقم : (٦٠٦٤) . ومسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر، برقم : (٢٥٥٨).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد : (١٠٠/١)، برقم : (٢٦٠). وقال الألباني : حسن لغيره.

تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ ﴾ [المائدة: ٩١].

لقد جعل الله وصف الأخوّة مقابل العداوة حيث جعل ذلك تأليفًا للقلوب وتوافقًا لها قال تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. والعداوة والحقد يقابلها الأخوَّة الإسلاميَّة الصافية من الغل والحقد قال تعالى عن أهل الجنة : ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧ ﴾ [الحجر: ٤٧] ؛ قال في الجامع لأحكام القرآن : والغل : هو الحقد والعداوة(١).

عن أبي سنان الدؤلي: « أنه دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنده نفر من المهاجرين الأولين، فأرسل عمر إلى سفط أتي به من قفلة من العراق، فكان فيه خاتم، فأخذه بعض بنيه فأدخله في فيه، فانتزعه عمر منه، ثم بكى عمر، فقال له من عنده: لم تبكي وقد فتح الله لك وأظهرك على عدوك وأقر عينك؟! فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة. وأنا أشفق من ذلك »(٢).

والعداوة هي : ما يتمكن في القلب من قصد الإضرار والانتقام، وأصله من تجاوز الحد في الشيء .

ومن مساوئ البغض المذموم كراهية النَّاس والحقد عليهم بغير ذنب جنوه، ولهذا كان من تلبس بهذا الوصف مبغوضا عند الله وعند النَّاس، وهو يعمي القلب ويطفئ نور العبادة، ومن سكن قلبه البغض والعداء للناس لا يستطيع أن يعيش بين النَّاس، بل ينطوي على نفسه ويعيش في عزلة، وعلى هذا فهو غريب في كل مجتمع وسبب في تمزيق المجتمع وتفريق كلمة المسلمين، ودليل خبث النفوس ولؤمها قال الشَّاعر:

---

(١) تفسير القرطبي ٣٣/١٠ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند : (٢٥٣/١)، برقم : (٩٣). وضعفه شعيب الأرناؤوط.

بــني عمنـــا إن العــداوة شــأنها ❁ ضــغائن تبقــى في نفــوس الأقــارب [(١)]

لقد قطع الشيطان على نفسه عهداً بالتحريش بين النَّاس؛ ليسبب العداوة بينهم؛ ففــي حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((إن الشيطان قد أيس أن يعبــده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم))[(٢)]، والمعنى أنه يُغيِّر القلوب فيــدخل فيها البغضاء والتقاطع، ويسعى في التحريش بين النَّاس بالخصومات والشحناء، والحــروب، والفتن[(٣)].

ثم يبعث الشيطان سراياه بين النَّاس؛ لإفسادهم؛ كما جاء في حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن عرش إبليس على البحر، فيبعث ســراياه فيفتنــون النَّاس، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة))[(٤)].

العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع المسلم خلق قبيح وتصرف مشين، حذر الإسلام من الوقوع فيه، والعداوة سلوك ينم عن أمراض قلبية خطيرة كــالبغض والكراهيــة والحقــد والحسد، فالعداوة كراهية تصدر عن صاحبها: معاملةٌ بجفاء أو قطيعة أو إضرار.

إن العداوة بين أهل الإسلام لا تأتي إلا بالشر، فهي تنشأ عن البغض والكراهية الشديدة، وتؤدي إلى الفرقة وتعطيل المصالح وتفويتها، وإلى الظلم وهضــم الحقــوق والتفــريط في الواجبات، وإلى محق الحسنات وإحباط أعمال الخير .

العداوة أقبح ما تحمله الصدور، إلا أن الشيطان يزف بها إلى أوليائه، فترى من المخلصين من سُوِّلَ له مباغضة أخيه، وربما فاض موج الضغينة بقلبه وهو ضعيف لا سبيل له للنجــاة

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول، مجموعة مؤلفين، ٤٠٨٣/٩.

(٢) رواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة النَّاس وأن مع كــل إنسان قرينا، برقم : (٢٨١٢).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٦٢/١٧.

(٤) رواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة النَّاس وأن مع كــل إنسان قرينا، برقم : (٢٨١٣).

من زحفها العاصف!! هكذا العداوة تفعل بأصحابها إلى أن تدغر جيوش الموجدة العرمرمة على حصون جوانح النفس، لتملي على المرء قتل خليله، كما فعل قابيل المجرم بأخيه هابيل المسلم، والعداوة من نسل الفرقة، والشتات مبلغها، وأصلها الفاسد، من حب الثناء على الجسد، وإهمال لغة الود، ولفروعها بنات وأولاد، كالظلم والفساد، والحسد والعناد، تتفاقم بسببها بعض التراعات، ملامح الحرب ملامح العداوة، وتجري تحتها أنهار من غضب وأخرى من الحقد الماكر، لا ينفصمان أبدًا(١).

لقد كان من أثر العصبيَّة القبليَّة زرع العداوة والبغضاء بين القبائل واستمرت مع الأبناء لا تكاد تنقطع

سنّ العداوة آباء لنا سلفوا ❁ فلن تبيد وللآباء أبناء

فتجد البغض والكره لمن ليس من قبيلته يجعله يبرز العيوب والمثالب ويسكت عن المحامد وقد قيل :

فعين الرضا عن كل عيب كليلة ❁ كما أن عين السخط تبدي المساويا

وفي مقابل هذا المعنى قيل:

وعين البغض تبرز كلّ عيب ❁ وعين الحب لا تجد العيوبا

وقد قيل : ما رأيت سنانا أنفذ من شماتة الأعداء(٢).

ثالثاً : الهجر والقطيعة

إن من أهم أخطار وأضرار العصبيَّة القبليَّة وقوع التهاجر والتقاطع بين المسلمين حيث يمتد التعصب القبلي ويتطور حتى يفضي إلى أن يهجر بعضهم البعض وتتقطع الصلات بينهم فيكون المجتمع الإسلامي متباعدا بسبب هذه العصبيَّة الجاهليَّة .

---

(١) موقع شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية، رابط المقال http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=13041.

(٢) المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الدين محمد الأبشيهي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ص ٢٢١.

فقد قامت الشَّريعة الإسلاميَّة بنشر المحبة والمودة بين النَّاس ودعت إلى كل ما يؤدي إلى الوصل والتقارب حيث أمر الله بحسن التعامل بين المسلم وأخيه وحدد إطار علاقته مع غيره كذلك ليضمن له العزة وشدد على التآلف والاجتماع، ولكن نتيجة لفساد الزمان وضعف الوازع الديني وانتشار العصبيَّات برزت ظاهرة الهجر والقطيعة بين عموم المسلمين .

الهجر بين المسلمين لحظ النفس، أو على أمر دنيوي محرم لا يجوز، فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث »[(١)]، قال الحافظ أبو عبيد في غريب الحديث " التدابر : المصارمة والهجران مأخوذ من أن يولي الرجل صاحبه دبره، يعرض عنه بوجهه وهو التقاطع"[(٢)] وقال رسول الله ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات؛ دخل النار »[(٣)]، وفي رواية : « فيغفر الله لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا،، إلا امرءًا بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا »[(٤)]، وعلى هذا فلا يجوز الهجران بين المسلمين عند وجود زلة من أحدهما أو على حظوظ قبلية ومنافسة جاهلية بل يجب عليهما صرف هذه الحظوظ والمنافسات والزلات إلى الإحسان والعطف على المخطئ بالإشفاق وترك الهجران والإغضاء عند ورود الزلات وترك المناقشة على الهفوات، وليس كل ذنب يستحق الهجر، ومن ذا الذي سلم من الخطأ غير أنبياء الله ورسله عليهم السلام .

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، برقم : (٦٠٦٥). ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، برقم : (٢٥٥٩).

(٢) غريب الحديث، الحافظ أبو عبيد، ٢/١٠.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم، برقم : (٤٩١٤). وصححه الألباني.

(٤) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، برقم : (٢٥٦٥). بلفظ : «فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم، لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا، إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اتركوا هذين حتى يصطلحا، اتركوا هذين حتى يصطلحا ».

الهجر المحرم يزول بالسلام وبإزالة الوحشة بين المتهاجرين، ولو صالح أحدهما الآخر فلم يقبل منه غفر للمصالح وسقط عنه الإثم ففي مسند الإمام أحمد عن هشام بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا يحل لمسلم أن يهجر مسلما فوق ثلاث ليال، فإن كان تصارما فوق ثلاث فإنهما ناكبان عن الحق ما داما على صرامهما، وأولهما فيئا فسبقه بالفيء كفارته، فإن سلم عليه فلم يرد عليه ورد عليه سلامه؛ ردت عليه الملائكة، ورد على الآخر الشيطان، فإن ماتا على صرامهما؛ لم يجتمعا في الجنة أبدا))(١).

لا بُدَّ أن يعلم المسلمون بأن أعمالهم إذا تقاطعوا وتهاجروا موقوفة لا ترفع، فعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: ((تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد مسلم لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا))(٢).

وقد ربط النبي ﷺ الخيرية والتفضيل لمن يسارع ويسبق أخيه في السلام فعن أبي أيوب الأنصاري، أن رسول الله ﷺ قال : ((لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام))(٣)، وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ : ((لا يكون لمسلم أن يهجر مسلما فوق ثلاثة، فإذا لقيه، سلم عليه ثلاث مرار، كل ذلك لا يرد عليه، فقد باء بإثمه))(٤)، والهجر هو" مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن وإما باللسان وإما بالقلب"(٥).

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند : (١٨٨/٢٦)، برقم : (١٦٢٥٧). قال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، برقم : (٢٥٦٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الهجرة، برقم : (٦٠٧٧). ومسلم، البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، برقم : (٢٥٦٠).

(٤) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم، برقم : (٤٩١٣). وحسنه الألباني.

(٥) المفردات، الراغب الأصفهاني، ص ٨٣٣.

فيجب على المسلم أن يبتعد عن الضغائن والأحقاد والخصومات التي تسببها النزاعات القبليَّة فعن جابر أن رسول الله ﷺ قال: ((تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فمن مستغفر يغفر له، ومن تائب فيتاب عليه، ويترك أهل الضغائن بضغائنهم حتى يتوبوا))(١).

قال ابن حجر في الفتح "استدل بهذه الأحاديث على أن من أعرض عن أخيه المسلم وامتنع من مكالمته والسلام عليه أثم بذلك، لأن نفي الحل يستلزم التحريم ومرتكب الحرام آثم"(٢).

وإذا كان المهجور من ذوي الرحم فإنه كبيرة حتى وإن لم تبلغ المدة ثلاثة أيام؛ لأن الهجر هنا أضيف إليه قطيعة الرحم، وقد عد الإمام الذهبي هجر الأقارب مطلقا من الكبائر " وقال تعالى : ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾ ﴾[محمد: ٢٢ – ٢٣]، وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾[الرعد: ٢٠ - ٢١].

قال رسول الله ﷺ : ((لا يدخل الجنة قاطع رحم))(٣). وعن أبي هريرة، قال: أتى رجل، فقال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، ويسيئون إليَّ وأحسن إليهم، ويجهلون علي، وأحلم عنهم، فقال رسول الله ﷺ : ((لئن كان كما تقول، فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير، ما دمت على ذلك))(٤).

وعن أبي ذر، قال: ((قلت: يا رسول الله أوصني، قال: أوصيك بتقوى الله فإنها رأس

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط : (٢٥١/٧)، برقم : (٧٤١٩)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : (٦٦/٨)، برقم : (١٢٩٦٧) « رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات».

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ٤٩٦/١٠.

(٣) رواه مسلم، كتاب البر وصلة الرحم، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، برقم : (٢٥٥٦).

(٤) رواه مسلم، كتاب البر وصلة الرحم، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، برقم : (٢٥٥٨).

أمرك،... قلت: يا رسول الله زدني، قال: انظر إلى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو فوقك؛ فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك، قلت: يا رسول الله زدني، قال: صل قرابتك وإن قطعوك، قلت: يا رسول الله زدني، قال : لا تخف في الله لومة لائم، قلت: يا رسول الله زدني، قال: تحب للناس ما تحب لنفسك ... ››(١).

وعن عقبة بن عامر، قال: ‹‹ قلت: يا رسول الله، ما فواضل الأعمال ؟ قال: أن تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك ››(٢).

ومن مضار القطيعة قطع الصلة بالله، والبعد عن رضاه وضيق في الرزق وقلة البركة في العمر وصاحبها يكسب سخط الرب وبغض النَّاس وبها تنقطع أواصر العلاقات الاجتماعيَّة بين أفراد المجتمع كله وتخرب الديار العامرة(٣).

رابعاً : الغيبة والنميمة

ومن أقبح الأخلاق التي تهدم بناء الأخوة : الغيبة والنميمة، فقد يتسرع الإنسان ويقول في أخيه المسلم كلاما ينتقده فيه وهو غائب عنه فيبلغ ذلك الكلام إلى الشخص المتكلم فيه فيحمل عليه في قلبه ويقطع صلته به .

وقد انتشرت الغيبة في المجتمع الإسلامي بصورة تنذر بالخطر الذي يقضي على الأخوة ويفكك عرى الروابط بين أبناء الأُمَّة، والغيبة من الآثام التي تنتشر في المجتمع بسرعة ويصعب الخلاص منها على من ألف عليها إلا من آتاه الله الإيمان القوي والتذكر لرقابة الله عز وجل، ونظرًا لذلك فقد شدد الإسلام في النكير عليها والتنفير منها، فقد شبه الله سبحانه

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير : (٢/١٥٧)، برقم : (١٦٥١)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : (٤/٢١٦)، برقم : (٧١١٣) : « رواه الطبراني، وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني وثقه ابن حبان، وضعفه أبو حاتم، وأبو زرعة».

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبرى : (١٧/٢٧٠)، برقم : (٧٤٠). ولم أجد من تكلم فيه بتصحيح أو تضعيف.

(٣) نضرة النعيم من أخلاق الرسول، صفة الهجر، ١١/٥٦٨١.

المغتاب بمن يأكــل لحم أخيه الميت وهذا أمر فظيع تقشعر منه النفوس جميعا، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢].

وليس أبلغ من هذا التشبيه في التنفير عن هذا الإثم القبيح الذي رأينا نتائجه السـيئة في هدم ركن عظيم من أركان النهوض بالأمة إلا وهو الإخاء، وقد شبه النبي ﷺ المغتابين أيضًا بآكلي الجيف تنفيرًا من الغيبة، قال أبو هريرة رضي الله عنه : « جاء مـاعز بـن مالـك الأسلمي فرجمه النبي ﷺ عند الرابعة(١)، فمر به رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه، فقال رجل منهم: إن هذا الخائن (أي الهالك) أتى النبي ﷺ مرارا، كل ذلك يرده، حتى قُتل كما يقتل الكلب، فسكت عنهم النبي ﷺ حتى مر بجيفة حمار شائلة رجله، فقال : كُلاَ من هذا، قالا : من جيفة حمار يا رسول الله ؟! قال: فالذي نلتما من عرض أخيكما آنفـا أكثـر، والذي نفس محمد بيده إنه في نهر من أنهار الجنة ينغمس »(٢).

كما مثّل النبي ﷺ قبح الغيبة بالشيء المحسوس ذي الرائحة الكريهة لينفر النَّاس منـها، روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : « كنا مع النبي ﷺ وارتفعت ريح خبيثة منتنة، فقال : أتدرون ما هذه ؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين »(٣).

وهكذا رأينا الإسلام يشدد في أمر الغيبة لما لها من النتائج الوخيمة في إضعاف الأخـوة وقطع الروابط الاجتماعيَّة، إن الغيبة جبن ونذالة، ولو كان المغتاب يتصـف بشـيء مـن الشجاعة والإخلاص لواجه النَّاس بانتقاده بدلاً من أن يتظاهر أمامهم بالرضى والموافقة، ثم ينتهك أعراضهم في غيبتهم، الأمر الذي يُحدث خللا في الأخوَّة الإسلاميَّة، ولكنه لا يُقدِّر

(١) أي بعد اقراره بنفسه بالزنا للمرة الرابعة.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد : (٢٥٦/١)، برقم : (٧٣٧). وضعفه الألباني.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند : (٩٧/٢٣)، برقم : (١٤٧٨٤) . والبخاري في الأدب المفـرد : (٢٥٥/١)، برقم : (٧٣٢). وحسنه الألباني.

هذه الأخوة ولا يدرك قيمتها .

والغيبة من القبائح الاجتماعيَّة التي لا يليق بالذين آمنوا أن يرتكبوها، فيغتاب بعضهم بعضاً، وقد حرمها الله ونهى عنها، لما فيها من تقطيع أواصر الأخوة الإيمانية، وإفساد المودات، وبذر بذور العداوات، وذلك لأن الغيبة في الغالب لا تبقى سرّاً، بل يصل العلم بها لمن ذكر غيبته بما يكره، فقلَ في النَّاس من يكتم حديثاً، وعندئذٍ يغضب ممن ذكره، ويحقد عليه، وينتقم منه بمثل عمله أو بأقبح منه، وفي نشر معايب النَّاس بين النَّاس تشجيع على الاستهانة بها وارتكاب مثلها أو أقبح منها[١].

أما النميمة فهي أشد هدمًا لبناء الأخوَّة الإسلاميَّة من الغيبة؛ لأن الغيبة قد يصل الكلام فيها إلى من وقعت عليه وقد لا يصل، وإذا لم يصل إليه لم تحصل الفرقة بينهما، أما النميمة فإنها نقل كلام رجل في سب شخص آخر إليه فهي تصل إلى من وقعت عليه قطعا فتعمل عملها في التفريق بين المتحابين، وهي سلاح فتاك أثيم يستعمله أهل الحسد والحقد للتفريق بين من لا يريدون تآلفهم واجتماع شملهم، وكم فرقت من أُسَر وقامت من أجلها الحروب وفاتت بسببها مصالح عظيمة للأمة، ولذلك أمرنا الله سبحانه بالحذر من التسرع في قبول الكلام في الآخرين خصوصا في المسائل المهمة كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ [الحجرات: ٦]، وقد نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبة لما بعثه الرسول ﷺ لجباية صدقات بني المصطلق، فوقع في نفسه الخوف منهم فرجع وادَّعى أنهم منعوا الزكاة، وقد اختلفت الروايات بعد ذلك فروي أنهم استبطؤوا عامل رسول الله ﷺ فأرسلوا وفدا لذلك، وروى أن الرسول أرسل إليهم خالدا بجيش فلم يرَ منهم ما ينكر[٢] .

ومن هنا نعلم مقدار التثبت في قبول الأخبار التي تنقل إلينا حتى نتفادى النتائج السيئة

(١) انظر، الأخوّة في الله حقوق وواجبات، أبو سعد الأثري، ص ١٧-١٨.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٢٣.

التي تسببها الأخبار الكاذبة، وللنميمة تأثير قوي في الفصل بين المتحابين وقلب المودة ولو طال أمدها إلى عداوة ومنافرة، مما جعل بعض العلماء يعدُّها أعظم إفساد للمجتمع من السحر كما روى ابن عبد البر عن يحيى ابن أبي كثير قال "يفسد النمام والكذاب في ساعة مالا يفسد الساحر في سنة "[(١)]، وهذا أمر واضح فالسحر نطاقه ضيق حيث إنه مخصوص بطائفة من النَّاس ولا ينتشر إلا بخفية، أما النميمة فإن باستطاعة كل إنسان قد فسد ضميره وملأ الحقد قلبه لبعده عن التربية الدِّينيَّة الخالصة أن يرتكبها، ومما يسهل انتشارها أن النمام يأتي إلى النَّاس بأسلوب الناصح المرشد الذي ينبههم إلى خطر يدور حولهم، والنفوس ميالة بطبعها إلى التصديق في مثل هذه الأحوال .

وقد ذم الله سبحانه النميمة فجعلها من أعمال الكفار كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾[القلم: ١٠ - ١١]، ونظرًا لفظاعة إثمها وكثرة ضررها توعد النبي ﷺ صاحبها بالحرمان من الجنة كما أخرج الشيخان — واللفظ لمسلم — من حديث همام بن الحارث قال : كان رجل ينقل الحديث إلى الأمير فكنا جلوسا في المسجد، فقال القوم : هذا ممن ينقل الحديث إلى الأمير، قال: فجاء حتى جلس إلينا، فقال حذيفة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل الجنة قتّات » وفي رواية أخرى لمسلم : « لا يدخل الجنة نمّام »[(٢)]، كما أخبر ﷺ بعذاب رجلين في قبريهما وقال : « كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة »[(٣)].

فالنميمة خلق هدام يقطع أوصال المجتمع بالتفريق بين المتآلفين، ولكن مما يوقف انتشارها ويقف حجر عثرة في سبيل النمامين هو أنْ لا نصدق كلامهم، بل نتثبت ونتحرى

(١) فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد ص ٢٦٩ باب ماجاء في بيان شيء من أنواع السحر.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة، برقم : (٦٠٥٦)، كتاب مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تغليظ تحريم النميمة، برقم : (١٠٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، برقم : (٢١٦). ومسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، برقم : (٢٩٢).

الحقيقة، والواقع حتى لانقطع عرى الأخوّة فيما بيننا بسبب هذا الكلام الأثيم .

ولقد وضح النبي ﷺ معالم الغيبة والنميمة وبينهما أكمل بيان فقال في الغيبة : ((تدرون ما الغيبة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال : ذكرك أخاك بما يكره، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته))(١)، وقال في النميمة: ((ألا أنبئكم ما العَضْهْ ؟ هي النميمة القالة بين النَّاس))(٢).

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، برقم : (٢٥٨٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النميمة، برقم : (٢٦٠٦).

المبحث الثالث : الآثار السِّياسيَّة والاقتصاديّة

المطلب الأول : الآثار السِّياسيَّة

أولاً : الحروب القبليَّة

إن العصبيَّة القبليَّة إذا فشت في مجتمع فإنها تدمره، فأساس الشرارة في أغلب الحروب هو الخلافات والنزاعات القبليَّة، وأساس الخصومات والحروب في الدول الإسلاميَّة تكون بسبب قوميات وعصبيات وقبائل، والحقيقة أن أعداء الإسلام إذا أرادوا أن يدمروا أي بلد، فإنهم يرون من خلاف القبائل والقوميات سياسة جديدة لتفتيت العالم الإسلامي، فالمفسدون يسعون إلى استغلال العنصرية القبليَّة والرفع من وتيرتها وإحداث خلافات داخل البيت الإسلامي والدول الإسلاميَّة.

فلقد كانت الخلافات والحروب الأهلية في بلاد المسلمين تقوم على أساس قبلي يزرعه الأعداء لتحقيق انتصاراتهم السِّياسيَّة فأساس الخلاف في أفغانستان المسلمة هو ما بين البشتون والطاجيك زرعه أعداء الإسلام ونفخوا فيه حتى استفحل فيهم وقاموا هم بالإشراف على ذلك والتفرج عليهم .

لقد عم شر القبليَّة في أرض الصومال مدنها وقراها وسهولها وجبالها فاتخذها النَّاس نظاماً وما أسوأه !! وارتضوا بها إماماً زعماؤها وحكامها فتفاقمت الأمور وضاقت الصور وحطت الفوضى رحالها بساحتها، وامتلكت القيادة والإدارة، فالوطن في يدها تلعب به وتقلبه كيف شاءت فخربت الديار واستبيحت الدماء وانتهكت الحرمات ونهبت الأموال وقامت الحروب الأهلية بين القبائل، وصار الوطن شامة سوداء في العالم فالقبيلة هي سبب هذه الحروب الدائمة التي استفاد منها كل عدو لدود أو ماكر حسود(١).

أما الحروب القبليَّة في اليمن فإنّها تخلو من المبادي والأهداف وإنما هي لأجل غايات ومصالح من ولاءات وانتماءات سياسية، ويكون أكثر من يثير هذه الحروب في الأوساط

---

(١) المنح الوهبية في ذم العصبيَّة، شيخ عمر، ص ٨.

القبليَّة غرضه الظهور والبروز والسلطة وبعضها ليس له هدف وإنما يكون من عادات القبائل في الأنفة والكبرياء وعدم قبول الضيم، فهناك حروب دامت خمسة وعشرين عاما من أجل جدي، وهو ذكر المعز الصغير، وكذلك قامت حرب أخرى حصدت إثنين وتسعين قتيلا وعددًا كبيرًا من الجرحى والغرامات بملايين الريالات، والسبب في ذلك أن أحدهم قد رفع صوت المسجل[(١)].

فكثرت الحروب حتى إنَّ نسبة الأرامل والأيتام بلغت في بعض القرى اليمنية خمسا وعشرين بالمئة من إجمالي سكانها، وهناك جهات أجنبيه تقتضي مصالحها السِّياسيَّة العمل على استمرار الوضع الراهن في الأوساط القبليَّة لإيجاد قاعدة شعبية لها للضغط في سبيل تحقيق مصالحها وعلاقاتها الخاصة ببعض القرى المؤثرة من المناطق القبليَّة، ويقول الكاتب : وهنا يكفي أن أقول وبالرغم من أن عمري لم يتجاوز الثلاثين عاما إلا أنني قد فقدت كل أو معظم أصدقائي الذين أحببتهم ووثقت فيهم حيث لا يمر عام إلا ويسقط أحدهم أو اثنان أو أكثر ضحايا الحروب القبليَّة ولعمري إنها مأساة كبيرة[(٢)].

ثانياً : سقوط الدولة الأموية

مارس العديد من خلفاء بني أمية الخطيئة القاتلة حيث أشعلوا نار العصبيَّة القبليَّة وزادوا إضرامها بالتزام هذا الجانب القبلي أو ذاك، الأمر الذي فتت قاعدتهم في بلاد الشام نفسها وشطرها شطرين، أحدهما قيسي ينتمي إلى عرب الشمال، والآخر يمني ينتمي إلى عرب الجنوب، وقد سعى معاوية رضي الله عنه المؤسس مُنذ البدء إلى تلافي هذه المعضلة ونجح في ذلك إلى حد كبير، ولكن أعقابه وبخاصة السلالة المروانية التي تسلمت السلطة عام ٦٤ هـ على يد مروان بن الحكم في أعقاب تلك المعركة القبليَّة العنيفة بين اليمانيين والقيسيين، والتي عرفت باسم مرج راهط، هذه الأسرة مارس معظم خلفائها سياسة قبلية واضحة

(١) القبيلة بين الشَّريعة والقانون، سيف الجوفي، ص٢٧-٣٥.

(٢) المرجع السابق ٣٤-٣٥.

أخذت تتصاعد يوماً بعد يوم، وامتدت تأثيراتها إلى كافة الأقاليم وإلى سائر مساحات الحياة الإدارية والسِّياسيَّة والاقتصاديّة فكانت أحد العوامل الخطيرة في تدمير الوجود الأمـوي في نهاية الأمر، ومنُذ وفاة هشام بن عبد الملك عام (١٢٥ هـ) وحتى سقوط الدولة الأموية عام (١٣٢ هـ) أخذت الأفعال وردود الأفعال القبليَّة تتصاعد وتزداد استشراء، وكانت من بين الثغرات العديدة التي نفذت منها الدَّعوة العباسية لتحقيق أهدافها[١].

ولقد كان لتعصب الأمويين للعرب على الموالي الذين هم من خارج العرب والذين دخلوا في الإسلام عقب الفتح الإسلامي في فارس ومصر والمغرب مما أدى لخروج الموالي على الدولة الأموية فأصبحوا أعداء العرب لتفضيل أنفسهم عليهم وتمتعهم بحقوق لم يتمتع بها الموالي مما هو مخالف لمبادئ الإسلام من المساواة والمؤاخاة التي جاء بها، فكانت العصبيَّة وبالاً على الدولة الأموية بأن حركت الموالي لمعاداتها وتأييد الناقمين عليها فكان ذلك في سقوطها[٢].

لقد كان للعصبيَّة القبليَّة في عهد الدولة الأموية شأن خطير لم يكن له نظير في أي عهد آخر في تاريخ الإسلام، إذ كان لها تأثير بالغ في بلورة الأحداث التاريخية لتلك الفترة حيث وقعت الفتن والحروب القبليَّة في شتى بقاع الدولة ولا سيما في الشام مقر الحكم الأموي، حتى إذا ساد العنف والفوضى لم يجد العباسيون عنتاً في إزالة ملك بني أمية وإقامة دولتهم على أنقاضها، فقد حال استفحال العصبيَّات دون نمو الشعور القومي[٣] الذي يسمو على الشعور العصبي مما كان له أبلغ الأثر في تقطيع الوشائج وإثارة الخصومات والوقائع الدامية بين القبائل، فكانت الحزازات والأحقاد التي توارثها الأبناء من الآباء في مسلكهم

---

(١) الدولة الأمويَّة عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٩هـ، ٥٧٧/٢.

(٢) العصبيَّة في ضوء الإسلام، المشهداني، ٣٣٦ - ٣٣٩.

(٣) ولو قال مؤلف الكتاب الشعور الأخوي الإسلامي لكان خيراً من القومي الذي يوحي بتعصب أيضاً.

وتفكيرهم[١].

ثالثاً : سقوط الدولة العباسية والعثمانية

وإذا كان العامل الأهم في سقوط الدولة الأموية العصبيَّة الأموية للعرب فإن العامل الأهم في سقوط الدولة العباسية عصبيَّة الموالي ضد العرب، حيث قامت الدولة العباسية على أكتاف الموالي وقد بدأت سرية ثم صارت علنية في خراسان عندما ساءت أحوالها بالعصبية المستحكمة بين القبائل النازلة بها[٢].

وكانت عصبيَّة الأتراك الذين اعتمد عليهم المعتصم اعتماداً كلياً وأقصى العرب بل أسقطهم من ديوان العطاء وأسند إلى الأتراك أعلى المناصب وخلع عليهم الهبات والعطايا وآثرهم على العرب والفرس في كل شيء حتى عظم نفوذهم واشتد، بل نصب في أيديهم تولية الخليفة وعزله أو حبسه أو قتله فداخلهم الغرور وارتكبوا كثيراً من أعمال العنف والشدة وآذوا السكان وداسوا بخيولهم في الأسواق والطرقات مما أثار غضب العامة وحنقهم عليهم[٣].

وبالأمس القريب قامت من الدولة العثمانية شبه وحدة إسلامية حيث انتظمت هذه الدولة أكثر بلاد الإسلام حتى أصبحت أكبر دولة في العالم وأصبحت الأمم الأخرى ترهبها، ولطالما حاولت التناوش معها، ولكنها باءت بالفشل والخيبة أمام ذلك البناء القوي المتماسك، فعرفت الدول الغربية أخيرا كيف تضرب على الوتر الحساس حيث أشعلت نار العصبيَّة بين العرب والأتراك فاستجاب بعض العرب لتلك الصيحات الأثيمة، وقادوا أنفسهم إلى الهلاك كما تنقاد الخراف إلى مذابحها، ووثقوا بعدوهم الكافر ناسين قول الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الممتحنة:

---

(١) القبائل العربية في بلاد الشام، د محمد عزب دسوقي، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٨م .ص ٣١٩.

(٢) العصبيَّة في ضوء الإسلام، المشهداني، ٣٣٩.

(٣) انظر، التاريخ، الطبري، ٣٠٥/١٠ ، العصبيَّة في ضوء الإسلام، المشهداني، ٣٤٠.

١]، وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ ﴾ [النساء: ١٤٤]، وتخلقوا بأخلاق المنافقين الذين قال الله عنهم : ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء: ١٣٨ - ١٣٩]، وردّدوا هتافات عدوهم نحو القومية العربية الممقوتة ضد إخوانهم المسلمين، ولو رجعوا إلى دينهم وتعقلوا لعرفوا أن هذه القومية البغيضة أسلاك شائكة تعزلهم عن العالم الإسلامي كله الذي يفتح لهم صدره ويتجه نحوهم ويعدُّهم القادة والموجهين، ولكنه سجن حديدي أحكم إغلاقه أعداء الإسلام بدعاياتهم وخططهم المنظمة ساعدهم في تنفيذ ذلك الرعاع من العرب الذين توصلوا إلى مرتبة القيادة تحت ستار الغفلة والنوم العميق الذي أصاب الأُمَّة العربية منذ قرون(١).

وإن أي مفكر عاقل من العرب ولو كان غير مسلم ليعلم أن الإخاء المشترك الذي يقدمه ملايين المسلمين من غير العرب للعرب هو سلاح قوي بيد العرب لا يمكن أن تملكه أمة من الأمم، وإنها لتستطيع بهذا السلاح أن تستعيد مجدها السابق إذا هي أطفأت نار العصبيَّة وأحلت محلها الإخاء الإسلامي، ولكن دعاة القومية لا يريدون مصلحة العرب الحقيقية وإنما يريدون هدم الإسلام بهذه الدَّعوة فهم أناس مدفوعون أصحاب أغراض سيئة يريدون التوصل إليها من وراء هذه الدَّعوة، ولو فكروا وعقلوا لعرفوا أنهم بهذه الدَّعوة يقدمون أمتهم للانتحار وهم جزء منها، ولكن صوت العقل والفكر لا يتكلم في مثل هذا المجتمع الفوضوي القائم على تأييد الرعاع من صرعى الشبهات وعباد الشهوات(٢).

وكان من نتيجة تلك الصيحات الأثيمة أن انفصمت الوحدة الإسلاميَّة بانفصال العرب عن الأتراك و لم تستطع القومية العربية بعد ذلك أن تجمع العرب تحت راية واحدة؛ لأنها ليست دعوة عالمية وإنما هي عصبيَّة جاهلية تضمر العداء لبني الإنسان الآخرين من بداية

---

(١) انظر، الأخوَّة الإسلاميَّة هي الرَّابطة العالميَّة، د عبد العزيز الحميدي، ٦٤-٦٦.

(٢) المرجع السابق.

الطريق، ولأنها دعوة منحرفة وُجدت في بلاد الإسلام لتردها إلى الجاهليَّة الـتي طهـر الله المسلمين منها .. لتردها إلى الظلام الحالك الذي بددت سحبه الكثيفة أنوار الإسلام الساطعة .. لتردها إلى السجن المؤبد بعدما فتح الإسلام عنها أبواب السجون المعتمة وأخرجهـا إلى عالم النور والحرية .. لتردها إلى عداء إخوانها المسلمين من غير العرب بعدما ضرب الإسلام أوتاد الإخاء الراسية فعمق جذورها وقوى أسسها حتى استعصت علـى عمليـة الإبـادة والاستئصال[١].

إن هذه الدَّعوة العصبيَّة الممقوتة لم تنجح في بلاد العرب؛ لأن هذه البلاد هـي مهـد الإسلام ولم يُردِّدْها ويدعو إليها إلا من ارتد عن إسلامه ليتخذ منها سلاحا يقاوم به هـذا الدين، أو المخدوعين من المسلمين الذين لا يحملون الوعي الإسلامي الذي يُحصـنهم مـن الوقوع في حبائل هذه الدعوات الهدامة، وكان من نتائج هذه الدَّعوة الأثيمـة أن الأتـراك دعوا إلى القومية التركية، وكان الدعاة إلى ذلك هم المنافقين الذين أظهروا الإسلام، وهـم لازالوا على دياناتهم الباطلة أو المرتدين عن الإسلام، ولذلك صاحب هذه الدَّعوة التخلـي عن الإسلام والدعوة إلى الأخذ بمبادئ الحياة الجاهليَّة الغربية، وقويت بعد ذلك الدَّعوة إلى القوميات العرقية المحدودة في كل بلاد الإسلام[٢].

رابعاً : سقوط دولة الأندلس

لقد لعبت العصبيَّة دوراً مهماً في سقوط الأندلس وضياعها من أيدي المسلمين، فبعد أن كانت دولة الإسلام فيها واحدة أصبحت أسر الطوائف سبعاً وعشرين طائفة أو إمـارة أو دويلة تتنافس فيما بينها، فقد أجرم حكام الولايات في الأندلس في حق دينهم وأمتهم عندما حملتهم عصبيتهم لأنفسهم من أن يستشعروا العدو المشترك وما يؤول إليه أمر البلاد والعباد ولكنها العصبيَّة التي أعمت أبصارهم وأغلقت عقولهم فـلا يـرون ولا يفكـرون إلا في مصالحهم ومن كانت هذه صفته في تغليب المصالح الخاصة فإن ما آلت إليه دولة الأنـدلس

---

(١) انظر، الأخوَّة الإسلاميَّة هي الرَّابطة العالميَّة، د عبد العزيز الحميدي، ٦٤- ٦٦.

(٢) المرجع السابق.

نتيجة حتمية[١].

لقد انهارت دولة الأندلس بسبب العنصرية والعصبية تلك الدولة الإسلاميَّة التي وصلت جيوشها إلى حدود باريس بإيمانها وجهادها وتماسكها ووحدتها فأصبحت دولة عظيمة، وعندما تركت مبادئ الإسلام العظيمة من الأخوة والمحبة الإسلاميَّة وحلت محلها العنصرية والعصبية وتفرقت بعد ذلك إلى ولايات كثيرة سلط الله عليها النَّصارى الإسبان فقضوا عليهم وذبحوهم ذبحاً، وآثار هذه الأُمَّة الإسلاميَّة لا تزال حتى الآن في أسبانيا بل لا تزال كتب فقهائها وعلمائها باقية حتى يومنا هذا[٢].

فتحت الأندلس على يد جيش مختلط من العرب والبربر في العقد الأخير من القرن الأول الهجري فلم يلبث الخلاف أن نشب بين العرب أنفسهم فانقسموا إلى يمنية ومضرية، وجرت بينهم حروب، وذلك في العهد المعروف بعهد الأمارة، وفي تلك الظروف قدم المغرب عبد الرَّحمن الداخل فاراً بنفسه من العباسيين فاستقر في المغرب الأقصى يرقب أحوال الأندلس ورأى أن يستغل الخلاف الناشب بين حيّي العرب فمالت إليه اليمنية وحارب بهم المضرية فانتصر عليهم وتولى إمارة الأندلس مجددا بذلك الدولة الأموية بعد سقوطها في المشرق على ما هو معروف[٣].

ونشأ بين العرب والمولدين من فتور العلاقة ما نشأ في المشرق بين المغرب والموالي ولنفس الأسباب التي بعث هذه العصبيَّة العنصرية فتآمروا بالأمير الحكم ابن هشام وكانت وضعة الربض المشهور (حوالي ٢٠١هـ) وأخيراً تزعم المولدين رجل منهم ذو جراءة وإقدام يسمى عمر ابن حفصون واعتصم ببعض القلاع القديمة في جنوب الأندلس ونازل الدولة الأموية[٤].

---

(١) العصبيَّة في ضوء الإسلام، المشهداني، ٣٤٤-٣٤٥.

(٢) الإسلام والعنصرية، عبد العزيز قاره، ١٦٢.

(٣) الإسلام والمشكلة العنصرية، عبدالحميد العبادي، ١٠١-١٠٣.

(٤) المرجع السابق ١٠٢-١٠٣.

ولما تغلب المنصور بن أبي عامر (٣٦٧_ ٣٩٢هـ) على الخلافة واستبد بالأمر استقدم كثيرا من قبائل البربر وأدخلهم بالجيش وقضى بهم على البقية الباقية من نفوذ العرب، وكانوا عدته في حفظ الأمور في داخل الدولة وفي انتصاراته المشهورة على الإسبان، وبذهاب الخلافة الأموية انتشر العقد الذي كانت على كل حال سمته ونظامه، فتقطعت البلاد العناصر المختلفة على هيئة دول كل منها مستغل بنفسه وهو العصر المعروف بعصر ملوك الطوائف فكان منها ما هو بربري كبني حمود بمالقة وبني زيري بغرناطة ومنها ما هو صقلي كالدولة العامرة ببلنسية وجزائر البليار ومنها ما هو عربي كبني هود بسرقسطة وبني جهور بقرطبة وبني عباد بأشبيلية وكان التحارب والتناحر ديدن تلك الدول على ضعف كل منها بذاته حتى قيل إذ ذاك تهكما بتلك الحال :

مما يزهدني في أرض أندلس ❁ أسماء معتصم فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها ❁ كالهر يحكي انتفاخا صورة الأسد [(١)]

وهنا نعلم أن للعصبيَّة دورًا كبيرًا في سقوط وزوال دولة الأندلس حيث العصبيَّة والصراعات بين أفراد الأسرة الواحدة وبداية عصر الطوائف وانقسام الأُمَّة إلى دويلات صغيرة متناحرة متنافرة قد فرقتها العصبيَّة فمزقتها وزادت من ضعفها[(٢)].

ويقول الدكتور أحمد موسى بدوي : " أنا الحقيقة مهتم الآن بقراءة وثيقة الصلة بهذا الموضوع، حيث أنني منهمك في قراءة تاريخ الأندلس، وقد خرجت بخلاصة، وهي: أن المبدأ الإسلامي الخاص بالمساواة بين العناصر والأعراق — لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى - هو مبدأ تم تعطيله تماما في فترات متفاوتة على مر التاريخ الإسلامي، وفي كل مرة كان النعرات العنصرية والقبلية حين تطل برأسها، يحدث انهيار كبير في جسد الدولة الإسلاميَّة والشواهد على ذلك كثيرة، ولكن أكثر ما اندهشت له هو أن تاريخ الدولة الأندلسية، من بداية عصر الولاة، إلى أمراء الدولة الأموية في الأندلس، ثم انتهاء بعصر

---

(١) المرجع السابق، ص١٠٣.

(٢) العصبيَّة في ضوء الإسلام، المشهداني، ٣٤٧.

الدويلات، كان جميعا، تحركه وتتحكم فيه ألوان وأنواع من الصراعات العنصرية والقبيلة، تارة بين العرب والبربر، وتارة بين القيسية واليمنية، وتارة بين البلديين والشاميين وهي معلومات غيبت عنا في نظامنا التعليمي تماما، وشعرت بغيظ شديد وأنا أقرأ معلومات تاريخية تتناقض مع ما قدم لنا في المدرسة، وحتى على مستوى الدراما التاريخية، أو وسائل الإعلام، فكلها رسمت لنا صورة ناصعة البياض عن الأندلس، والأمر يصبح ملحا الآن بضرورة إعادة قراءة التاريخ، لكي نفهم لماذا تخلف العرب عن الغرب، في لحظة كنا نملك كل شيء، وهم لا يملكون سوى التعجب مما وصلنا إليه "(١).

الأندلس هو البلد الذي عاش فيه الإسلام ثمانية قرون، نجد أن أمريكا وبريطانيا وفرنسا، وبعض دول أوروبا، قد نجد أثرًا للمسلمين فيها، أما أسبانيا، فإلى الآن، فأثر المسلمين ضعيف وكأن هذه المدينة، وكأن هذه الدولة لم يعش فيها الإسلام ثمانية قرون متلاحقة، ما السبب في ذلك؟ ولهذه المأساة، بل أثناء هذه المأساة، إن من أسباب سقوط الأندلس: إلغاء الخلافة وبداية عهد الطوائف: عهد الطوائف عهد التفكك، وعهد من السنوات الصعبة من الفرقة والتنافس، والتشتت والضياع، بدأ عندما أعلن أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور، إلغاء الخلافة، بكى المسلمون وتباكى كثير من المسلمين قبل سقوط الأندلس، وممن بكى الأندلس كما تعرفون أبو البقاء الرندي بقصيدته المشهورة، أقرأ لكم بعضا منها، تبين هذه المأساة التي حلَّت بالمسلمين:

لكل شيء إذا ما تم نقصان ❁ فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول ❁ من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد ❁ ولا يدوم على حال لها شان
أين الملوك ذوي التيجان من يمن ❁ وأين منهم أكاليل وتيجان
أتى على الكل أمر لا مرد له حتى ❁ قضوا فكأن القوم ما كانوا

---

(١) مقال " النظام القبلي عند العرب " د محمد الخطيب، د أحمد موسى بدوي، منتدى الكتب الإلكترونية، الرابط : http://www.ejtemay.com/archive/index.php/t-١٦٥٥٠.html.

فجـائع الـدهر أنـواع منوعـة ❁ وللزمـان مسـرات وأحـزان
وللحـوادث سـلوان يسـهلها ومـا ❁ لمـا حـل بالإسـلام سـلوان
دهـى الجزيـرة أمـر لا عـزاء لـه ❁ هـوى لـه أحـد وأنهـد ثهـلان
تبكي الحنيفيـة البيضـاء مـن أسـف ❁ كمـا بكـى لفـراق الإلـف هيمـان
على ديـار مـن الإسـلام خاليـة قـد ❁ أقفـرت ولهـا بـالكفر عمـران
حيث المساجد قـد صـارت كنائس ❁ مـا فـيهن إلا نـواقيس وصـلبان
حتى المحاريب تبكي وهـي جامـدة ❁ حتـى المنـابر ترثـي وهـي عيـدان
يـا غـافلا ولـه في الـدهر موعظـة ❁ إن كنـت في سـنة فالـدهر يقظـان
مـاذا التقـاطع في الإسـلام بيـنكم ❁ وأنـتم يـا عبـاد الله إخـوان
ألا نفـوس أبيَّـات لهـا همـم أمـا ❁ علـى الخـير أنصـار وأعـوان
بـالأمس كـانوا ملوكـا في منـازلهم ❁ واليـوم هـم في بـلاد الكفـر عبـدان
فلـو تـراهم حيـارى لا دليـل لهـم ❁ علـيهم مـن ثيـاب الـذل ألـوان
لمثـل هـذا يـذوب القلـب مـن كمـد ❁ إن كـان في القلـب إسـلام وإيمـان [(١)]

المطلب الثاني : الآثار الاقتصاديّة

أولاً : الغزو والنهب والسلب

لا أحد ينكر أن جين العصبيَّة القبليَّة ما زال مُتوارثاً في النسل العربي، ينتقل من جيل إلى جيل دون تأثره وانكماشه الملموس بتغيرات المعطيات الحياتية الجديدة المتسارعة، والعصبيَّة القبليَّة سمة من سمات الحياة البدوية البدائية التي كانت سائدة في العصور القديمة، في زمن قست فيه الطبيعة على الإنسان في ظلال شح الموارد وسيادة وتقلبات الأحوال المناخية الحارة تارة والباردة تارة أخرى وما بينهما، نظراً لتفشي الجهل وتعطيل العقل عن الاختراعات

(١) انظر، سقوط الأندلس دروس وعبر، ناصر سليمان العمر، موقع صيد الفوائد، الرابط saaid.net/Warathah/alaomar/o16.pdf

والابتكارات لتلبية الحاجات وتسهيل سبل العيش وتنويع مصادر الرزق التي أودعها الله في الأرض بسخاء، وأودع في الإنسان عقلاً ليتفكر ويفكر ويسعى ويعمل ويخترع ويبدع، وانشغل الإنسان في تحصيل الرزق وتلبية حاجات الغرائز في تغييب للعقل وسيادة للغرائز مستلهماً في ذلك شريعة الغاب من عالم الحيوان، فكانت الغزوات بين القبائل من أجل النهب والسلب والسطو[1].

عاش الإنسان العربي قديماً في صحراء قاحلة وفي مجتمع قبلي من الطراز الأول، وسط نزاعات قبلية وصراعات مستمرة، وتفشٍ للجهل والجريمة والقتل والفقر والعوز، وغياب للأخلاق والقيم تحت سيادة قانون العشائر والقبائل التي تفرق بين النَّاس على أساس الانتماء القبلي .

لقد امتهن عرب القبائل في شبه الجزيرة العربية عبر تاريخهم السابق، ومن ثم اللاحق للإسلام الغزو والسلب والنهب، لتأمين لقمة العيش في هذه الصحراء القاحلة والفقيرة بالموارد، وغدت هذه الثَّقافة سلوكا عاما ومهنة لها فرسانها من السالبين والناهبين .

لم يكن الغزو عند العرب ضرباً من اللهو وبديلاً من حياة الفراغ والبطالة وإنما كان ضرورة حيوية ألجأتهم إليها قسوة الطبيعة وقلة الخيرات وأسباب الرزق في بيئتهم، وهو صورة من صور تنازع البقاء في مجتمع فقير مجزأ تتنافر وحداته، ويسعى كل منها في سبيل تحقيق منفعته الذاتية، فإذا شعرت القبيلة بتناقص مواردها أو آنست نضوب مياهها ووقوع الجدب في مراعيها حشدت قواتها وانتهزت غرة بعض القبائل المجاورة لها، لتغير عليها وتستاق ما تجده من نعم وشاء وسبي وتعود إلى حيّها فخورة بالظفر الذي حققته من نهب وسلب الذي حصلت عليه، وكل قبيلة تعد الغزو من مفاخرها التي تعتز بها[2].

والغزو محك لقوة القبيلة واختبار لشجاعة فرسانها، والقبيلة العاجزة عن الغزو لا تحظى

---

(١) العصبيَّة القبليَّة وانعكاساتها على المجتمعات العربية، أحمد إبراهيم عبد الله الحاج، موقع الركن الأخضر، http://www.grenc.com/show_article_main.cfm?id=28626.

(٢) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، النص، ص ٨٣.

في المجتمع القبلي إلا بنظرة الازدراء والاستخفاف، وقد يسطر إعجاب العرب بالقبيلة القادرة على الغزو ودليل على جدارتها بالبقاء في مجتمع يتزاحم على لقمة العيش[1].

ثانياً : تعطيل المرافق العامة للدولة

إنَّ مما يقع بين القبائل من نزاعات وخلافات حول مقرات ومواقع بعض الدوائر والمرافق كالمراكز الصحية والمستشفيات والمدارس وخاصة عند القبائل في القرى والأرياف ، فإن ذلك يؤدي إلى تعطيل أو تأخير هذه المرافق ؛ مما يضعف قدرتها وطاقتها ، وهذا يقع كثيراً ، وقد وقفت بنفسي من خلال لجان إصلاح ذات البين ومن خلال عملي مشرفاً تربويًّا للقضايا على عدد من النزاعات والخلافات حول مواقع مدارس للبنين والبنات ، ومراكز صحية لعدد من القرى والهجر ، وقد يطول هذا الخلاف لسنوات عديدة ويتفاقم ويتضخم لغيرها كذلك ، وفي بعض القضايا لا يرضى أحد الطرفين بأن يكون عند الآخر ، ولا يقبلون بالحل الوسط والذي قد لا يكون مناسباً ؛ لبعد المسافة أو في ظل تمسّك القبائل بمواقعها وأماكنها ، وطلبهم توفير الخدمات والمتطلبات حيث يريدون ، وربما أدّى هذا الخلاف للإضراب ، وعدم إدخال أبنائهم المدارس ، أو عدم مراجعة الدوائر التي لا تكون عندهم ، وربما يتطور ويتفاقم هذا النزاع القبلي إلى التخاصم حول الخدمات والمرافق الحكومية الأخرى مثل المراكز الأمنية والحدائق العامة والطرق المعبدة ، ويزيد الخلاف فيكون عاماً وشاملاً في أغلب القضايا الاجتماعية ؛ مما يزيد في الفرقة والاختلاف ، والله المستعان .

وفي تقرير صحفي " أن مشكلة الإحداثات والتعديات على الأراضي الحكومية بطريقة ملكيات قبائل وحمى أو ما شابه ذلك يعطل المشاريع وخطط التنمية فهناك تخطيط للدولة مثلاً في عمل مجمعات يوجد بها أسواق مركزية وحدائق عامه ومواقع تعليمية أو تكون نواة لجامعه للتعليم العالي مستقبلاً وتكون أراضٍ للإسكان ثم تجد التعصبات القبليَّة تعطل هذه المشاريع النافعة[2].

---

(١) المرجع السابق ٨٤.

(٢) صحيفة سبق الإلكترونية، عدد ١٤٣٢/٧/١٤هـ، http://sabq.org/1pYede.

ثالثاً : زيادة الفقر والبطالة

إن من آثار التعصب القبلي البطالة المتمثلة في المحسوبيات والواسطات التي تكون للقريب وابن القبيلة على حساب الآخرين والبطالة نتاج لسيادة الواسطة في المجتمع والتي جعلت الوظائف متمركزة في فئة معينة من المجتمع فيما تعاني الفئات الأخرى من مشكلة البطالة والفقر وعدم إتاحة الفرصة في ما يتيسر سواء في القطاع الخاص والشركات أو في القطاع الحكومي ، وهنا يغيب شعور الانتماء للوطن ويفقد العاطل عن العمل تقدير ذاته والشعور بالنقص والملل والفراغ وحينها تنشأ أمراض اجتماعية وسياسية أخرى ، وتظهر زيادة الفقر وانتشار العنف الاجتماعي وتتسع الفجوة بين طبقات المجتمع وتظهر سرقة الأموال العامة(١).

إن من أسباب زيادة الفقر وارتفاع نسبة العاطلين عن العمل تلك المعايير والعناصر التي تشترط في المستويات الوظيفية يصاحبها عدم الالتزام بتكافؤ الفرص في التوظيف والتعيين حيث تفتقر إلى معايير العدالة والكفاءة والخبرة والحق العام وإنما تقف على معايير القرابة والعصبية المناطقية والقبلية والتمييز بين الأشخاص على أساس القرابة والقبيلة .

الأعراف والتقاليد القبائلية تؤثر على أبناء القبائل فتنتشر بينهم البطالة ويزداد الفقر، فهناك كثير منهم لا يرضى بأن يمارس بعض الوظائف والأعمال حتى لا يعير بها مثل الوظائف الحرفية والمهنية وقد لا يكون مؤهله الدراسي مناسبًا لغيرها ، وكذلك يزيد معدل الجريمة، فالقبائل تربي ابناءها على الخشونة والاعتزاز بالقبيلة والدفاع عن تقاليدها وعاداتها فيعزز في نفس أفرادها وينالوا من كل من يعتدي على القبيلة وشرفها ونسبها وسمعتها وقد كشفت بعض الاحصائيات أن ٤٠ في المئة من الجرائم في إحدى المدن أثبتت التحقيقات النهائية بأن سببها النزعة القبلية، وأنها كانت دافعاً رئيساً في الإقدام على ارتكابها ، وتشكل الاعتداءات على حدود الأراضي والأملاك بين القبائل أبرز هذه النزاعات والطمع في

(١) مقال بعنوان : الوساطة وأثرها على الفرد والمجتمع ، منتدى الألوكة ، رابط/http://www.alukah.net/publications_competitions/0/55000.

الاستيلاء على الأراضي البيضاء دون تخطيط وتنظيم[١].

وفي دراسة اجتماعية : أن نسق البناء القرابي التقليدي يضع العراقيل في طريق التنمية الصناعية؛ نظراً لأنه يعمل على تشجيع الفرد على الركون الاجتماعيّ الذي توفره له الشبكة القرابية بدلاً عن عمل يكفل له استقلاليته والاعتماد على النفس، وأنه كلما ارتفع معدل التحضر بين الأقارب وأبنائهم العاملين في القطاع الحضري يعمل على تقليل حجم اعتمادهم الاقتصادي على أقاربهم إضافة إلى أن قوة الروابط القريبة التقليدية والتي تبرز في المشاركة في المسكن أو المجاورة والزيارات المتكررة والمتعددة وتبادل المساعدات والهدايا تختل دائماً عندما يتولون إلى نمط الحياة الحضرية والالتزام بالعشيرة يكون عند الأرياف أكثر[٢].

(١) صحيفة عكاظ ، تقرير عن النزاعات القبلية ، عدد رقم ٣٥٥٠ الاثنين ١٤٣٢/٤/٢هـ.

(٢) انظر، التغير الاجتماعيّ والالتزام بالعشيرة دراسة تطبيقية على المجتمع الريفي السعودي، د محمد الأمين نوري، مجلة جامعة أم درمان، عدد ١٥، ١٤٢٩هـ.

الفصل الرَّابع

دور الثَّقافة الإسلاميَّة في توجيه العصبيَّة القبليَّة

وفيه مبحثان :

المبحـــــث الأَوَّل : الدور الوقائي .

المبحـــث الثَّـــاني: الدور العلاجي .

المبحث الأول : الدور الوقائي

لقد أدّت التعاليم والمبادئ الإسلامية العظيمة الواردة في الكتاب والسنة دورها الوقائي في توجيه وإعلاء العصبية القبلية قبل الوقوع فيها ، فتوحّدت العرب في أمة واحدة تظلها الراية الإسلامية والبعد عن صفات ودعاوى الجاهلية ، وفي هذا المبحث سنتطرق إلى تلك الأسس والمبادئ السامية الداعية لنبذ التعصب المقيت .

المطلب الأول : بيان ذم العصبيَّة القبليَّة :

العصبيَّة القبليَّة قضية اجتماعية انتشرت بسببها البغضاء، ومنها انبثقت الأحقاد، ولأجلها رفعت الشعارات الشيطانية، ولها تعددت الحميات العنصرية، وبها تهلك الأُمَّة، فخطرها عظيم فلا يليق بعاقل أن يتخبط خبط عشواء ويستجيب لكل ناعق داعٍ إلى العصبيَّة العمياء، فاللبيب يدرك عواقبها السيئة فيتحاشاها ويبتعد عنها، وأما غير العاقل فليس له قيد يحبسه أو رادع يردعه، فيراها شرفاً كبيراً ومجداً رفيعاً، فيقع في ورطتها بلا تردد وتفكر في عاقبتها فكيف يسعى الإنسان في ما يسخط ربه ويهلك نفسه لإرضاء قبيلته واكتساب محبتهم ومدحهم[(١)].

لقد حسم رسول الله ﷺ مادة العصبيَّة، وسد كل نافذة من نوافذها، واقتلع جذور الجاهليَّة وجراثيمها[(٢)]، فقال ﷺ : « ليس منا من دعا إلى عصبيَّة، وليس منا من قاتل على عصبيَّة، وليس منا من مات على عصبيَّة »[(٣)]، ومعنى قوله ﷺ : « ليس منا من مات على عصبيَّة » المراد بالموت عليها بأن تكون مضمرة في قلبه ومرغوبة عنده وإن لم يدع أحدا و لم يقاتل فيه أحدا[(٤)].

ولقد جاء الإسلام فحذر من الفرقة والاختلاف، ووحد العرب وجمع كلمتهم وجعلهم

---

(١) المنح الوهبية في ذم العصبيَّة، عثمان شيخ عمر، ص١٢-٢٢.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .، أبو الحسن الندوي، ٩٤.

(٣) رواه أبو داود، أبواب النوم، باب في العصبيَّة، برقم : (٥١٢١)، وضعفه الألباني.

(٤) المنح الوهبية في ذم العصبيَّة، عثمان شيخ عمر، ص١٦.

أمة من الأمم، فتحوّلت العرب من قبائل متفرقة إلى أمة مؤتلفة القلوب ترفع توحيد الله، واستأصل الإسلام جذور العصبيَّة القبليَّة وسعى في إخمادها لوقت من الزمن والتخفيف من ويلاتها، فوصفها الرَّسول ﷺ ((بأنها منتنة))[(١)] وحث على تركها وحذر الأُمَّة من أخطارها[(٢)].

وعن أبي بن كعب ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من تعزى بعزاء الجاهليَّة؛ فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا))[(٣)].

قوله من تعزى أي : انتسب وانتمى وقوله : بعزاء الجاهليَّة أي : الدعوى للقبائل وقوله: فأعضوه بهن أبيه والعض : الإمساك علي الشيء بالأسنان . والهن : ذكر الرجل، والمعنى: قولوا له : أعضض بأير أبيك، ولا تكنوا عن الأير بلفظ الهن، تنكيلاً وتأديباً لمن دعا دعوى الجاهليَّة[(٤)]، قال البغوي في شرح السنة وقوله : بهن أبيه يعين ذكره، يريد يقول له : أغضض بأير أبيك، يجاهره بمثل هذا اللفظ الشنيع رداً لما أتى به من الانتماء إلى قبيلته والافتخار بهم اهـ[(٥)]، وقيل: معناه من انتسب وانتمى إلى الجاهليَّة بإحياء سنة أهلها، وابتداع سنتهم في الشتم واللعن والتعيير، ومواجهتكم بالفحشاء والتكبر، فاذكروا له قبائح أبيه من عبادة الأصنام والزنا وشرب الخمر، ونحو ذلك مما كان يعير به من لؤم ورذالة صريحا لا كناية ؛ كي يرتدع عن التعرض لأعراض النَّاس[(٦)].

وقد فعل ذلك أبي بن كعب ﷺ راوي الحديث، فإن سبب هذا الحديث أنه سمع رجلاً قال : يا لفلان، فقال له أبي : اغضض بهن أبيك، ولم يُكَنِّ . فقال الرجل : يا أبا المنذر، ما كنت فحاشاً ! فقال أبي : إني لا أستطيع إلا ذلك عملاً بقول النبي ﷺ : ((من تعزى بعزاء

(١) تقدم تخريجها ص ٣٣.
(٢) العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، خريسات، ص٥.
(٣) رواه الإمام أحمد في المسند : (١٥٨/٣٥)، برقم : (٢١٢٣٤). وحسنه شعيب الأرناؤوط.
(٤) انظر غريب الحديث، أبي عبيد، ٣٠١/١.
(٥) شرح السنه، البغوي، ١٢١/١٣.
(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، على الهروي القاري، ٣٠٦٧/٧.

الجاهليَّة؛ فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا))[١].

عن أبي عقبة – وكان مولى من أهل فارس – قال : شهدت مع رسول الله ﷺ أحـدًا فضربت رجلاً من المشركين فقلت خذها مني وأنا الغلام الفارسي، فالتفت إليَّ رسـول الله ﷺ فقال : ((فهلا قلت : خذها مني وأنا الغلام الأنصاري))[٢]. قال شيخ الإسلام – رحمه الله – حضه رسول الله ﷺ على الانتساب إلى الأنصار وإن كان بالولاء، وكان إظهار هذا أحب إليه من الانتساب إلى فارس بالصراحة، وهي نسبة حق ليست محرمة، ويشبه – والله أعلم – أن يكون من حكمة ذلك أن النفس تحامي عن الجهة التي تنتسب إليها، فإذا كـان ذلك لله كان خيراً للمرء ا هـ[٣].

لقد كانت العصبيَّات القبليَّة متغلغلة ومتمكنة في نفوس المجتمعات الجاهليَّة حيث كانت أساساً لأعرافهم الاجتماعيَّة، وكانت تجري منهم مجرى الدم في العروق؛ لذا لم يكن مـن السهل إلغاء مبادئها أو تصحيح مبادئها بين عشية أو ضحاها، فهي مستشرية كالمرض المزمن الذي تمكن من صاحبه أشد التمكن، فهو يحتاج إلى تدرج في علاجه وإن شفي منه، فغالبـاً ما يترك آثاراً يصعب التخلص منها يصدق ذلك حديث : ((أربع في أمتي من أمر الجاهليَّـة لا يتركونهن : الفخر في الأحسـاب، والطعـن في الأنسـاب، والاستسـقاء بـالنجوم، والنياحة))[٤]؛ لأجل ذلك تدرج الإسلام في علاج العصبيَّة القبليَّة واستبدل الحسن بالسيئ منها، فغرس في النفوس والعقول التعاليم السامية والأخلاق الحسنة والعادات الجميلة ونفـى الأخلاق السيئة والعادات القبيحة[٥].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند : (١٤٢/٣٥)، برقم : (٢١٢١٨). والبغوي في شرح السـنة : (١٢٠/١٣)، برقم : (٣٥٤١). وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة : (٥٣٧/١)، برقم : (٢٦٩).

(٢) رواه أبو داود، أبواب النوم، باب في العصبيَّة، برقم : (٥١٢٣)، وابن ماجه، كتاب الجهاد، باب النيـة في القتال، برقم : (٢٧٨٤) . وضعفه الألباني.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيميَّة، ٢١٩/١.

(٤) تقدَّم تخريجه ص ٧.

(٥) العصبيَّة القبليَّة، الجريسي، ١١٥-١١٦.

المطلب الثاني : ذم حمية ودعوى الجاهليَّة

لقد نهى الله عز وجل عن حمية الجاهليَّة فقال سبحانه : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفتح: ٢٦]، والحمية الأنفة يقال: حميت عن كذا حمية إذا أنفت منه وداخلك عار منه، وقال الراغب: عبر عن القوة الغضبية إذا ثارت وكثرت بالحمية فقيل: حميت على فلان أي غضبت عليه، وقوله تعالى: ﴿ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ بدل من الحمية أي حمية الملة الجاهليَّة أو الحمية الناشئة من الجاهليَّة؛ لأنها بغير حجة وفي غير موضعها(١).

قال شيخ الإسلام : ذم في الحديث من دعا بدعوى الجاهليَّة، وأخبر أن بعض أمر الجاهليَّة لا يتركه النَّاس كلهم ذما لمن لم يتركه، وهذا كله يقتضي أن ما كان من أمر الجاهليَّة وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهليَّة ذم لها، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهليَّة خرج مخرج الذم، وهذا كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فإن في ذلك ذما للتبرج وذما لحال الجاهليَّة الأولى، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة، ومنه قوله لأبي ذر رضي الله عنه لما عير رجلا بأمه : ((إنك امرؤ فيك جاهلية))(٢)، فإنه ذم لذلك الخلق ولأخلاق الجاهليَّة التي لم يجئ بها الإسلام، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح: ٢٦]، فإن إضافة الحمية إلى الجاهليَّة اقتضى ذمها فما كان من أخلاقهم وأفعالهم، فهو كذلك(٣).

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ٢٦٩/١٣.

(٢) تقدم تخريجه ص ٧٦.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيميَّة، ص ٢٣٥/١-٢٣٦.

=

وروى مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر قال: « اقتتل غلامان؛ غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار، فنادى المهاجر يا للمهاجرين، ونادى الأنصاري: يا للأنصار، فخرج رسول الله ﷺ فقال: ما هذا؟ أدعوى الجاهليَّة؟ قالوا: لا يا رسول الله، إلا أنّ غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر، فقال: لا بأس، ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما، إن كان ظالما فلينهه، فإنه له نصر، وإن كان مظلوما فلينصره »[١]، فهذان الاسمان المهاجرون والأنصار اسمان شرعيان جاء بهما الكتاب والسنة وسماهما الله بهما كما سمانا المسلمين من قبل وفي هذا، وانتساب الرجل إلى المهاجرين أو الأنصار انتساب حسن محمود عند الله وعند رسوله، ليس من المباح الذي يقصد به التَّعريف فقط، كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من المكروه أو المحرم، كالانتساب إلى ما يفضي إلى بدعة أو معصية أخرى[٢].

ثم مع هذا لما دعا كل منهما طائفة منتصرا بها أنكر النَّبيّ ﷺ ذلك وسماها دعوى الجاهليَّة حتى قيل له: إن الداعي بها إنما هما غلامان لم يصدر ذلك من الجماعة، فأمر بمنع الظالم، وإعانة المظلوم ليبين النبي ﷺ أن المحذور إنما هو تعصب الرجل لطائفته مطلقا فعل أهل الجاهليَّة، فأما نصرها بالحق من غير عدوان فحسن واجب أو مستحب[٣].

وفي رواية أخرى قال جابر رضي الله عنه: « غزونا مع النَّبيّ ﷺ، وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجل لعّاب، فكسع أنصاريا، فغضب الأنصاري غضبا شديدا حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فخرج النَّبيّ ﷺ، فقال: ما بال دعوى أهل الجاهليَّة؟ ثم قال: ما شأنهم ؟ فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري، قال: فقال النَّبيّ ﷺ: دعوها فإنها خبيثة » وفي رواية : « فإنها

=

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما، برقم : (٢٥٨٤).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيميَّة، ص ٢٤٠-٢٤١.

(٣) المرجع السابق.

منتنة))[١].

ودعوى الجاهليَّة الاستغاثة عند إرادة الحرب كانوا يقولون يا آل فلان فيجتمعون فينصرون القائل ولو كان ظالما فجاء الإسلام بالنهي فقال رسول الله ﷺ : ((أدعوى الجاهليَّة ؟ قالوا : لا، قال: لا بأس، ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما، فإن كان ظالما فلينهه، فإنه له نصر))[٢]، وعرف من هذا أن الاستغاثة ليست حراما وإنما الحرام ما يترتب عليها من دعوى الجاهليَّة[٣].

قال النووي : ومعناه أدعو المهاجرين وأستغيث بهم وأما تسميته ﷺ ذلك دعوى الجاهليَّة فهو كراهة منه لذلك فإنه مما كانت عليه الجاهليَّة من التعاضد بالقبائل في أمور الدنيا ومتعلقاتها وكانت الجاهليَّة تأخذ حقوقها بالعصبات والقبائل، فجاء الإسلام بإبطال ذلك وفصل القضايا بالأحكام الشرعية فإذا اعتدى إنسان على آخر حكم القاضي بينهما وألزمه مقتضى عدوانه كما تقرر من قواعد الإسلام وأما قوله ﷺ وقوله : ((إنها منتنة)) أي خبيثة كريهة مؤذية[٤] .

هذا أبلغ حديث في ذم العصبيَّة الجاهليَّة؛ إذ الانتساب عن دائرة التعبد والاعتزاز بالانتساب لدين الله تعالى، ذم ومقت وأصبح جاهلية مرفوضة، فكيف إذا كان الانتساب إلى ما قد يباح – كالانتساب إلى قبيلة – على وجه يشبه انتساب أهل الجاهليَّة ؟ لا ريب أنه أكثر ذماً وأشد مقتاً[٥].

---

(١) تقدم تخريجها ص ٣٣.

(٢) تقدَّم تخريجه ص ٢٥٣.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ٥٤٧/٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٣٧/١٦.

(٥) الأحاديث النبوية في ذم العنصرية الجاهليَّة، العبدالكريم، ص٢٢.

وقد جاء في الحديث عن النَّبيّ ﷺ أنه قال: « ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهليَّة »(١)، ودعوى الجاهليَّة: هي التمييز بين النَّاس بعناصرهم، فهؤلاء من قبيلة كذا، وهؤلاء من قبيلة كذا، ودعوى الجاهليَّة هذه هي التي قال فيها النَّبيّ ﷺ : « دعوها فإنها منتنة »(٢).

فالإنسان المؤمن لا ينتصر لصاحبه لكونه من أهله أو من قبيلته أو من بلده، فإن هذه من دعوى الجاهليَّة.

وإنما ينصر أخاه ظالما أو مظلوما، فإذا كان له الحق أخذ له، وإذا كان عليه الحق أخذه منه؛ فيكون مع الحق دائما، ولا يكون مع فلان لأنه من بلده، أو قبيلته أو حيه، أو شارعه، فإن هذه من دعوى الجاهليَّة؛ لأنه ينصر صاحبه ولو كان على الباطل؛ دائما المهم كونه من قبيلته أو بلده(٣).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : انتهيت إلى النبي ﷺ في قبة من أَدَم، فقال : « من نصر قومه على غير الحق ؛ فهو كالبعير الذي ردي، فهو يترع بذنبه »(٤) قولهُ يترع : يعالج ويحاول أن يخرج عنها . والمعنى : أن من نصر قومه على غير الحق فقد أوقع نفسه في الهلكة بتلك النصرة الباطلة، حيث أراد الرفعة بنصرة قومه، فوقع في حضيض بئر الإثم، وهلك كالبعير، فلا تنفعه تلك النصرة كما لا ينفع البعير نزعه عن البئر بذنبه، وقيل : شبه النبي ﷺ القوم ببعير هالك، لأن من كان على غير حق فهو هالك، وشبه ناصرهم بذنب هذا البعير، فكما أن نزعه بذنبه لا يخلصه من الهلكة، كذلك هذا الناصر لا يخلصهم عن بئر الهلاك التي

---

(١) رواه البخاري، كتاب، باب : ليس منا من شق الجيوب، برقم : (١٢٩٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب، برقم : (١٠٣).

(٢) تقدم تخريجها ص ٣٣.

(٣) شرح رياض الصالحين، أحمد حطيبه، .http://www.islamweb.net

(٤) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في العصبيَّة، برقم : (٥١١٧- ٥١١٨)، وصححه الألباني.

وقعوا فيها اهـ[١].

وعن جابر بن عبد الله ﷺأن النبي ﷺ خطب في حجة الوداع يوم عرفة فقال : ((... ألا كل شيء من أمر الجاهليَّة تحت قدمي موضوع ..))[٢] قال شيخ الإسلام: وهذا يدخل فيه ما كانوا عليه من العادات والعبادات، مثل دعواهم يا لفلان، ويا لفلان، ومثل أعيادهم، وغير ذلك من أمورهم ا هـ[٣].

وذكر السيوطي هذه القصة العجيبة ونذكرها كاملة هنا للفائدة وهي أنه كما جاء في السير : "مر شاس بن قيس – وكان شيخا قد عسا في الجاهليَّة عظيم الكفر شديد الضِّغْنِ على المسلمين، شديد الحسد لهم – على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهليَّة، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شابا معه من يهود فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث، وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ففعل، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب أوس بن قيظي أحد بني حارثة من الأوس، وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم – والله – رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا، وقالوا: قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة والظاهرة الحرة، فخرجوا إليها وانضمت الأوس بعضها إلى بعض والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهليَّة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم، فقال: ((يا معشر المسلمين الله الله، أبدعوى الجاهليَّة

---

(١) مرقاة المفاتيح، قاري، ٣٠٧٦/٧.

(٢) رواه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، برقم : (١٢١٨).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيميَّة، ص٣٠٥.

وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهليَّة، واستنقذكم به من الكفر، وألّف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا ››(١)، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوه لهم فألقوا السلاح، وبكوا وعانق الرجال بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس وأنزل الله في شأن شاس بن قيس وما صنع : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [آل عمران: ٩٨]، إلى قوله : ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران: ٩٩]، وأنزل في أوس بن قيظي وجبار ابن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [آل عمران: ١٠٠]. إلى قوله : ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥](٢).

المطلب الثالث : ذم التَّفاخر بالآباء والأجداد

إن من الأخلاق التي يتخلق بها المتعصبون التَّفاخر والتعاظم بالآباء والأجداد، فيذكرون محاسن أصولهم من شجاعة وفصاحة ورئاسة وغلب وغير ذلك مما يعتقدون أنها مجد وشرف لهم، يصاحب ذلك شتام وسباب وانتقاص وتحقير لغيرهم، وقد نهى رسول الله ﷺ عن التَّفاخر بالآباء والأجداد، وأنزل في ذلك قرآناً يبين للناس بأن الأكرم والحاسب هو التقي دون النظر لمن هو أكثر نفراً وولداً وجنوداً وأموالاً أو أشد منعة وقوة أو أبهج حسناً وجمالاً وغير ذلك مما يفتخر به النَّاس عادة وطبعاً(٣).

قال الله تعالى : ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ [التكاثر: ١]، وقد نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما : فيكم مثل فلان بن

---

(١) تقدَّم تخريجه ص ٧.

(٢) تفسير الدر المنثور، عبد الرَّحمن بن الكمال أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ٢/٢٧٩.

(٣) المنح الوهبية في ذم العصبيَّة، عثمان شيخ عمر، ٣٣.

فلان وفلان ؟ وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء ثم قالوا : انطلقوا بنا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين تقول : فيكم مثل فلان ؟ يشيرون إلى القبور ومثل فلان، وفعل الآخرون مثل ذلك فأنزل الله : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: ١ - ٢]؛ لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل[1].

ومعنى الفخر في الأحساب أي : الشرف بالآباء والتعاظم بعد مناقبهم ومآثرهم وفضائلهم، وذلك جهل، فلا فخر إلا بالطاعة، ولا عز لأحد إلا بالله والأحساب جمع حسب، وهو ما يعده المرء من الخصال له، أو لآبائه من نحو شجاعة وفصاحة[2]، وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى ذكره قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليَّة وفخرها بالآباء، ومؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوامٍ إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون علي الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن »[3]، قوله : « عُبِّيَّةَ الجاهليَّة » : نخوتها، والعُبية : الكبر والفخر والنخوة[4].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب النَّاس يوم فتح مكة، فقال : « يا أيها النَّاس إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليَّة وتعاظمها بآبائها، فالناس رجلان : بر تقي كريم علي الله، وفاجر شقي هين علي الله، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب قال الله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣﴾ [الحجرات: ١٣] »[5].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/٤٤٤.

(٢) فيض القدير، المناوي، ١/٤٦٢.

(٣) تقدَّم تخريجه ص ٩.

(٤) انظر، تاج العروس، الزبيدي، ٣/٣٠٣.

(٥) رواه الترمذي، أبواب تفسير القرآن الكريم، باب: ومن سورة الحجرات، برقم : (٣٢٧٠)، وصححه الألباني.

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((.. ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه))[١]، قوله : ((من بطأ به عمله)) أي من أخره عمله وجعله بطيئاً عن بلوغ درجة السعادة، لكون عمله سيئاً، أو كونه فرّط في العمل الصالح ((لم يسرع به نسبه)) أي : لم يقدمه نسبه إذ لا يحصل التقرب إلى الله تعالى بالنسب بل بالأعمال الصالحة[٢].

وفي حديث عياض بن حمار أن النبي ﷺ قال : ((إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد))[٣]، وعدم التواضع هذا يؤدي إلى البغي؛ لأنه يرى لنفسه مزية على الغير، فيبغي بقوله أو فعله ويزدريه، والبغي والفخر مذمومان[٤].

فإن قيل: أليس قد افتخر النَّبيّ ﷺ بجده، حيث قال: ((أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب))[٥]، قيل: إنه لم يذهب بهذا القول مذهب الانتساب إلى شرف الآباء على سبيل الافتخار، ولكنه ذكرهم رؤيا كان رآها عبد المطلب له أيام حياته، فأخبر بها قريشا، فعبروها على أنه سيكون له ولد يسود النَّاس، ويهلك أعداؤه على يديه، وكانت إحدى دلائل نبوته، وكانت القصة فيها مشهورة، فعرفهم شأنها، وخروج الأمر على الصدق فيها، ليتقوى بها من انهزم من أصحابه، ويرجعوا واثقين بأن العاقبة له والله أعلم[٦].

وجواب آخر: أن الافتخار والاعتزاء المنهي ما كان في غير جهاد الكفار، وقد رخص

---

(١) أخرجه مسلم في ((صحيحه)) كتاب الذكر . (٢٠٧٤/٤ – رقم ٢٦٩٩).

(٢) انظر، مرقاة المفاتيح، للقاري، ٤٥٧/١، ٤٥٨.

(٣) تقدَّم تخريجه ص ٣٤.

(٤) سبل السلام، الصنعاني، ٦٩١/٢.

(٥) رواه البخاري ، كتاب الجهاد ، باب من قاد دابة غيره في الحرب ، برقم : (٢٨٦٤) . رواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة حنين ، برقم : (١٧٧٦).

(٦) شرح السنه، أبو محمد الحسين الفراء البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط و محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي دمشق، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٢٨/١٣.

النَّبيّ ﷺ في الخيلاء في الحرب، مع نهيه عنها في غيرها، وقد كان النَّبيّ ﷺ نصر بالرعب، فإذا أخبر باسمه، وقع الرعب في قلوبهم، فكان ذلك سببا لنفرتهم، كما روي أن عليا لما بارز مرحبا يوم خيبر، قال: « أنا الذي سمتني أمي حيدرة »[(١)]، قيل: كان السبب فيه أن مرحبا كان قد أنذر أن قاتله، يقال له: حيدر، وكان علي حين ولدته أمه سمته أسدا، وكان أبو طالب غائبا وقت مولده، فلما بلغه خبره، سماه عليا، فعدل علي عن اسمه المشهور إلى الآخر ينذره أنه سيقتله، لأنه أسد، والأسد يسمى حيدرا، والله أعلم[(٢)].

وكان النَّاس يفتخرون بشرف آبائهم ومجد أسلافهم سلفاً وخلفاً جاهلية وإسلاماً ومن ذلك ما قاله الفرزدق يخاطب جرير :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ❁ إذا جمعتنا يا جرير المجامع

إن من اكتفى بشرف نفسه لا يحتاج إلى الاعتماد بشرف الآباء والأمهات والأعمام والأخوال ومن يفاخر غالباً بشرف أصله هو لم يجد لنفسه شرفاً يفتخر به مع منافسيه، والشرف الحقيقي هو ما يتصف به الإنسان من الأخلاق الحسنة والأوصاف الشريفة، فالجبان لا تنفعه في ميدان القتال شجاعة أبيه وجده، ولا تنفع الجاهل في المناظرة والمباحثة مع العلماء معرفة أجداده وآبائه، وهكذا كل وصف جميل في الأصول لا ينفع الفروع عند احتياجهم لذلك الوصف، فالمشغول بالافتخار يضيع وقته بما لا طائل تحته ويفني ساعات من عمره بما لا يجدي حالاً ومآلاً وقد أجاد ابن الوردي[(٣)] حيث يقول في لاميته :

لا تقل أصلي وفصلي أبداً ❁ إنما أصل الفتى ما قد حصل

قيمة الإنسان ما يحسنه ❁ أكثر الإنسان منه أو أقل

والشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية، وشرف الإنسان بفضله لا بأصله وجلالته بأدبه

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة ذي قرد وغيرها ، برقم : (١٨٠٧).

(٢) المرجع السابق.

(٣) ديوان ابن مشرف ٣٢٤/١ .

لا بنسبه، والشرف بالفضل والأدب لا بالأصل والنسب فافتخر بالعلوم العالية لا بالعظام البالية، ومن فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه[1].

المطلب الرابع : الطعن في الأنساب والتعيير بها من أعمال الجاهليَّة

الطعن في الأنساب خلق ذميم وهو من صفات أهل الجاهليَّة وأخلاقهم نهى عنه الشرع المطهر وحذر منه وبين تحريمه في عدد من الأحاديث النبوية فعن أبي ذر ﷺ: « أنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام، وكانت أمه أعجمية، فعيرته بأمه، فشكاني إلى النبي ﷺ، فلقيت النبي ﷺ، فقال : يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية . قلت يا رسول الله من سب الرجال سبوا أباه وأمه . قال : يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية، هم إخوانك جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم »[2].

قيل أن الرجل المذكور هو بلال المؤذن مولى أبي بكر، وتعييره له بأمه، حيث قال له : يا ابن السوداء[3]. قال الحافظ : يؤخذ منه المبالغة في ذم السب واللعن لما فيه من احتقار المسلم، وقد جاء الشرع بالتسوية بين المسلمين في معظم الأحكام وأن التَّفاضل الحقيقي بينهم إنما هو بالتقوى، فلا يفيد الشريف النسب نسبه إذا لم يكن من أهل التقوى، كما قال تعالى :﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] اهـ[4].

قال ابن بطال في شرح الحديث معنى قوله : « إنك امرؤ فيك جاهلية »[5]؛ وهذا غاية

---

(١) المنح الوهبية في ذم العصبيَّة، عثمان شيخ عمر، ٣٨-٣٩.

(٢) تقدم تخريجه ص ٧٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٨٦/١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٤٦٨/١٠.

(٥) تقدم تخريجه ص ٧٦.

في ذم السب وتقبيحه؛ لأن أمور الجاهليَّة حرام منسوخة بالإسلام، فوجب على كل مسلم هجرانها واجتنباها "[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((اثنتان في النَّاس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت))[٢]، والطعن في النسب معناه التعيير بالنسب أو أن ينفي نسبه، فمثلا يقول في التعيير: أنت من القبيلة الفلانية التي لا تدفع العدو ولا تحمي الفقير، ويذكر فيها معايب، أو مثلا يقول: أنت تدعي أنك من آل فلان ولست منهم، أنت ما فيك خير هؤلاء، القبيلة ولو كنت منهم لكان فيك خير، أو ما أشبه ذلك[٣].

فليحذر الإنسان من الطعن في الأنساب، فإنه سيأتي يوم لا تنفعه تلك الأنساب، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، والمراد بنفي الأنساب انقطاع آثارها، التي كانت مترتبة عليها في دار الدنيا، من التَّفاخر بالآباء، والنفع والعواطف والصلات، فكل ذلك ينقطع يوم القيامة، ويكون الإنسان لا يهمه إلا نفسه[٤].

وعن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : ((أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد، كلكم بنو آدم طف الصاع بالصاع لم تملأه، ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين وتقوى، كفى بالرجل أن يكون بذيًّا فاحشًا بخيلاً))[٥].

---

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي عبد الملك، تحقيق : ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ، ٩/٢٤١.

(٢) تقدَّم تخريجه ص ١٤١.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، دار الوطن ط١٤٢٦هـ، ٦/٢٦٥.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القران بالقران، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر بيروت لبنان، إشراف بكر أبو زيد، ط ١٤١٥هـ، ٥/٣٥٦.

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده : (٢٨/ ٦٥١)، برقم : (١٧٤٤٧) . وحسنه شعيب الأرناؤوط.

أنسابكم هذه أي: المعروفة المشهورة كأمر محسوس يشار إليه ليست بمسبة أي: محل سب وسبب عار، على أحد أي: منكم كلكم بنو آدم أي: جميعكم أولاد آدم وحواء، طف الصاع بالصاع : أي: كلكم متساوون في النسبة إلى أب واحد، متقاربون كتقارب ما في الصاع أو تساويه للصاع إذا لم يملأ ملأ تاما، حتى يزداد عليه، وهذا معنى قوله: لم تملأه أي: والحال أنكم لم تملؤوه وفي النهاية أي: قريب بعضكم من بعض، يقال: هذا طف المكيال أي: ما قرب من ملئه، والمعنى: كلكم في الانتساب إلى أب واحد بمترلة واحدة في النقص والتقاصر عن غاية التمام، شبههم في نقصانهم بالمكيل الذي لم يبلغ المكيال، ثم أعْلَمَ أن التَّفاضل ليس بالنسب، ولكن بالتقوى، بذياً فاحشا بخيلاً : جامعا بين إطالة اللسان وتقصير الإحسان(١).

ومن الطعن في الأنساب الطعن في نسبة الولد لوالده، كأن يقول إن هذا الابن ليس من أبيه، وإنما ابن فلان .

وقد بوب الإمام النووي في رياض الصالحين باب تحريم الطعن في الأنساب الثابتة في ظاهر الشرع قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[الأحزاب: ٥٨]، والطعن في الأنساب أي أنساب النَّاس بأن يقال هذا ليس بابن فلان، وهذا مثل ما وقع لأسامة بن زيد حين شكك بعض أهل وقته في نسبته لأبيه زيد بن حارثة رضي الله عنهما فأظهر الله تصديقه على لسان رجل من البادية، لا يعرفه ولا يعرف أباه وإنما اكتشف ذلك بالقافة .

ومن الطعن في الأنساب الطعن في نسب عشيرة لقبيلة من القبائل بدون علم وأعظم من ذلك أن يكون بعلم، ولكن لهوى في النفس كبغض، وحقد وتنافس .. قال ابن حجر : "الطعن في الأنساب أي القدح من بعض النَّاس في نسب بعض بغير علم"(٢). " والطعن في الأنساب فُسِّر بالموجود في زماننا ينتسب إنسان إلى قبيلة، ويقول بعض النَّاس ليس منهم من

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا قارئ، ٣٠٧٨/٧.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ١٦١/٧.

غير بيّنة بل الظاهر أنه منهم "[١]، والمعنى أن هذا ذنبه عظيم، أما إذا كان من علم ومعرفة كنقل واقع معين، أو أمر مستفيض في منطقة، أو اطّلاع على وثيقة معروفة وموثقة، أو كتاب قديم فهذا لا بأس به بل إن ذلك من إنكار المنكر الذي حذر منه المصطفى ﷺ وهو ادعاء النسب فقال: ((من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه؛ فالجنة عليه حرام))[٢].

وقد يسأل البعض ما الفائدة في ذكر نسب فرد لقبيلة ؟ بل هو إما قدح أو تنقص، فأقول : لا، فكثير من الأحكام الشرعية تبنى على علم النسب مثل:

١ – قضية دفع الدية: فهناك من يتهرب إذا كان المبلغ ضخما، وهو من العاقلة ومن القبيلة، فتجده يقول نحن لا نقرب منهم هربا من الحقوق المالية.

٢ – قضية الإرث: فهناك أسر تنقرض وتفنى ويبقى لهم أموال وتخرج لهم أسر وقبائل تدعى قربهم للاستيلاء على هذه الأموال فهنا تكمن الحاجة لعلم النسب.

٣ – قضية أحقية آل بيت رسول الله من بيت المال:

وهذه النقطة بالذات جعلت كثيرا من النَّاس على مدى العصور الإسلاميَّة يدعى النسبة الشريفة ــ مع أن آل البيت الحقيقيين كُثر ــ ولكن ليس كل من ادعى فهو من آل البيت، وأنا اعتقد لو فتح المجال فسينكب الكثير حتى من غير العرب بسبب الدافع المادي[٣].

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ ((تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم؛ فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال))[٤]، وهذا يدل على أن تعلم

---

(١) الفتاوى، محمد بن عبد الوهاب، تحقيق صالح الأطرم ومحمد الدويش . طبعة جامعة الإمام، ١/٥٤.

(٢) رواه البخاري، كتاب الفرائض، باب من ادعى إلى غير أبيه، برقم : (٦٧٦٦)، ومسلم في الإيمان باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، برقم (٦٣).

(٣) مقال "الطعن في الأنساب " القاسم موسى، ملتقى أهل الحديث.http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=179900

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند : (٤٥٦/١٤)، برقم : (٨٨٦٨)، والترمذي، باب ما جاء في تعليم النسب، =

الأنساب محمود إذا كان تعلمها للقيام بطاعة الله المتعلقة بها، من صلة رحم وقسمة ميراث، وتحمل عاقلة ونحو ذلك، أما إذا كان تعلمها لقصد الفخر والخيلاء ونحو ذلك مما كان عليه أهل الجاهليَّة، فذلك مذموم مرفوض، ولذلك نرى أن التعليل الوارد هاهنا : كون التعلم على صلة الأرحام والإحسان إلى الأقارب .

وقد علق الشارع بالأنساب أحكاماً كثيرة ولهذا قال ابن حزم : أن في علم النسب ما هو فرض على كل أحد وما هو فرض على الكفاية، قال : فمن ذلك أن يعلم أن محمد رسول الله ﷺ هو ابن عبد الله الهاشمي، وأن يعلم أن الخليفة من قريش، وأن يعلم أن من يلقاه في نسب محرمة ليجتنب تزويج ما يحرم عليه منهم، وأن يعرف من يتصل به ممن يرثه أو يجب عليه بره من صلة أو نفقة أو معاونة، وأن يعرف أمهات المؤمنين وأن نكاحهن حرام على المؤمنين، وأن يعرف الصحابة وأن يعرف أن حبهم مطلوب، وأن يعرف الأنصار ليحسن إليهم لثبوت الوصية بذلك، لأن حبهم إيمان وبغضهم نفاق ا هـ[(١)].

ويجب التفريق بين معرفة النسب والتعصب له وبين هذين الأمرين اختلاف كبير وليست المسألة مسألة رأي شخصي، كل يدلي بدلوه أبدا إنما القضية محسومة شرعا، فالشريعة فرقت بين هذين الأمرين، الأمر الأول أعني معرفة النسب مطلوب شرعا، ولمعرفة النسب فوائد أذكرها على سبيل الاختصار منها :

١) صلة الرحم .

٢) معرفة المهدي المنتظر ولا يمكن معرفته إلا بالنسب ومعرفته .

٣) تمييز القوم الذين هم أشدّ النَّاس على الدجال وهم بني تميم ولا يمكن معرفتهم إلا بمعرفة النسب وحفظه.

=

برقم : (١٩٧٩)، وصححه الألباني.

(١) نقله عنه الحافظ في ((الفتح)) كتاب المناقب (٥٢٧/٦).

٤) تمييز آل البيت ونسب النَّبيّ ﷺ إذ يترتب على معرفة من آل البيت أحكام شرعية، فمن ثبت أنه منهم لم يجز له أن يأخذ الصدقة إن كان فقيرا، فلا يعطه إلا من كان من آل البيت، وهذا أيضا لا يمكن معرفته إلا بمعرفة النسب .

٥) عدم اختلاط الأنساب .

٦) ما من نبي يبعث إلا ويبعث في أعلى نسب في قومه حتى لا يعير بنسبه، وليكون أدعى لقبوله، كما قال تعالى : ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾ [هود: ٩١].

أما العصبيَّة الممقوتة فهي التي ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام أنها من خصال الجاهليَّة التي تبقى في أمته وذكر منها الطعن في الأنساب والتفاخر في الأحساب، فلا يعني أنك من آل البيت أن تحتقر وتصغر النَّاس، ومع هذا فلم ينفع أبا جهل نسبه، بل إن أبا وأم رسول الله هم من الكفار، كما ورد في الحديث : « إن أبي وأباك في النار »[(١)][(٢)].

المطلب الخامس : بيان حال ومآل الوالغ في العصبيَّة القبليَّة

لقد بين الرَّسول ﷺ حال الشخص الوالغ في العصبيَّة القبليَّة في عدد من المواقف والمواضع وأوضح كذلك مصير وعاقبة من يقع في وحل العصبيَّة القبليَّة ومن ذلك ما يلي :

سوء خاتمة من مات على العصبيَّة :

أن حال من مات على العصبيَّة القبليَّة هو سوء الخاتمة نسأل الله العافية والسلامة فيجب على كل مسلم أن يتخلص منها ويبعد عن العصبيَّات الجاهليَّة في قوله وفعله وينصر الحق ويكون معه قال ﷺ : « من قتل تحت راية عمية، يدعو عصبيَّة أو ينصر عصبيَّة؛ فقتلة

(١) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ، ولا تناله شفاعة ، ولا تنفعه قرابة المقربين ، برقم : (٢٠٣).

(٢) مقال "الطعن في الأنساب " القاسم موسى، ملتقى أهل الحديث.http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=179900

جاهلية))[١]، والمقصود براية عميّه: هي الأمر الذي لا يستبين وجهه، ومنه اقتتال القوم للعصبيَّة، ومعناها أنما يقاتل لشهوة نفسه وغضبه لها وإنما يقاتل عصبية لقومه وهواه[٢].

وعن الحارث الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال في الحديث الطويل : ((... ومن دعا بدعوى الجاهليَّة فهو من جثاء جهنم، قالوا : يا رسول الله، وإن صام وإن صلى ؟ قال : وإن صام وإن صلى وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم بما سماهم الله عز وجل : المسلمين، المؤمنين، عباد الله عز وجل))[٣]، ومعنى جثا جهنم : جمع جثوة بالضم الشي المجموع، وقيل من جثاء جهنم من جماعتها[٤].

براءة الإسلام وأهله ممن مارس العصبيَّة :

إذا كان الإسلام جاء بمبادئ سامية رفيعة لن تتكرر في أي ديانة أخرى، فإنه في الوقت نفسه حارب العصبيَّة وكل أمر من شأنه أن يفرق بين العباد، ومن ذلك حديث جبير بن مطعم رضي الله عنهم قال رسول الله ﷺ : ((ليس منا من دعا إلى عصبيَّة، وليس منا من قاتل على عصبيَّة، وليس منا من مات على عصبيَّة))[٥]، والمقصود هنا بقول (ليس منا) من أهل ملتنا ملة الإسلام، من دعا النَّاس إلى العصبيَّة أي من يدعو النَّاس إلى الاجتماع على العصبيَّة وهي معاونة الظالم على ظلمه وهو قولهم يا آل فلان من قرابتهم كانوا يدعون بعضهم بعضا عند الأمر الحادث والعظيم .

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب لزوم الجماعة عند الفتن، برقم : (١٨٥٠).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٣٩/١٢ .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده : (٥٤٣/٣٧)، برقم : (٢٢٩١٠)و(٣٨/ ٤٠٤)، برقم : (١٧١٧٠). وصححه شعيب الأرناؤوط.

(٤) اخرجه أحمد في المسند (٤/١٣٠-٢٠٢)..... والحكم في المستدرك وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، وصححه الألباني في الجامع الصغير حديث رقم ١٧٢٤- ٧٦٥.

(٥) رواه أبو داود، كتاب أبواب النوم، باب في العصبيَّة، برقم : (٥١٢١) . وضعفه الألباني.

العصبيَّة القبليَّة انحراف بالنية وإبطال للعمل :

فعن أبي موسى قال : سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء، أي :ذلك في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله »[١]، قال الشوكاني : والمراد بالمقاتلة لأجل الحمية أن يقاتل لمن يقاتل لأجله لأهله أو عشيرته أو صاحب ويحتمل أن تفسر الحمية بالقتل لدفع المضرة والقتال غضبا لجلب المنفعة وقوله : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » ؛ المراد بكلمة (الله) الدَّعوة إلى الإسلام ، ويحتمل أن يكون المراد به أنه لا يكون في سبيل الله إلا من كان سبب قتاله طلب إعلاء كلمة الله فقط بمعنى أنه لو أضاف إلى ذلك سببا من الأسباب المذكورة أخل به[٢].

العصبيَّة القبليَّة دالة على القبح والإيذاء :

ومما جاء في السنة النبوية الشريفة في بيان قبح وكراهية العصبيَّة وأنها إيذاء للمسلم ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه :كنا مع النَّبيّ ﷺ في غزاة فكسع – أي ضرب – رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري ياللأنصار وقال المهاجري : ياللمهاجرين فقال رسول الله ﷺ : « ما بال دعوة الجاهليَّة ؟ فقالوا : يا رسول الله ، كسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال : دعوها فإنها منتنة »[٣]، قال النووي : ومعناه أدعو المهاجرين وأستغيث بهم وأما تسميته ﷺ ذلك دعوى الجاهليَّة فهو كراهة منه لذلك، فإنه مما كانت عليه الجاهليَّة من التعاضد بالقبائل في أمور الدنيا ومتعلقاتها، وكانت الجاهليَّة تأخذ حقوقها بالعصبات والقبائل فجاء الإسلام بإبطال ذلك وفصل القضايا بالأحكام الشرعية فإذا اعتدى إنسان على آخر حكم القاضي بينهما وألزمه مقتضى عدوانه كما تقرر من

---

(١) تقدَّم تخريجه ص ٣٢.

(٢) نيل الأوطار، الشوكاني، دار الخير، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ٢٣٥/٧.

(٣) تقدم تخريجها ص ٣٣.

قواعد الإسلام وأما قوله ﷺ : « إنها منتنة » أي خبيثة كريهة مؤذية[١] .

العصبيَّة القبليَّة تدل على الجهل وهي مفاخرة آثمة :

دعا الإسلام إلى سمو الأخلاق وعلوها والترفع عن الدناءة واحتقار النَّاس، ولما كانت العصبيَّة مظهراً من مظاهر الخلق الوضيع لم يدع رسول الله ﷺ فرصة إلا وعالج كل موقف في حينه؛ ليبقى أثرها خالداً مع الشخص بعد حين، ويتجلى ذلك في حديث المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال : رأيت عليه برداً وعلى غلامه برداً يقصد بذلك أبا ذر : فقلت لو أخذت هذا فلبسته كانت حلة وأعطيته ثوبا آخر فقال « كان بيني وبين رجل كلام، وكانت أمّه أعجمية، فنلت منها، فذكرني إلى رسول الله فقال لي : أسابيت فلانا ؟ فقلت نعم، قال : أفنلت من أمه ؟ فقلت : نعم، قال إنك امروء فيك جاهلية، قلت : على حين ساعتي هذه من كبر السن ؟ قال : نعم هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل الله تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا يكلفه من العمل، فإن كلفه مما يغلبه فليعنه عليه »[٢].

وهي مفاخرة آثمة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ الله عزّ وجلّ أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليَّة وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي. أنتم بنو آدم وآدم من تراب. ليدعنّ رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنّم أو ليكوننّ أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن »[٣].

العصبيَّة القبليَّة إعانة على الظلم :

جاء في حديث الرسول ﷺ في تفسير العصبيَّة كلام يكتب بماء الذهب، وهو يدل على عظم الإسلام، فعن عباد بن بشر الشامي، عن امرأة منهم يقال لها فسيلة، قالت : سمعت أبي يقول : « سألت النَّبيّ ﷺ فقلت : يا رسول الله أمن العصبيَّة أن يحب الرجل قومه ؟ قال :

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٣٧/١٦.

(٢) تقدم تخريجه ص ٧٦.

(٣) تقدَّم تخريجه ص ٩.

لا ، لكن العصبيَّة أن يعين الرجل قومه على الظلم »[(١)]، فجعل الرسول ﷺ العصبيَّة أن يعين الرجل قومه على ظلم الآخرين، والإسلام يدعو للعدل وعدم الظلم، وأن لا يقف المسلم مع قومه في ظلم، بل يمنعهم ويقول كلمة الحق، و لم يمنع رسول الله ﷺ من وقوف الرجل مع قومه في الحق بل أمر بذلك؛ لأن الإسلام يدعو إلى صلة الأرحام، وربطها بعبادة الله[(٢)]، قال تعالى : ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء: ٣٦].

المطلب السادس : بيان أن معيار التَّفاضل ومقياس الكرامة بتقوى الله

من الأمور التي قررتها الشَّريعة الإسلاميَّة أن التَّفاضل بين النَّاس لا يرجع إلى جنس ولا لون ولا عرق ولا نسب، إنما ميزان التَّفاضل بين النَّاس هو التقوى، قال الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

ويؤكد النَّبيّ ﷺ على هذه الحقيقة كثيرا، فتراه ﷺ جالسا بين أصحابه فيمر عليهم رجل فيقول : « ما تقولون في هذا ؟ قالوا: حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفّع، وإن قال أن يستمع! قال: ثم سكت. فمر رجل من فقراء المسلمين؛ فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفّع، وإن قال أن لا يستمع! فقال رسول الله ﷺ : هذا خير من ملء الأرض مثل هذا »[(٣)].

وقد ذكر العلامة ابن الجوزي رحمه الله في كتابه زاد المسير[(٤)] عند الحديث عن سبب

---

(١) تقدَّم تخريجه ص ١٩.

(٢) دور التربية الإسلاميَّة في مواجهة العصبيَّة، حجراف، ص ٧٠.

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب فضل الفقراء، برقم : (٤١٢٠). وصححه الألباني.

(٤) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرَّحمن علي محمد الجوزي، تحقيق : عبد الرزاق مهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ١٥٣/٤.

نزول الآية أنه عند فتح مكة أمر النَّبيّ ﷺ بلالا أن يصعد على ظهر الكعبة ليؤذن، فلما سمعه الحارث بن هشام قال: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا، فترلت الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣].

إنه بلال الذي أخبره النَّبيّ ﷺ أنه سمع دف نعليه بين يديه في الجنة، إنه بلال الذي قال فيه عمر رضي الله عنه إنه سيدنا، إنه بلال الذي لا يعرف له شرف نسب ولا جاه ولا سلطان، إنما يعرف بسابقته في الإسلام وصحبته للرسول ﷺ وصلاحه وجهاده، وهل بعد هذا من شرف؟!

نعم إن معيار التَّفاضل بين النَّاس في مراتبهم ودرجاهم ومقياس الكرامة الحقيقي يكون بتقوى الله عز وجل قال ابن كثير : معنى قوله : ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ أي : إنما تفاضلكم عند الله بالتقوى لا بالأحساب[(١)]، وقال ابن جرير : معنى : ﴿أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ أي : أشدكم اتقاءً له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه لا أعظمكم بيتاً ولا أكثركم عشيرة[(٢)].

وقال في الجامع لأحكام القرآن : " إنَّ في هذه الآية ما يدلك على أن التقوى هي المراعى عند الله تعالى وعند رسوله دون الحسب والنسب. وقرىء « أن » بالفتح كأنه قيل: لم لا يتفاخر بالأنساب ؟ قيل: لأن أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم"[(٣)]، وفي الترمذي عن سمرة عن النَّبيّ ﷺ قال: « الحسب المال، والكرم التقوى »[(٤)]، وذلك يرجع إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقد جاء عنه – عليه السلام – :

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٨٦/٧.

(٢) جامع البيان، ابن جرير الطبري، ٣١٢/٢٢.

(٣) الجامع لأحكام القران، القرطبي، ٣٤٥/١٦.

(٤) رواه الترمذي، كتاب أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجرات، برقم : (٣٢٧١)، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وصححه الألباني أيضا.

((من أحب أن يكون أكرم النَّاس فليتق الله))[(١)]، والتقوى معناها مراعاة حدود الله تعالى أمرا ونهيا، والاتصاف بما أمرك أن تتصف به، والتنزه عما نهاك عنه، وقد مضى هذا في غير موضع، وفي الخبر من رواية أبي هريرة عن النَّبيّ ﷺ : ((إن الله تعالى يقول يوم القيامة : إني جعلت نسبا وجعلتم نسبا، فجعلت أكرمكم أتقاكم، وأبيتم إلا أن تقولوا : فلان بن فلان، وأنا اليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم، أين المتقون ؟ أين المتقون ؟))[(٢)]، وروى الطبري[(٣)] من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ((إن أوليائي المتقون يوم القيامة، وإن كان نسب أقرب من نسب، يأتي النَّاس بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم، تقولون : يا محمد، فأقول هكذا وهكذا وأعرض في كل عطفيه))[(٤)]، وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ جهارا غير سر يقول: ((إن آل أبي ليسوا لي بأوليائي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين))[(٥)]، وعن أبي هريرة ((أن النَّبيّ ﷺ سُئل من أكرم النَّاس؟ فقال: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فأكرمهم عند الله أتقاهم، فقالوا: ليس عن هذا نسألك، فقال: عن معادن العرب؟ خيارهم

---

(١) رواه ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك : (١/ ١٣٧)، برقم : (٤٧٥). وفي ذخيرة الحفاظ لابن القيسراني : (٤/ ٢٣٠٠)، برقم : (٥٣٤٥) : « رواه أبو المقدام هشام بن زياد: عن محمد بن كعب، عن ابن عباس. وهشام متروك الحديث».

(٢) رواه الطبراني في المعجم الصغير : (١/٣٨٣)، برقم : (٦٤٢)، وقال : « لَا يُرْوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ تَفَرَّدَ بِهِ صَالِحٌ ».

(٣) هو : محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها سنة ٣١٠هـ . وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. انظر : الأعلام للزركلي : (٦/ ٦٩).

(٤) رواه ابن أبي عاصم في السنة، باب حديث : «إن أهل بيتي يرون أنهم أولى النَّاس بي...» (١/٩٤)، وحسنة الألباني . و لم أجده عند الطبري.

(٥) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب تبل الرحم ببلالها، برقم : (٥٩٩٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم، برقم : (٢١٥).

في الجاهليَّة خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ››(١)، وأنشدوا في ذلك:

ما يصنع العبد بعز الغنى ❁ والعز كل العز للمتقى
من عرف الله فلم تغنه ❁ معرفة الله فذاك الشقي

خطب رسول الله ﷺ بمنى في وسط أيام التشريق وهو على بعير فقال: ‹‹ يا أيها النَّاس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ قالوا : نعم قال : ليبلغ الشاهد الغائب ››(٢)، فإذا كان الرب واحداً، والأب للجميع واحداً، لم يبق لدعوى الفضل بغير تقوى الله عز وجل أي اعتبار، وفي هذا الحديث : حصر الفضل في التقوى، ونفيه عن غيرها، وفيه عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : ‹‹ إن الله لا ينظر إلى أحسابكم ولا إلى أنسابكم ولا إلى أجسامكم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه، وإنما أنتم بنو آدم، وأحبكم إليه أتقاكم ››(٣). ولعلي ﵁ في هذا المعنى وهو مشهور من شعره:

النّاس من جهة التمثيل أكفاء ❁ أبوهم آدم والأم حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة ❁ وأعظم خلقت فيهم وأعضاء
فإن يكن لهم من أصلهم حسب ❁ يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم ❁ على الهدى لمن استهدى أدلاء (٤)

فجميع النَّاس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدِّينيَّة، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله ﷺ؛ ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار

---

(١) تقدَّم تخريجه ص ٢٠٧.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند : (٣٨/ ٤٧٤)، برقم : (٢٣٤٨٩) . وصححه شعيب الأرناؤوط.

(٣) رواه الطبراني : (٣/ ٢٩٧)، برقم : (٣٤٥٦). قال الهيثمي في مجمع الزوائد : (٢٣١/١٠) : « رواه الطبراني، وفيه محمد بن عياش، وفيه ضعيف».

(٤) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد أحمد القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٤٨هـ، ٣٤٢/١٦-٣٤٥-٣٤٦.

بعض النَّاس بعضا، منبها على تساويهم في البشرية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣]، أي: ليحصل التعارف بينهم، كل يرجع إلى قبيلته[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((من بطأ به عمله؛ لم يسرع به نسبه))[٢]؛ ومعنى من بطأ : من أخره وجعله بطيئا عن بلوغ درجة السعادة (عمله) : السيئ في الآخرة أو تفريطه للعمل الصالح في الدنيا (لم يسرع به نسبه) . من الإسراع أي: لم يقدمه نسبه، يعني: لم يجبر نقيصته لكونه نسيبا في قومه، إذ لا يحصل التقرب إلى الله تعالى بالنسب بل بالأعمال الصالحة. قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وشاهد ذلك أن أكثر علماء السلف والخلف لا أنساب لهم يتفاخر بها، بل كثير من علماء السلف موال، ومع ذلك هم سادات الأُمَّة وينابيع الرحمة وذوو الأنساب العلية الذين ليسوا كذلك في مواطن جهلهم نسيا منسيا[٣]، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: ((إن الله يرفع بهذا الدين أقواما ويضع به آخرين))[٤] .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه ❁ فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب
فقد رفع الإسلام سلمان فارس ❁ وقد وضع الشرك الخبيث أبا لهب [٥]

المطلب السابع : بيان عالمية الإسلام وسماحته مع الآخرين

لقد جمعت الأخوَّة الإسلاميَّة منذ أيامها الأولى صهيباً الرومي وبلالًا الحبشي وسلمان

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٨٥/٧.

(٢) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم : (٢٦٩٩).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري، ٢٨٨/١.

(٤) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، برقم : (٨١٧)، بلفظ «بهذا الكتاب».

(٥) انظر، الفقيه والمتفقه، البغدادي ٢٤٦/٢، و محاضرات الأدباء، الأصفهاني، ٣٤٠/١ .

الفارسي وأبا بكر القرشي العربي تحت راية الإسلام، وخنست العصبيَّة القبليَّة وقلت ومعها عصبيَّة الجنس والعنصرية بكافة أشكالها وألوانها، فأصبحت دار إسلام يجتمعون على التوحيد وعبادة الله عز وجل .

الإسلام دين عالمي ارتضاه الله تعالى لجميع الخلق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالإسلام هو وحده الذي جاءت هدايته شاملة لجميع مناشط الحياة ومعالجة كل القضايا، ويمكن تطبيق مبادئه في كل زمان ومكان، والتشريع الإسلامي جاء شاملاً وكاملاً وخالداً لا يختص بزمان دون زمان ولا بقطر دون غيره، ولا بخلق دون سواهم، وهذا ما جعل المسلمين الأوائل ينطلقون في الأرض يفتحون قلوب العباد قبل حصون وأسوار البلاد، فأقبل النَّاس على الإسلام زرافات ووحداناً لما استشعروا قيمته، وآمنوا برسالته، وأيقنوا بعالميته[(١)].
ومما يدلل ويؤكد على عالميّة الإسلام وعلى أنه الدين الذي ارتضاه الله تعالى لجميع الخلق أنَّ الله تعالى رب لكل النَّاس فلقد جاءت أول آيات المصحف لتؤكد تلك العالمية، وأنه ليس رباً للعرب أو المسلمين فقط، قال تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة: ٢]، وأنه الذي أنزل القرآن على نبيه محمداً ﷺ هو رب العالمين ومما يؤكد عالمية هذا الدين خطاب القرآن الكريم إلى النَّاس جميعا، وهذا دليل واضح على أن خطاباته وتوجيهاته تعم النَّاس كافة، وكما أن الله هو رب العالمين، والقرآن كتاب جاء بالخير والصلاح لكل النَّاس فإن نبي الإسلام محمداً ﷺ جاء رحمة ونورا لجميع الخلق، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، والكعبة المشرفة كذلك هي قبلة لجميع الخلق، وبركة وهداية لكل النَّاس، قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

ومما يدلل كذلك على عالمية هذا الدين رسائل النَّبيّ ﷺ سنة ٦ هـ إلى الملوك والرسائل الذين كانوا يحكمون البلاد في عهده ﷺ، ومن عالمية هذا الدين وانتشاره حتى يعم الأرض

---

(١) مقال بعنوان عالميَّة الإسلام، د بدر عبدالحميد هميسه، موقع صيد الفوائد http://www.saaid.net/Doat/hamesabadr/174.htm.

كلها بشارته ﷺ وتبشيره بانتشار الإسلام وفتحه للبلاد والعباد وحينما ينتشر الإسلام ويعم أرجاء الكون يصبح النَّاس جميعاً أخوة لا تفاضل بينهم ولا تمايز إلا بالتقوى والعمل الصالح، ولله در من قال :

أخي المسلم في كل مكان وبلد ❀ أنت مني وأنا منك كروح في جسد
وحدة قد شادها الله أضاءت للأبد ❀ وتسامت بشعار قل هو الله أحد
يا أخي المسلم إنا دعاة الحق المبين ❀ ورسول الله وافى رحمة للعالمين
وكتاب الله يهدي بسناه الحائرين ❀ وهو للكون ضياء وهدى للعالمين
يا أخي المسلم والإسلام دين للإله ❀ في حماه قد تساوى كل فرد بسواه
فبلال كعلي ليس من فرق تراه ❀ كلنا لله عبد وله تعلوا الجباه

إذن فعالمية الإسلام ضرورة من ضرورات هذا الدين، ودليل آكد على تشريعه القويم الصالح لكل زمان ومكان، وما على المسلمين الآن إلا أن يفهموا معنى عالمية الإسلام، وأن يسعوا لتبصير النَّاس بها، حتى تتغير تلك الصورة المشوهة التي أخذها الآخرون عن الإسلام حتى ظنوا أنه دين لا يصلح إلا لأهل البادية فقط، وأنه دين يعادي الحضارة والتقدم ويجافي الرقي والازدهار(١).

ومن خصائص الإسلام العامة أنه جاء لتكريم الإنسان الذي خلقه بيده وأسجد له ملائكته ونفخ فيه من روحه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا وحفظ عقيدته وحياته وعرضه وماله وعقله وحفظ حقوقه أيا كان جنسه أو عرقه عالماً كان أو جاهلاً حضرياً كان أم بدوياً ونهى عن الاعتداء عليه بأي نوع من أنواع الاعتداءات، وهذا بخلاف الأنظمة البشرية التي جاءت للمحافظة على حقوق الأقوياء والإجحاف بحق الفقراء، فقوانينهم حبر على ورق تكيل بمكيالين، وتجعل للقوي حق الاعتراض والنقض، فيقتل الأبرياء وتثار النعرات والطائفيات(٢).

---

(١) المرجع السابق.

(٢) مجلة البحوث الإسلاميَّة، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية، جزء ٩٢ ص ٣١.

المطلب الثامن : بيان أن الموالاة في الإسلام أهم وأحق رمن موالاة النسب

يجب أن نعلم أن ولاء المسلم ونصرته لا بُدَّ أن تكون لله ولرسوله لا لقبيلة ولا لغيرها من الأنساب والأسباب، المؤمنون بعضهم أولياء بعض وعلاقة البشر بين بعضهم تقوم على أساس الدين والعقيدة وليس على أساس النسب والعرق والقبيلة والأجداد ومن يصر أن يكون ولاؤه ونصرته إلى قبيلته وعرقه وشعبه دون النظر إلى الحق فقد خالف الصواب وجانب الكتاب .

قال الله تعالى : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢]؛ قال القرطبي في تفسيره : " قال ابن جريج: حدثت أن أبا قحافة سب النَّبيّ ﷺ فصكه أبو بكر ابنه صكة فسقط منها على وجهه، ثم أتى النَّبيّ ﷺ فذكر ذلك له، فقال: ((أو فعلته، لا تعد إليه، فقال: والذي بعثك بالحق نبيا ولو كان السيف مني قريبا لقتلته))(١). وقال ابن مسعود: نزلت في أبي عبيدة بن الجراح، قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد وقيل: يوم بدر. وكان الجراح يتصدى لأبي عبيدة وأبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصد إليه أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله حين قتل أباه : : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ الآية. قال الواقدي: كذلك يقول أهل الشام. وقد سألت رجالا من بني الحرث بن فهر فقالوا: توفي أبوه من قبل الإسلام. أو أبناءهم يعنى أبا بكر دعا ابنه عبد الله إلى البراز يوم بدر، فقال النَّبيّ ﷺ : ((متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك عندي بمنزلة السمع والبصر))(٢). أو إخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم بدر.

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره : (١٧/ ٣٠٧) .وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن المنذر : (٨/ ٨٦).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره : (٣٠٧/١٧) ، رواه الحاكم في المستدرك : (٥٣٩/٣) ، برقم : (٦٠٠٤). بدون : (أما تعلم أنك عندي بمنزلة السمع والبصر).

أو عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاص ابن هشام بن المغيرة يوم بدر، وعليا وحمزة قتلا عتبة وشيبة والوليد يوم بدر. وقال السدي أنها نزلت في عبد الله بن أبي حيث قال: يا رسول الله! أما أذنت لي في قتل أبي؟ فقال النَّبيّ ﷺ : « بل ترفق به وتحسن إليه »[(١)]. وقيل: إن الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، لما كتب إلى أهل مكة بمسير النَّبيّ ﷺ عام الفتح وقد بين أن الإيمان يفسد بموالاة الكفار وإن كانوا أقارب[(٢)].

وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [التوبة: ٢٣]. وذكر ابن كثير قصة أسارى بدر وكيف أيّد الله عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال[(٣)]: " عن ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال: « نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه يوم بدر وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فقتل منهم سبعون رجلا، وأسر منهم سبعون رجلا، واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعليا وعمر، فقال أبو بكر يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية؛ فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا، فقال رسول الله ﷺ : ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال: قلت والله ما أرى ما رآى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان ــــ قريب لعمر ــــ فأضرب عنقه، وتمكّن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، وأخذ منهم الفداء. فلما كان من الغد قال عمر: فغدوت إلى النَّبيّ ﷺ وأبي بكر وهما يبكيان فقلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء، تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ : أبكي

(١) ذكره القرطبي في تفسيره : (١٧/ ٣٠٧) . ولم أجده في كتب الحديث بهذا اللفظ.

(٢) الجامع لأحكام القران، القرطبي ٣٠٧/٧-٣٠٨.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٦٢/٣.

للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، قد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة – لشجرة قريبة – وأنزل الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٧]))(١).

وفي السيرة قصة استماع كفَّار قريش إلى قراءة النَّبيّ ﷺ (أبو سفيان وأبو جهل والأخنس) عندما سألوا أبا جهل، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه، والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه. قال: فقام عنه الأخنس وتركه(٢)، وهذا يدل على شدة ولاء أبي جهل وتمسكه بعصبيته المقيتة، وعناده عن قبول الحق فأعمى قلبه بعد أن سمع بأذنيه القرآن الكريم، نعم لقد منعته عصبيته القبليَّة وكبرياؤه الإيمان برسالة محمد ﷺ، فهو لا يريد أن تتفوق قبيلة بني عبد مناف على فخذه وينالون الشرف والفخر بالنبوة الذي لا تناله قبيلته فرفض الحق عصبيَّة وعنصرية .

المطلب التاسع : بيان مبدأ المساواة في مواجهة العصبيَّة

المساواة في الإسلام شعيرة من أهم الشعائر وركيزة من أهم الركائز التي أقامها وأكد عليها الإسلام وهي من المبادي الإسلاميَّة التي تتميز بها الشَّريعة عند غيرها من الشرائع والقوانين الوضيعة، فقد بعث محمد ﷺ والناس يعيشون في تمييز واضح وتعصب مقيت وكان عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين وحمل رسالة لا تفرق بين النَّاس في جميع طبقاتهم فنادى بالمساواة في كل الحقوق والواجبات ثم ساوى بينهم في الجزاء والحساب وهم كذلك حتى في أصل الخلقة والمنشأ ومتساوون كذلك في الفرائض والعبادات وهذا المبدأ ينافي ويعادي التعصب القبلي بكافة ألوانه وأشكاله وصورة والمساواة تكون في عدد من القضايا من أهمها

(١) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، برقم : (١٧٦٣).

(٢) سيرة ابن هشام، ٣١٥-٣١٦.

ما يلي :

١ - المساواة في أصل الخلق والمنشأ

إن البشرية كلها ترجع إلى أصل واحد خلق منه الإنسان وهو التراب ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[السجدة: ٧ - ٩]، والإنسان خلق من طين ، وهي مادة هذه الأرض ليسهل عليه العيش والإقامة فيها وقد مر الإنسان بمراحل من خلقه وهو دليل على أن الإنسان ليس له أن يتخذ من أجناس وأصناف البشر الآخرين مثالاً للانتقاص والسخرية بهم ، أو ممارسة العصبيَّة ضدهم لأنهم في النهاية يرجعون لأصل واحد[1] قال تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾[الزمر: ٦].

٢ - المساواة في الفناء والبعث بعد الموت

لقد قررت الشَّريعة الإسلاميَّة أن النَّاس جميعهم محكوم عليهم بالفناء قال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[الرحمن: ٢٦ - ٢٧]. والناس جميعهم ميتون الحاكم والمحكوم الغني والفقير الصغير والكبير وقد خاطب الله تعالى الجميع بأنهم سائرون إليه قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[آل عمران: ١٨٥]. فالموت يدرك الجميع ولن يدفعه عنه دافع أو يحول دونه حائل، قال تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ ﴾[النساء: ٧٨]، وقال تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الزمر: ٣٠]، وبعد الموت يعود النَّاس إلى التراب الذي هو أصلهم وسيتحولون إلى تراب كما خلقناكم أول مرة، قال تعالى : ﴿ مِنْهَا

---

(١) دور التربية الإسلاميَّة في مواجهة العصبيَّة، حجراف، ١٠٩.

﴿خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥]، وهذا يفيدنا أن الإنسان مخلوق من تراب وسيعود إليه، فلماذا الكبر والتعالي على الآخرين، والنظرة الفوقية على الغير، ويجب أن يعلم الإنسان بأنه بعد الموت والقبر سيبعث، قال تعالى : ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾ [العاديات: ٩ - ١٠].

٣ - المساواة في المصير والجزاء

ومن مبادي المساواة وصورها أن النّاس كلهم سيقفون أمام الله للسؤال والحساب حفاة عراة غرلاً، قال ﷺ : « إنكم محشورون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً »(١)، فهم في هذه الصفات متساوون، فليس عليهم نعل ولا خف ، عراة ليس عليهم لباس، غرلاً يتضح منهم من لم يختن، وهنا تزول الفوارق بين البشر، فالكل سواسية ابن القبيلة ذو الوجاهة والقوة والآخرون كلهم في الموقف العظيم متساوون، ويحاسبهم لله على قدر أعمالهم، قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨]، ويقول ﷺ : « أنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال : اقرأوا إن شئتم : ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٥] »(٢).

٤ - المساواة في العبادات والفرائض

الإسلام بفرائضه العملية يدرب المسلمين على المساواة الحقة التي فرضها عليهم عملياً في عباداتهم، فهم في صلاة الجماعة في صفوف متراصة يجلس في أولها من بادر ويجلس الأمير إلى جوار الفقير، وفي الحج الجميع متجردون من زينة الدنيا، والملابس التي تدل على فوارق الغنى والجاه إلا من رداء وإزار غير مخيطين عراة الرؤوس يأتون بشعائر موحدة ويقفون مواقف

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، برقم : (٦٥٢٦) . ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، برقم : (٢٨٥٩٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه﴾، برقم : (٤٧٢٩)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، برقم : (٢٧٨٥).

متساوية ملبين في عبارات واحدة إلَّها واحداً، ويطوفون ويعظمون بيتاً واحداً ويتجهون في صلاتهم إلى قبلة واحدة فلا تمايز ولا عصبيَّة ولا طبقية[1].

٥ - المساواة في القضاء والأحكام

لقد ساوى الإسلام في الحدود والعقوبات بين كل النَّاس فلا فرق بين غني وفقير وشريف وضعيف وأمير ومأمور فهم جميعاً أمام قانون يساوي بين البشر في الحقوق والواجبات ولا أدل على ذلك من قوله ﷺ : ((لو أن فاطمة بنت محمد ﷺ سرقت لقطع محمد يدها))[2]، وقوله ﷺ : ((إنما أهلك من كان قبلكم إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإذا سرق الشريف تركوه))[3] وهذا ملك غسان جبلة بن الأيهم يحضر إلى مكة لأداء فريضة الحج وبينما هو يطوف حول الكعبة وخلفه رجل أعرابي من بني فزارة وبدون قصد جاء طرف الإزار تحت قدم الأعرابي مما أدى لسقوط إزار الملك، فالتفت جبلة إلى الأعرابي وضربه فهشم أنفه، واشتكى الأعرابي إلى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه واحضر عمر ملك غسان وحكم عليه بالقصاص وهو أن يقوم الأعرابي بضربه ضربة مماثلة أو يتنازل الأعرابي عن حقه، وقال عمر ﷺ لملك غسان : دونك الرجل فأرضه وإلا له حق القصاص منك فرد جبلة كيف يقتص مني وأنا ملك وهو سوقه ؟! فأفهمه عمر ﷺ أن الإسلام سوى بينكما[4].

وقد قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص عامل مصر وقد ضرب ابنه مصرياً، وافتخر بآبائه قائلاً : خذها من ابن الأكرمين، فاقتص منه عمر، وقال له : متى استعبدتم النَّاس وقد

---

(١) العصبيَّة في ضوء الإسلام، المشهداني، ١٩٧.

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، برقم : (٣٤٧٥). ومسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، برقم : (١٦٨٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، برقم : (٣٤٧٥). ومسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، برقم : (١٦٨٨).

(٤) انظر، الإسلام والعنصرية، قاره، ص٩٥.

ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

المبحث الثاني :الدور العلاجي

وفي هذا الدور يوضح الباحث الآيات القرآنية الكريمة التي جاءت فيهـــا الإشـــارة إلى التعصب القبلي أو إلى مظاهره وصوره وبيان كلام المفسرين حول ما يتعلق بالآيات ومـــا يمكن الإفادة منه في العصبيَّة القبليَّة، ثم يتطرق الباحث كذلك إلى جوانب علاجية وتطبيقات عملية ومواقف نبوية من سيرة وهدي الحبيب عليه الصلاة والسلام حول التعصب القبلـــي، وكذلك مواقف من تبعه من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

وفي نهاية المبحث يبين الباحث تعزيز مبدأ الأخوة الإيمانية وإحلالها بدلاً مـــن العصـــبيَّة القبليَّة وذكر عدداً من المكارم والخصال التي ترسخ الأخلاق الإسلاميَّة في مواجهة التعصب القبلي والي ذلك بالتفصيل :

المطلب الأول : العلاج القرآني للعصبيّة القبليّة

جاء القرآن الكريم ورسم المنهج الرباني في تعامل النَّاس بعضهم مع بعض، فبعد أن عاش النَّاس حقبة من الزمن يتخذون العصبيَّة القبليَّة دستوراً لهم ومنهجاً يسيرون عليـــه نقلـــهم القرآن الكريم من خطأ العصبيَّة الجاهليَّة وتعصبها المقيت إلى الأخوة الإيمانيـــة والأخـــلاق الإسلاميَّة، فعاش النَّاس في الإسلام أخوة متحابين متآلفين يسودهم الإخاء والوفاء بعـــد أن كانت الخصومات والمشاحنات تعصف بهم وتفرقهم .

وقد استعرض الباحث القرآن الكريم كاملاً عدة مرات بهدف الوصول إلى ما أشار إليه القرآن الكريم حول العصبيَّة القبليَّة و لم يجد ورود كلمة العصبيَّة أو التعصب القبلي ، ولكني وجدت آيات قرآنية تشير إلى العصبيَّة القبليَّة ومظاهرها ، وأعمال الجاهليَّة ، ومـــن هـــذه الآيات ما يلي :

١ – قال الله تعـــالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال القرطبي في تفسيره : وفيها سبع مسائل:

الأولى- قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾ ؛ يعني آدم وحواء، ونزلت الآية في أبي هند، أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم، فقالوا لرسول الله ﷺ : نزوج بناتنا موالينا؟ فأنزل الله عز وجل :﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا ﴾ الآية. قال الزهري: نزلت في أبي هند خاصة. وقيل: إنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس. وقوله في الرجل الذي لم يتفسح له: ابن فلانة، فقال النّبيّ ﷺ : " من الذاكر فلانة ؟ قال ثابت: أنا يا رسول الله، فقال النّبيّ ﷺ : انظر في وجوه القوم فنظر، فقال: ما رأيت ؟ قال رأيت أبيض وأسود وأحمر، فقال: فإنك لا تفضلهم إلا بالتقوى "[(١)] فترلت في ثابت هذه الآية. وفيه زجر عن التّفاخر بالأنساب، والتكاثر بالأموال، والازدراء بالفقراء، فإن المدار على التقوى. أي الجميع من آدم وحواء، إنما الفضل بالتقوى. وفي الترمذي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خطب بمكة فقال: " يا أيها النّاس إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليَّة وتعاظمها بآبائها. فالناس رجلان: رجل بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله. والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب "[(٢)].

الثانية – بين الله تعالى في هذه الآية أنه خلق الخلق من الذكر والأنثى، وكذلك في أول سورة" النساء". ولو شاء لخلقه دونهما كخلقه لآدم، أو دون ذكر كخلقه لعيسى عليه السلام، أو دون أنثى كخلقه حواء من إحدى الجهتين. وهذا الجائز في القدرة لم يرد به الوجود. وقد جاء أن آدم خلق الله منه حواء من ضلع انتزعها من أضلاعه، فلعله هذا القسم .

الثالثة- خلق الله الخلق بين الذكر والأنثى أنسابا وأصهارا وقبائل وشعوبا، وخلق لهم منها التعارف، وجعل لهم بها التواصل للحكمة التي قدرها وهو أعلم بها، فصار كل أحد يحوز نسبه، فإذا نفاه رجل عنه استوجب الحد بقذفه، مثل أن ينفيه عن رهطه وحسبه، بقوله

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره : (١٦/ ٣٤١) ، و لم أجده في كتب الحديث بهذا اللفظ.

(٢) تقدَّم تخريجه ص ٩.

للعربي: يا عجمي، وللعجمي: يا عربي، ونحو ذلك مما يقع به النفي حقيقة. انتهى.

الرابعة – ذهب قوم من الأوائل إلى أن الجنين إنما يكون من ماء الرجل وحده، ويتربى في رحم الأم، ويستمد من الدم الذي يكون فيه.

الخامسة – قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ ؛ الشعوب رءوس القبائل، مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج، واحدها" شعب .

السادسة – قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، وفي هذه الآية ما يدلك على أن التقوى هي المراعى عند الله تعالى وعند رسوله دون الحسب والنسب. وفي الترمذي عن سمرة عن النَّبيّ ﷺ قال: ((الحسب المال، والكرم التقوى))[١]، وفي الخبر من رواية أبي هريرة عن النَّبيّ ﷺ : ((إن الله تعالى يقول يوم القيامة : إني جعلت نسبا وجعلتم نسبا، فجعلت أكرمكم أتقاكم، وأبيتم إلا أن تقولوا : فلان بن فلان، وأنا اليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم، أين المتقون ؟ أين المتقون ؟))[٢]، وروى الطبري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((إن أوليائي المتقون يوم القيامة، وإن كان نسب أقرب من نسب، يأتي النَّاس بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم، تقولون : يا محمد، فأقول هكذا وهكذا وأعرض في كل عطفيه))[٣].

السابعة – ما ذكره الطبري : تزوج رجل من الأنصار امرأة فطُعِنَ عليها في حسبها، فقال الرجل: إني لم أتزوجها لحسبها إنما تزوجتها لدينها وخلقها، فقال النَّبيّ ﷺ : ((ما يضرك ألا تكون من آل حاجب بن زرارة)) . ثم قال النَّبيّ ﷺ : ((إن الله تبارك وتعالى جاء بالإسلام فرفع به الخسيسة، وأتم به الناقصة، وأذهب به اللوم، فلا لوم على مسلم، إنما اللوم لوم الجاهليَّة))[٤]. وقال النَّبيّ ﷺ : ((إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما

---

(١) تقدَّم تخريجه ص ٢٧١.

(٢) تقدَّم تخريجه ص ٢٧٢.

(٣) تقدَّم تخريجه ص ٢٧٢.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره : (١٦/ ٣٤٦) . ولم أجده في كتب الحديث بهذا اللفظ.

أتقي))[١]، ولذلك كان أكرم البشر على الله تعالى[٢].

ومن دلالات وخواطر سيد قطب حول هذه الآية قوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ ؛ يا أيها المختلفون أجناسا وألوانا، المتفرقون شعوبا وقبائل. إنكم من أصل واحد. فلا تختلفوا ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بددا، يا أيها النَّاس. والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم.. من ذكر وأنثى.. وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوبا وقبائل. إنها ليست التناحر والخصام. إنما هي التعارف والوئام. فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي التراع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات. وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله. إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل النَّاس : ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ .. والكريم حقا هو الكريم عند الله. وهو يزنكم عن علم وعن خبرة بالقيم والموازين : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ..وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان[٣].

وهكذا تتوارى جميع أسباب التراع والخصومات في الأرض وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها النَّاس. ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون: ألوهية الله للجميع، وخلقهم من أصل واحد. كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته: لواء التقوى في ظل الله. وهذا هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقابيل العصبيَّة للجنس، والعصبية للأرض، والعصبية للقبيلة، والعصبية للبيت. وكلها من الجاهليَّة وإليها، تتزيّا بشتى الأزياء، وتسمى بشتى الأسماء. وكلها جاهلية عارية من الإسلام! وقد حارب الإسلام هذه العصبيَّة الجاهليَّة في كل صورها وأشكالها، ليقيم نظامه الإنساني العالمي في ظل راية واحدة:

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الصيام ، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ، برقم : (١١١٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتب المصرية القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٦/٣٤٠-٣٤٨.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ، ٣٣٤٨/٦.

راية الله.. لا راية الوطنية. ولا راية القومية، ولا راية البيت، ولا راية الجنس، فكلها رايات زائفة لا يعرفها الإسلام.

قال ﷺ عن العصبيَّة الجاهليَّة: ((دعوها فإنها منتنة))[1]، وهذه هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي. المجتمع الإنساني العالمي، الذي تحاول البشرية في خيالها المحلق أن تحقق لونا من ألوانه فتخفق، لأنها لا تسلك إليه الطريق الواحد الواصل المستقيم.. الطريق إلى الله.. ولأنها لا تقف تحت الراية الواحدة المجمعة.. راية الله..[2].

وإذا أردت أن تعرف صورة العصبيَّة القبليَّة في الإسلام فاقرأ قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ... ﴾ والآية هنا تشير إلى أربعة عناصر كل واحد منها يمثل دلالة جوهرية في صياغة المعنى وهي : ١ـ النَّاس ٢ـ شعوبا وقبائل ٣ـ التعارف ٤ـ الإكرام، فالعنصر الأول جرى توجيه النداء إلى النَّاس مع أن الآيات الأربع التي قبلها ابتدأت يا أيها الذين آمنوا وهذا النداء الخامس جاء بلفظ عموم النَّاس وما فيه حكم كوني عام شامل للبشر، وهنا جاء مطلقا وهذا يقودنا للعنصر الثاني الشعوب والقبائل، وهنا أرى أنها للعموم والشمول أيضاً، فشعوب تعني بطون العجم وقبائل تعني بطون العرب وقد أشار ابن كثير لهذا وترك التخصيص إشارة تعميم قطعي وتأكيد، فانتساب الخلق إلى الله يزيد من عموميته، أما العنصر الثالث : فهو التعارف وهو الغرض من توزيع النَّاس لشعوب وقبائل أي بناء نظام من العلاقات الاجتماعيَّة كل حسب ما يماثله ويشابهه، والعنصر الأخير : الأكرم وهو عنصر المفاصلة وهي صيغة لاحقة لشرط الخلق ولاحقة لشرط عموم النَّاس ولاحقة لشرط التعارف وهو التساوي في كل هذه الشروط والأكرم بصيغة التَّفاضل هو الأتقى عند الله وفي مقياسه وليس ما عند النَّاس وفي مقياسهم[3].

٢ – قال الله تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ

(١) تقدم تخريجها ص ٣٣.

(٢) المرجع السابق، ٦/٣٣٤٩.

(٣) انظر، القبيلة والقبائلية، الغذامي، باختصار، ص٧٦-٧٩.

فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾[الفتح: ٢٦]. والحمية الأنفة يقال: حميت عن كذا حمية إذا أنفت منه وداخلك عار منه، وقال الراغب: عبر عن القوة الغضبية إذا ثارت وكثرت بالحمية فقيل: حميت على فلان أي غضبت عليه، وقوله تعالى: حَمِيَّةَ الْجاهِلِيَّةِ بدل من الحمية أي حمية الملة الجاهليَّة أو الحمية الناشئة من الجاهليَّة لأنها بغير حجة وفي غير موضعها(١).

قال شيخ الإسلام : "إن ما كان من أمر الجاهليَّة وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهليَّة ذم لها، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهليَّة خرج مخرج الذم، وهذا كقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]؛ فإن في ذلك ذما للتبرج وذما لحال الجاهليَّة الأولى، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة. ومنه قوله لأبي ذر رضي الله عنه لما عير رجلا بأمه : ((إنك امرؤ فيك جاهلية))(٢)؛ فإنه ذم لذلك الخلق ولأخلاق الجاهليَّة التي لم يجئ بها الإسلام. ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾[الفتح: ٢٦]؛ فإن إضافة الحمية إلى الجاهليَّة اقتضى ذمها فما كان من أخلاقهم وأفعالهم، فهو كذلك"(٣).

ويقول ابن عاشور " إضافة الحمية إلى الجاهليَّة لقصد تحقيرها وتشنيعها فإنها من خلق أهل الجاهليَّة، فإن ذلك انتساب ذم في اصطلاح القرآن كقوله: يظنون بالله غير الحق ظن الجاهليَّة وقوله: أفحكم الجاهليَّة يبغون، وضدها السكينة: الثبات والأناة، أي جعل في قلوبهم التأني وصرف عنهم العجلة، فعصمهم من مقابلة الحمية بالغضب والانتقام فقابلوا الحمية

---

(١) روح المعاني، الألوسي، ١٣/٢٦٩.

(٢) تقدم تخريجه ص ٧٦.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيميَّة، ١/٢٣٥.

بالتعقل والتثبت فكان في ذلك خير كثير "[1].

٣ – قال تعالى : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٣].

وقد ذكر الطبري في تفسيره عددًا من الآثار توضح لنا المعنى قال : "وتأويل ذلك: واذكروا، أيها المؤمنون، نعمة الله عليكم التي أنعم بها عليكم، حين كنتم أعداء في شرككم، يقتل بعضكم بعضا، عصبيَّة في غير طاعة الله ولا طاعة رسوله، فألف الله بالإسلام بين قلوبكم، فجعل بعضكم لبعض إخوانا بعد إذ كنتم أعداء تتواصلون بألفة الإسلام واجتماع كلمتكم عليه .

وعن قتادة، قوله : ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ ﴾؛ كنتم تذابحون فيها، يأكل شديدكم ضعيفكم، حتى جاء الله بالإسلام، فآخى به بينكم، وألف به بينكم. أما والله الذي لا إله إلا هو، إن الألفة لرحمة، وإن الفرقة لعذاب.

وذكر عن ابن إسحاق: كانت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين ومائة سنة، حتى قام الإسلام وهم على ذلك، فكانت حربهم بينهم وهم إخوان لأب وأم، فلم يسمع بقوم كان بينهم من العداوة والحرب ما كان بينهم. ثم إن الله عز وجل أطفأ ذلك بالإسلام، وألف بينهم برسوله محمد ﷺ، وعن قتادة : ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ ؛ إن الله عز وجل قد كره لكم الفرقة، وقدم إليكم فيها، وحذركموها، ونهاكم عنها، ورضي لكم السمع والطاعة والألفة والجماعة، فارضوا لأنفسكم ما رضي الله لكم إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله.

وأما قوله : ﴿فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾؛ فإنه يعني: فأصبحتم بتأليف الله عز وجل بينكم بالإسلام وكلمة الحق، والتعاون على نصرة أهل الإيمان، والتآزر على من خالفكم من

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية تونس، ١٩٤/٢٦.

أهل الكفر، إخوانا متصادقين، لا ضغائن بينكم ولا تحاسد وقال :حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا حسن بن حي : ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ ؛ قال: العصبيَّة .

والقول في تأويل قوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣]:

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿كَذَٰلِكَ ﴾ ؛ كما بين لكم ربكم في هذه الآيات، أيها المؤمنون من الأوس والخزرج، من غل اليهود الذي يضمرونه لكم، وغشهم لكم، وأمره إياكم بما أمركم به فيها، ونهيه لكم عما نهاكم عنه، والحال التي كنتم عليها في جاهليتكم، والتي صرتم إليها في إسلامكم معرفكم في كل ذلك مواقع نعمة قبلكم، وصنائعه لديكم، فكذلك يبين سائر حججه لكم في تتريله وعلى لسان رسوله ﷺ . ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ؛ يعني: لتهتدوا إلى سبيل الرشاد وتسلكوها، فلا تضلوا عنها(١).

قال ابن كثير في تفسيره : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[آل عمران: ١٠٣]؛ قيل بحبل الله أي: بعهد الله، كما قال في الآية بعدها : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾[آل عمران: ١١٢]؛ أي بعهد وذمة وقيل: بحبل من الله يعني: القرآن، كما في حديث الحارث الأعور، عن علي مرفوعا في صفة القرآن : ((هو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم))(٢)، وقد ورد في ذلك حديث خاص بهذا المعنى، قال رسول الله ﷺ : ((كتاب الله، هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض))(٣)، وقوله : ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ؛ أي أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف فعن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: ((إن

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر، الرسالة ط١، ١٤٢٠، ٧/٧٧-٨٩.

(٢) رواه الترمذي ، أبواب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل القرآن ، برقم : (٢٩٠٦). وضعّفه الألباني.

(٣) تقدَّم تخريجه ص ١٩٧.

الله يرضى لكم ثلاثا، ويسخط لكم ثلاثا، يرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم؛ ويسخط لكم ثلاثا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال »(١)(٢).

وقيل :الحبل هو السبب الذي يتوصل به إلى البغية، وسمي الإيمان حبلا؛ لأنه سبب يتوصل به إلى زوال الخوف من النار، واختلفوا في معناه هاهنا، قال ابن عباس : معناه تمسكوا بدين الله، وقال ابن مسعود: هو الجماعة، وقال: عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة(٣).

٤ – قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾ [الحجرات: ١١].

واختلف في سبب نزولها، فقال ابن عباس: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس كان في أذنه وقر، فإذا سبقوه إلى مجلس النَّبيّ ﷺ أوسعوا له إذا أتى حتى يجلس إلى جنبه ليسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النَّبيّ ﷺ، فلما انصرف النَّبيّ ﷺ أخذ أصحابه مجالسهم منه، فربض كل رجل منهم بمجلسه، وعضوا فيه فلا يكاد يوسع أحد لأحد حتى يظل الرجل لا يجد مجلسا فيظل قائما، فلما انصرف ثابت من الصلاة تخطى رقاب النَّاس ويقول: تفسحوا تفسحوا، ففسحوا له حتى انتهى إلى النَّبيّ ﷺ وبينه وبينه رجل فقال له: تفسح. فقال له الرجل: قد وجدت مجلسا فاجلس! فجلس ثابت من خلفه مغضبا، ثم قال: من هذا؟ قالوا فلان، فقال ثابت: ابن فلانة! يعيره بها، يعني أمًّا له في الجاهليَّة، فاستحيا الرجل، فنزلت. وقال الضحاك: نزلت في وفد بني تميم الذي تقدم ذكرهم في أول"

(١) رواه مسلم ، كتاب الأقضية ، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة ... ، برقم : (١٧١٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/٨٩.

(٣) معالم التتريل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين البغوي، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ١/٤٨٠.

السورة" استهزأوا بفقراء الصحابة، مثل عمار وخباب وابن فهيرة وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم، لما رأوا من رثاثة حالهم، فترلت في الذين آمنوا منهم. وقال مجاهد: هو سخرية الغني من الفقير. وقال ابن زيد: لا يسخر من ستر الله عليه ذنوبه ممن كشفه الله، فلعل إظهار ذنوبه في الدنيا خير له في الآخرة. وقيل: نزلت في عكرمة بن أبي جهل حين قدم المدينة مسلما، وكان المسلمون إذا رأوه قالوا ابن فرعون هذه الأُمَّة. فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ فترلت[1].

وقوله " ولا نساء من نساء " قال المفسرون: نزلت في امرأتين من أزواج النَّبيّ ﷺ سخرتا من أم سلمة، وذلك أنها ربطت خصريها بسبيبة- وهو ثوب أبيض، ومثلها السب- وسدلت طرفيها خلفها فكانت تجرها، فقالت عائشة لحفصة رضي الله عنهما: انظري! ما تجر خلفها كأنه لسان كلب، فهذه كانت سخريتهما. وقال أنس وابن زيد: نزلت في نساء النَّبيّ ﷺ، عيرن أم سلمة بالقصر. وقيل: نزلت في عائشة، أشارت بيدها إلى أم سلمة، يا نبي الله إنها لقصيرة. وقال عكرمة عن ابن عباس: « إن صفية بنت حيي بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن النساء يعيرنني، ويقلن لي يا يهودية بنت يهوديين! فقال رسول الله ﷺ هلا قلت : إن أبي هارون، وإن عمي موسى، وإن زوجي محمد ، فأنزل الله هذه الآية »[2].

تعالج سورة الحجرات العادات والتقاليد والأعراف السيئة التي نشأت عليها الجاهليَّة من غلظة وفظاظة وإشاعة وصراعات وسخرية وسوء ظن وتجسس وغيبة وتفاخر وتظاهر وتخاذل ومنّ وأذى كل ذلك كان موجوداً في العصبيَّة الجاهليَّة فترلت سورة الحجرات لتقضي على أخلاقيات الجاهليَّة وتحل محلها أخلاقيات هذا الدين الجديد[3].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٦/٣٢٣-٣٢٤.

(٢) المرجع السابق، ١٦/٣٢٧.

ولم أجد الأثر في كتب الحديث بهذا اللفظ.

(٣) دراسة علمية بعنوان " التربية الأخلاقيَّة في ضوء سورة الحجرات " د . عبد السَّلام حمدان اللوح، مقدم =

٥ – قال الله تعالى : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال في الجامع لأحكام القرآن[(١)] في تفسير هذه الآية : ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ﴾، أي ولو كان المحادون لله ورسوله آباء الموادين الخ، فإن الإيمان يزجر عن ذلك ويمنع منه ورعايته أقوى من رعاية الأبوة والبنوة والأخوة والعشيرة، وقدم أولا الآباء لأنهم يجب طاعتهم، ثم ثنى بالأبناء لأنهم أعلق بالقلب، ثم ثلث بالإخوان لأنهم الناصرون بمترلة العضد من الذراع، ثم ربع بالعشيرة لأن بها يستغاث وعليها يعتمد أفاده السمين، روي عن ابن مسعود في هذه الآية قال: ولو كانوا آباءهم يعني أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه الجراح، أو أبناءهم يعني أبا بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر للبراز، وقال: يا رسول الله دعني أكن في الرعلة الأولى، فقال له رسول الله ﷺ : متعنا بنفسك يا أبا بكر أو إخوانهم يعني مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، أو عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاصي بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلي بن أبي طالب وحمزة وأبو عبيدة قتلوا بني عمهم عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر"[(٢)].

قال ابن كثير : أي: لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٨]،

=

للمؤتمر التربوي الاول بالجامعة الإسلاميّة بغزه، ٢٣-٢٠٠٤/١١/٢٤م، ص ٣١٧.

(١) للقرطبي.

(٢) أحكام القرآن، القرطبي، ٣٠٧/١٧.

ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ المسلمين في أسارى بدر، فأشار الصديق بأن يفادوا، فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بنو العم والعشيرة، ولعل الله أن يهديهم. وقال عمر: لا أرى ما رآى يا رسول الله، هلا تمكني من فلان-قريب لعمر-فأقتله، وتمكن عليا من عقيل، وتمكن فلانا من فلان، ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين... القصة بكاملها. وفي قوله: "رضي الله عنهم ورضوا عنه" سر بديع، وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم، والفضل العميم(١).

٦ – قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[التوبة: ٢٤].

﴿ قُلْ ﴾ -يا أيها الرسول- للمؤمنين: إن فضلتم الآباء والأبناء والإخوان والزوجات والقرابات والأموال التي جمعتموها والتجارة التي تخافون عدم رواجها والبيوت الفارهة التي أقمتم فيها، إن فضلتم ذلك على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله فانتظروا عقاب الله ونكاله بكم. والله لا يوفق الخارجين عن طاعته(٢).

وهنا إشارة في قوله تعالى : ﴿إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾ إلى رابطة النسب، وفي قوله تعالى : ﴿وَأَزْوَٰجُكُمْ ﴾، إشارة إلى رابطة المصاهرة، وفي قوله تعالى : ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾ إشارة إلى رابطة القبيلة، وفي قوله تعالى : ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ ﴾ إشارة إلى رابطة الأرض والوطنية، وفي قوله تعالى : ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾ إشارة إلى رابطة المصالح، وفي قوله تعالى : ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/٥٤-٥٥.

(٢) التفسير الميسر، نخبة من العلماء، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ط٢، ١٤٣٠هـ، ١/١٩٠.

وَرَسُولِهِۦ ﴾ تقرير لمبدأ العقيدة والأخوَّة الإسلاميَّة(١).

٧ – قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾[الأحزاب: ٣٧].

نزلت هذه الآية والتي قبلها في زينب بنت جحش الأسدية وأخيها عبد الله بن جحش وأمها أمية بنت عبد المطلب عمة النَّبيّ ﷺ خطب رسول الله ﷺ زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله ﷺ اشترى زيدا في الجاهليَّة بعكاظ فأعتقه وتبناه، فلما خطب رسول الله ﷺ زينب رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد أبت وقالت: أنا ابنة عمتك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة فيها حدة، وكذلك كره أخوها ذلك، فأنزل الله عز وجل: وما كان لمؤمن، يعني عبد الله بن جحش، ولا مؤمنة يعني أخته زينب، إذا قضى الله ورسوله أمرا، أي إذا أراد الله ورسوله أمرا وهو نكاح زينب لزيد، أن يكون لهم الخيرة من أمرهم(٢).

وفي روائع البيان قال : " وقد أراد الله امتحانها بزواج زيد لتحطيم مبدأ (العصبيَّة القبليَّة) والشرف الجاهلي، وجعل الإسلام الشرف في (الدين والتقوى) فحين عرض الرسول على (زينب) الزواج من (زيد) امتنعت واستنكفت اعتزازا بنسبها وشرفها فنزلت الآية(٣).

٨ – قال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[المؤمنون: ١٠١].

---

(١) الأخوَّة الإسلاميَّة، عبد الله علوان، ٣٧.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ٦٤١/٣.

(٣) روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، دمشق، ط٣، ١٤٠٠هـ، طبع على نفقة حسن شربتلي، ٣٣٤/٢.

المراد بنفي الأنساب انقطاع آثارها، التي كانت مترتبة عليها في دار الدنيا، من التَّفاخر بالآباء، والنفع والعواطف والصلات، فكل ذلك ينقطع يوم القيامة، ويكون الإنسان لا يهمه إلا نفسه[١].

٩ – قال تعالى : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥٢].

ومعناه "إذا قلتم بقول في خير أو شهادة أو جرح أو تعديل فاعدلوا فيه وتحروا الصواب، ولا تتعصبوا في ذلك لقريب ولا على بعيد، ولا تميلوا إلى صديق ولا على عدو، بل سووا بين النَّاس فإن ذلك من العدل الذي أمر الله به، والضمير في (ولو كان) راجع إلى ما يفيده وإذا قلتم فإنه لا بُدَّ للقول من مقول فيه، أو مقول له: أي ولو كان المقول فيه، أو المقول له ذا قربى أي صاحب قرابة لكم، وقيل إن المعنى: ولو كان الحق على مثل قراباتكم والأول أولى، ومثل هذه الآية قوله :﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]"[٢].

١٠ – قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

إنه الخطاب «للناس» .. بصفتهم هذه، لردهم جميعا إلى ربهم الذي خلقهم.. والذي خلقهم «من نفس واحدة» .. «وخلق منها زوجها. وبث منهما رجالا كثيرا ونساء» ..

إن هذه الحقائق الفطرية البسيطة لهي حقائق كبيرة جدا، وعميقة جدا، وثقيلة جدا.. ولو ألقى «النَّاس» أسماعهم وقلوبهم إليها لكانت كفيلة بإحداث تغييرات ضخمة في حياتهم، وبنقلهم من الجاهليَّة– أو من الجاهليات المختلفة– إلى الإيمان والرشد والهدى، وإلى الحضارة

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ، ٣٥٦/٥.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ٢٠٢/٢.

الحقيقية اللائقة «بالناس» و «بالنفس» واللائقة بالخلق الذي ربه وخالقه هو الله.. كما أنها توحي بأن هذه البشرية التي صدرت من إرادة واحدة، تتصل في رحم واحدة، وتلتقي في وشيجة واحدة، وتنبثق من أصل واحد، وتنتسب إلى نسب واحد واستقرار هذه الحقيقة كان كفيلا باستبعاد الصراع العنصري، الذي ذاقت منه البشرية ما ذاقت، وما تزال تتجرع منه حتى اللحظة الحاضرة في الجاهليَّة الحديثة، التي تفرق بين الألوان، وتفرق بين العناصر، وتقيم كيانها على أساس هذه التفرقة، وتذكر النسبة إلى الجنس والقوم، وتنسى النسبة إلى الإنسانية الواحدة والربوبية الواحدة[(١)].

الخالق واحد والنفس الإنسانية واحدة ومن هذه النفس خلق الله زوجها ومن هذه الأسرة جاء النَّاس : رجالاً كثيراً ونساء ثم يأمرنا الله بأن نتقي أمرين : الله، والأرحام، والأرحام هنا دلالة على الصلة الإنسانية التي تربط النَّاس جميعاً يعضهم ببعض دون نظر إلى التمايز والتعصب مهما تناءت الديار وتعاقبت العصور واختلفت الألسنة والألوان، وتباين الوضع الاقتصادي والاجتماعي نحن مأمورون بأن نتقي الله في أوامره والتطبيق الأول لتقوى الله هو رعاية الإخاء الإنساني الكبير الذي يعقب عليه الله بقوله :﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١] "[(٢)].

١١ – قال تعالى : ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٢ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

جاء الأقرع ابن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدا النَّبيّ ﷺ قاعدا مع بلال، وصهيب، وعمار، وخباب في أناس ضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه فخلوا به فقالوا: نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا قعودا مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا فإذا نحن

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/٥٧٦.

(٢) انظر، الإسلام والتفرقة العنصرية، عبد العزيز كامل، مطابع دار المعارف بمصر، ٢٧-٢٨.

فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال : نعم قالوا : فاكتب لنا عليك بذلك كتابا فدعا بالصحيفة ودعا عليا كرم الله تعالى وجهه ليكتب ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبرائيل بهذه الآية ولا تطرد الذين... إلخ[١].

مر الملأ من قريش برسول الله ﷺ، وعنده: صهيب، وبلال، وعمار، وخباب، وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا؟ ونحن نكون تبعا لهؤلاء؟ اطردهم عنك، فلعلك إن طردهم أن نتبعك، فنزلت هذه الآية[٢]، وقوله: "ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه" أي: لا تبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفة عنك، بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك، كما قال تعالى : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

المطلب الثاني : علاج السيرة النبوية للعصبيَّة القبليَّة

كان محور رسالة كل نبي نشر التوحيد أولا ثم علاج الأمراض الاجتماعيَّة الشائعة في عصره فمثلا كان نبي الله شعيب عليه السلام يدعو قومه إلى التوحيد ثم إنه عالج مرضا اجتماعيا وهو (مرض الفساد المالي) فقال تعالى مخبرا عنه : ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥﴾ [الأعراف: ٨٥].

---

(١) انظر، روح المعاني، الألوسي، ١٥٠/٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٦٠/٣.

وكان نبي الله لوط عليه السلام يدعو قومه إلى التوحيد أوّلاً، وثانيا كان يعالج مرضا اجتماعيا هو (الفساد الأخلاقي) قال تعالى مخبرا عنه : ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأعراف: ٨١]، ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النمل: ٥٥].

وكان نبي الله محمد عليه الصلاة والسلام يدعو النَّاس إلى التوحيد ثم عالج أمراضًا اجتماعيّة كثيرة الخطورة ، منها مرض العصبيّة القبليّة ، والذي من شأنه تمزيق وحدة المسلمين وهو(مرض سرطان القبليَّة والعصبية) .

إن الروح الإيمانية التي دعى إليها الحبيب ﷺ، وهذا الانضواء تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، خلَّص المجتمع الجديد من عصبيات قاتلة، بمجرد أن عاشوا حقيقة هذه الشهادة وإن الأخوة التي قامت بين المهاجرين والأنصار كانت دليلاً حاسماً على قيام دولة العقيدة ونشوء مجتمع قضى على رواسب العصبيَّة الجاهليَّة وفي خطبة الوداع وضع المصطفى ﷺ أسس التجمع العقيدي الصحيح إذ قال : ((وكل دم في الجاهليَّة موضوع، وأول دم أضعه : دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لم تضلوا، كتاب الله وأنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت))[(١)][(٢)].

لقد غير النبي ﷺ روح العصبيَّة التي كانت في المجتمع الجاهلي، إذ بدأ بغرس رابطة الدين، ووشيجة العقيدة، وهى أساس كل تغيير " إن الوشيجة التي يتجمع عليها النَّاس في هذا الدين، ليست وشيجة الدم والنسب، وليست وشيجة الأرض والوطن، وليست وشيجة القوم والعشيرة، وليست وشيجة اللون واللغة ولا الجنس والعنصر، ولا الحرفة والطبقة إنها وشيجة العقيدة، أما الوشائج الأخرى فقد توجد ثم تنقطع العلاقة بين الفرد والفرد يبين الله

---

(١) رواه أبو داود ، كتاب المناسك ، باب صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم ، برقم : (١٩٠٥) ، وصححه الألباني.

(٢) مقال، كيف عالج الإسلام القبليَّة، محمد الناصر، العدد السابع، ذو الحجة، ١٤٠٧هـ، ص٥٣.

لـــنوح – عليه السلام – لماذا لا يكون ابنه من أهله "إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ" فوشيجة الإيمان قد انقطعت بينكما " فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ " إنه ليس من أهلك ولو كان هو ابنك من صلبك، وامرأة فرعون التي طلبت من ربها أن ينجيها من فرعون وعمله وأن ينجيها من القوم الظالمين، إنها امرأة واحدة في مملكة عريضة قوية وقفت وحدها في وسط ضغط المجتمع وضغط القصر وضغط الملك وضغط الحاشية ورفعت رأسها للسماء !! إنه التجرد الكامـــل من كل هذه المؤثرات والأواصر "(١).

لقد عالج عليه الصلاة والسلام الأمراض الأخلاقية والمشكلات الاجتماعيَّة ووجهها إلى أقوم طريق، فوجه الغرائز البشرية والطبائع الإنسانية إلى المنهج السوي الصالح، فهو لا يقاوم الرغبات، بل يقومها، ولا يناهض الطبائع والعادات بل ينهض بها، ولا يقتل الحيوية الموجودة في النفوس إذا ما جمحت، أو يترل به إلى الدرك الأسفل، وإنما هو يحييهـــا ويســـمو بهـــا ويعليها(٢).

ثم عالج عليه الصلاة والسلام العصبيَّة القبليَّة في نفوس العرب على هذا الأساس السليم، فوجهها إلى الناحية الصالحة المستقيمة، وحول ذلك التيار القوي الذي كان يغذيها إلى اتجاه يوصل إلى غاية مجيدة ... فبعد أن كانت غاية المرء في الجاهليَّة هي نصرة قبيلته، والدفاع عن أهله وعشيرته مهما نأوا عن الحق وتشبثوا بالباطل، أصبحت الغاية في الإسلام هي نصـــرة الحق على الباطل – ولو حارب المرء في هذا السبيل أهله وبنيه، وتبرأ من أمه وأبيه وفصيلته التي تؤويه، وبذلك صارت الحمية في الجاهليَّة عزة إسلامية وأخوة دينية، وأصبح التنـــافس القبلي البغيض تنافسا رشيدا يسعى إلى التعمير لا التدمير، ويهدف إلى الإنشاء، وكان أعداء الإسلام ينتهزون الفرصة فيشعلون النار كلما خمدت، ويحركون الفتنة كلما همدت، لينالوا من العرب، ويقيموا على أنقاض هذا الضعف قوة لهم، وفي وسط هذا الشر المطبق والفـــتن

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٨٨٦/٤ و ٣٦٢٢/٦.

(٢) انظر: القول المبين في سيرة سيد المرسلين، محمد الطيب النجار، دار الندوة الجديدة، بـــيروت، ص ١٩٩- ٢٠٠.

المتكاثفة، ومن خلال هذا الضباب المتراكم لاح بريق الأمل، وأقبل الحق المطارد في مكة يسعى إلى يثرب، يسوقه الباطل بجحافله كما تسوق الرياح العاتية الصيب الهتون، وجاء محمد بن عبد الله ﷺ إلى المدينة بالهدى والرشاد، فقضى على الفرقة وجمع الشتات، وأحيا الله به القلوب الموات: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وكان من الطبيعي أن يحول عليه الصلاة والسلام ذلك التيار القوي الذي يغذي العصبيَّة القبليَّة في نفوس الأوس والخزرج إلى وجهة كريمة هي الغيرة المحمودة والتنافس الشريف الذي يسعى لأجل قصد وأنبل غاية، وهي إعلاء كلمة الإسلام والقضاء على أعدائه الألداء في كل مكان[(١)].

وعندما هاجر الرَّسول ﷺ من مكة إلى المدينة وتتابع المهاجرون رأى عليه الصلاة والسلام أحكاما للنظام في المدينة تربط بين الفئات فأصبح يتآلف منها سكانها من مهاجرين وأنصار ويهود فكتب لأول قدومه المدينة كتابه المشهور الذي نجد في ديباجته هذه العبارة "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النَّبيّ ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون النَّاس" فكان دستوراً يضعه الرسول للأمة وأول وثيقة بين المهاجرين والأنصار واليهود وكافة القبائل[(٢)].

لقد حارب الرَّسول ﷺ النزعات العصبيَّة والروح القبليَّة إذ أنها كانت تحول في العصر الجاهلي دون توحد القبائل العربية وجمع شملها في أمة واحدة، وهي التي أوجدت حالة عداء دائم بين قبائل العرب، وأدت إلى إثارة الضغائن والأحقاد، وإلى اتصال الحروب والوقائع بينهما طوال ذلك العصر، فكان لابد من شن حرب عنيفة لا هوادة فيها لاقتلاع جذورها

---

(١) انظر: القول المبين في سيرة سيد المرسلين، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٢) انظر، سيرة ابن هشام، ص ٥٠١، و الإسلام والعنصرية، قاره، ص ٨٥، والإسلام والمشكلة العنصرية، العبادي، ص٦٢.

من نفوس العرب وإحلال مشاعر الأخوة والوئام بينهم محل مشاعر العداوة والبغضاء(١).

وحرص الرسول الكريم ﷺ في بعض كتبه وعهوده التي وجهها إلى القبائل على التحذير من الدَّعوة القبليَّة والحث على تغليب داعي الدين على العصبيَّة فجاء في عهده إلى بني الحارث بن كعب قوله : « وينهى إذا كان بين النَّاس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطعوا بالسيوف »(٢).

ولقد آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلا نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥ ﴾[الأنفال: ٧٥]؛ رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة(٣).

إن رسول الله ﷺ لما دخل مكة أمر بلالا، فعلا على الكعبة على ظهرها فأذن عليها بالصلاة، فقال بعض بني سعيد بن العاص: لقد أكرم الله سعيدا إذ قبضه قبل أن يسمع هذا الأسود على ظهر الكعبة وعن عروة عن أبيه: « أن رسول الله ﷺ أمر بلالا عام الفتح فأذن على الكعبة؛ ليغيظ به المشركين »(٤)(٥)، وهنا أعطى رسول الله ﷺ درساً بليغاً وتطبيقاً عملياً بأن الشرف والكرامة والعز إنما تكون بالتقوى وليس للعصبيَّة الجاهليَّة البغيضة وجود بعد هذا الفتح العظيم فلا تمييز بين حر وعبد ولا أبيض ولا أسود ولا تفاخر بالقبيلة ولا تكاثر بها، فهذا بلال يصعد ويرتقي على ظهر أطهر بيت على وجه الأرض .

---

(١) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعرالأموي، النص، ١٧٥.

(٢) انظر تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٦/٢.

(٣) انظر، زاد المعاد، ابن القيم، ٥٧/٣.

(٤) الحديث عند أبي داود في المراسيل : (٨٣/١) ، برقم : (٢٣). بدون زيادة (ليغيظ به المشركين).

(٥) انظر، البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٤٨/٤.

وفي ذات اليوم - فتح مكة - يدخل النَّبيّ ﷺ الكعبة ويصلي فيها، ولك أن تتفكر من هي الشخصيات المتوقعة التي حظيت بشرف مرافقته في دخوله هذا، والذي أغلق عليه الباب بعد دخوله ومن معه لعله أبو بكر وعمر رضي الله عنهما؟ كلا .. إذن لعله صهره وزوج ابنتيه ذي النورين: عثمان، وابن عمه علي رضي الله عنهما؟ كلا .. إذن لعله دخل بعض مسلمة الفتح من أكابر قريش؟ كلا، بل لم يدخل معه سوى: أسامة بن زيد ـــ مولاه ابن مولاه ـــ وبلال الحبشي، وعثمان بن طلحة المسؤول عن مفتاح الكعبة، الله أكبر أي برهان عملي على إذابة المعايير الجاهليَّة أكبر من هذا؟ مع أن في الحضور من هو أفضل من بلال وأسامة كالخلفاء الأربعة، وبقية العشرة المبشرين(١).

وقف معي أيها القارئ الكريم في أعظم مشهد عرفته الدنيا في ذلك الوقت ... إنه مشهد حجة الوداع، ففي بعض مشاهد تلك الحجة، وبينما النَّاس مستعدون للنفير من عرفة، وإذا بالأبصار ترمق الدابة التي كان النَّبيّ ﷺ يركبها، ويتساءلون: من الذي سيحظى بشرف الارتداف مع النَّبيّ ﷺ ؟ فلم يرعهم إلا وأسامة ـــ ذلك الغلام الأسود: مولاه وابن مولاه ـــ يركب خلف النَّبيّ ﷺ والناس ينظرون. فعل هذا النَّبيّ ﷺ وهو الذي خطب ظهر ذلك اليوم خطبته العظيمة التي قرر فيها أصول التوحيد والإسلام، وهدم فيها أصول الشرك والجاهلية، وقال كلمته المشهورة: ((إن كل شيء من أمر الجاهليَّة تحت قدمي هاتين موضوع))(٢).

وهذه دار الأرقم التي جمعت بين أبي بكر القرشي وبلال الحبشي في مجلس واحد دليل على عالمية الدين ورفضه لأشكال التعصب المقيت، بل تجد أن الله يغضب على من أغضب بلالاً الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وذلك أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها فقال

---

(١) انظر، القبليَّة في ميزان الشرع وحقيقة تكافؤ النسب، البدراني، ٢-٣.

(٢) رواه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، برقم : (١٢١٨).

أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال : ((يا أبا بكر ! لعلك أغضبتهم ؟، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك))[(١)].

نعم لقد حول الرسول خامات الجاهليَّة إلى عجائب الإنسانية، فعمد إلى الذخائر البشرية وهي أكداس من المواد الخام لا يعرف أحد غناءها، ولا يعرف محلها وقد أضاعتها الجاهليَّة والكفر والإخلاد إلى الأرض فأوجد فيها بإذن الله الإيمان والعقيدة وبعث فيها الروح الجديدة، عمد إلى الأُمَّة العربية الضائعة وإلى أناس من غيرها فما لبث العالم أن رأى منهم نوابغ كانوا من عجائب الدهر وسوانح التاريخ، فأصبح عمر الذي كان يرعى الإبل لأبيه الخطاب وينهره وكان من أوساط قريش جلادة وصرامة، ولا يتبوأ منها المكانة العليا، ولا يحسب له أقرانه حساباً كبيراً، إذا به يفجأ العالم بعبقريته وعصاميته، ويدحر كسرى وقيصر عن عروشهما ويؤسس دولة إسلامية تجمع بين ممتلكاتهما وتفوقهما في الإدارة وحسن النظام فضلاً عن الورع والتقوى والعدل الذي لا يزال فيه المثل السائر[(٢)].

وهذا ابن الوليد كان أحد فرسان قريش الشبان انحصرت كفاءته الحربية في نطاق محلِّي ضيق يستعين به رؤساء قريش في المعارك القبليَّة، فينال ثقتهم وثناءهم، ولم يحرز الشهرة الفائقة في نواحي الجزيرة، إذ به يلمع سيفاً إلهياً لا يقوم له شيء إلا حصده، ويترل كصاعقة على الروم والفرس ويترك ذكراً خالداً في التاريخ[(٣)].

وهذا عمرو بن العاص كان يُعد من عقلاء قريش، وترسله في سفارتها إلى الحبشة تسترد المهاجرين المسلمين فيرجع خائباً، إذا به يفتح مصر وتصير له صولة عظيمة، وهذا سعد بن أبي وقاص لم نسمع به في التاريخ العربي قبل الإسلام كقائد جيش ورئيس كتيبة، إذا به يتقلد مفاتيح المدائن، وينيط باسمه فتح العراق وإيران،

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال، برقم : (٢٥٠٤).
(٢) انظر، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ١٠٢-١٠٣.
(٣) انظر، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ١٠٢-١٠٣.

وهذا سلمان الفارسي كان ابن موبذان في إحدى قرى فارس، لم يزل يتنقل من رق إلى رق ومن قسوة إلى قسوة، إذا به يطلع على أمته كحاكم لعاصمة الإمبراطورية الفارسية التي كان بالأمس أحد رعاياها، وأعجب من ذلك أن هذه الوظيفة لا تغير من زهادته وتقشفه فيراه النَّاس يسكن في كوخ ويحمل على رأسه الأثقال.

وهذا بلال الحبشي يبلغ من فضله وصلاحه مبلغاً يلقبه فيه أمير المؤمنين عمر بالسيد(١).

وهذا سالم مولى أبي حذيفة يرى فيه عمر موضعاً للخلافة يقول: لو كان حياً لاستخلفته، وهذا زيد بن حارثة يقود جيش المسلمين إلى مؤتة، وفيه مثل جعفر بن أبي طالب وخالد بن الوليد، ويقود ابنه أسامة جيشاً فيه مثل أبي بكر وعمر، لقد وضع محمد ﷺ مفتاح النبوة على قفل الطبيعة البشرية فانفتح على ما فيها من كنوز وعجائب وقوى ومواهب، أصاب الجاهليَّة في مقتلها أو صميمها، فأصمى رميته، وأرغم العالم العنيد بحول الله على أن ينحو نحواً جديداً ويفتتح عهداً سعيداً، ذلك هو العهد الإسلامي الذي لا يزال غرة في جبين التاريخ(٢).

لقد كانت قريش قبيلة ومكاناً حيث مكة دارهم وعصبة وجودهم، ولما جاء الرسول الكريم ﷺ غيّر مسمى القرشيين الذين جاؤوا إلى المدينة تغيرًا جذريًّا حيث اكتسبوا اسماً جديداً وهو (المهاجرين)، وحدث ذلك لقبيلتي الأوس والخزرج حيث صار لهم اسم جديد وهو (الأنصار)، وصار لبلدهم اسم جديد من يثرب التي تعني التشتيت والشتات إلى المدينة، وهو تغيّر في المكان وفي نفس الإنسان وأسرته وبيئته في عملية كسر للوثاق القبائلي، وتحول من نظام النسب إلى نظام الفكر والإيمان، وتغير مبدأ العصبيَّة ليكون مبدئيا و لم يكن قبائلياً، و لم تكن القبيلة كذلك شرطًا للحصول على هذه الصفة (المهاجرين والأنصار)، فكل من هاجر أو نصر فهو كذلك سواءً كان من قبيلة أو من غيرها، وفي ذلك تساوٍ بين

(١) المرجع السابق.

(٢) ا المرجع السابق.

النَّاس بناءً على العمل، في حين يتراجع النسب عن أن يكون أساساً للتقييم(١).

أما موقف الرسول من زعماء القبائل فقد وجد سادة القبائل العربية بعثة الرَّسول ﷺ خطراً يهد زعامتهم وسيادتهم، كما يهدد كيان القبائل واستقلالها، فكان موقف البعض منهم العداوة الصريحة والمناهضة السافرة، وحينها أدرك الرَّسول ﷺ بثاقب بصره أن حرص هؤلاء الزعماء على مراتب الشرف والرئاسة عقبة كؤود تعترض سبيل انتشار الدَّعوة الإسلاميَّة واعتناق القبائل لها، فرأى عليه الصلاة والسلام تذييل هذه العقبة وقام بتأليفهم وإعطائهم الهبات، وقسم لهم من الغنائم والفيء النصيب الأوفى، فلم يلغ الرسول الكريم ﷺ مراتب الشرف القبليَّة إلغاءً تاماً وإنما جعلها منوطة بحسن الإيمان وقوة العقيدة، فحين سأله قوم عن أكرم العرب كان جوابه : ((خيارهم في الجاهليَّة خيارهم في الإسلام إذا فقهوا))(٢). فكان يحرص على زعماء القبائل ويستميلهم ويوثق الصلات بهم(٣).

وكان عليه الصلاة والسلام ينزلهم منازلهم فيقول ﷺ : ((من دخل دار أبي سفيان فهو آمن))(٤).

وهنا يجدر الإشارة إلى أن هناك من تكون له نظرة سلبية وخاطئة في القبائل فتجده يعمم الأوصاف عليهم ويصفهم بالتخلف والرجعية، ويحتقرهم ويقول هؤلاء الأعراب والبدو ويكيل عليهم، وهذا خطأ فما كان عندهم من صواب فهو مقبول وما كان عندهم من مخالفات فهي مردودة لا تقبل منهم أو من غيرهم، وأيضاً يجب على القبائل كذلك أن تسعى للرقي بالقبيلة وأن تقلد القيادة والسيادة لمن هم أهل لها ويختارون المتعلمين الثقات الأمناء بدل أن تكون بالوراثة وتشجيع أبنائهم للعلم والتسلح به، والانتساب إلى القبيلة قدر كوني فالله تعالى هكذا خلق عباده شعوباً وقبائل، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ

(١) القبيلة والقبائلية، الغذامي، ١٢٣-١٢٤.

(٢) تقدَّم تخريجه ص ٢٠٧.

(٣) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، النص، ١٧٩-١٨٠.

(٤) رواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب فتح مكة ، برقم : (١٧٨٠).

وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

ومتى انتفت العصبيَّات المقيتة عن القبيلة أثمرت خيرا على المجتمع، فزادت بها وحدته وقويت بها شوكته، وصلح بها أمره، ومتى اقترنت بها تلك الآفات كانت آثارها على المجتمع مدمرة وسيئة .

وإذا كان اجتماع القبائل على الحقّ نصرة له ودفاعاً عن الدِّين ثم الوطن ؛كان لذلك نفع عظيم، ويشهد لذلك من الواقع موقف القبائل اليمنية واجتماعها وتوحدّها ضدّ الرّوافض ودفاعهم عن دينهم وبلادهم، وكذلك موقف العشائر السنية في العراق وتوحدّهم ضدّ الرّوافض ومخططاتهم.

المطلب الثالث : علاج الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم للعصبيَّة القبليَّة

لقد وقف خلفاء الرَّسول ﷺ وأصحابه من بعده نفس الموقف الذي وقفه الرسول ضد العصبيَّات القبليَّة والروح الجاهليَّة، فقد وجهوا هممهم إلى محاربة العصبيَّة والضرب على أيدي الداعين لها وحطموا عنجهية القبائل العربية وتفاخرها ووضعوا معايير لتقدير الرجال ومكانتهم غير معايير الحسب والنسب(١).

وقد كانت مواقف الصحابة ﭫ من العصبيَّة القبليَّة تطبيقات واقعية رائعة، تحمل العبر والمواعظ والقدوة مما يجب علينا أن نستلهمه في مواقفنا وحياتنا وسلوكنا وتصرفاتنا، وخاصة مما يدخل في باب العلاقات الاجتماعيَّة، ومن المعروف أن الصحابة رضي الله عنهم كان بينهم الأبيض والأسود والأحمر كما كان فيهم الغني والفقير والضعيف والقوي وصاحب النسب العالي، وكذلك المغمور، فضلا عن وجود أصحاب الحرف مما لا يخلو منه مجتمع قط وكل ذلك لم يعيره الصحابة ﭫ أي اهتمام وليس هو المقصد و لم يلتفتوا إليه بل كانت أحاسيسهم ومشاعرهم رفيعة المستوى، تعيش مع الروح في أشواقها وتطلعاتها إلى الملأ الأعلى فكانت الأخوة لسان حالهم وأقوالهم وأفعالهم يتعاملون في إطارها ويحتكمون إلى مقتضياتها

(١) العصبيَّة القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي، النص، ١٨٢.

ويتحاجون بمنطقها[١].

فقد وقف خليفة رسول الله أبو بكر الصديق ﷺ موقفاً صارماً لا هوادة فيه من حركة الردة، وأمر بقمعها بكل وسيلة؛ لأنه وجد فيها خطراً على كيان الدولة الإسلاميَّة الناشئة، كما رأى فيها ظاهرة قبلية خطيرة تهدد بعودة العرب سيرتها الأولى في الجاهليَّة من التنابذ والفرقة[٢].

فكان انتصار أبي بكر ﷺ على المرتدين هو انتصار للتيار الإسلامي على التيار القبلي، وشدّد رضي الله عنه فحارب العصبيَّة القبليَّة الذميمة، فقد عزل خالد بن سعيد بن العاص عن قيادة أحد الجيوش المتوجهة إلى الشام لما علم أنه يحمل أمره على المغالبة والتعصب، وقال ليزيد ابن أبي سفيان : إياك وعبية[٣] الجاهليَّة فإن الله يبغضها ويبغض أهلها، وأوصى أبا عبيدة بأن يحسن صحبة من صحبه، وليكن النَّاس عنده في الحق سواء، وقد أثبت أبو بكر ﷺ باختياره لعمر بن الخطاب خليفة للمسلمين أنه بعيد عن العصبيَّة وأهلها، كما أن ولاة أبي بكر كانوا من مختلف القبائل[٤].

وكان عمر ﷺ أشد قوة في قمع الدَّعوة العصبيَّة والنزعات القبليَّة، وفي تجاهل امتيازات الشرف الموروثة عن الجاهليَّة، ومن مواقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه في محاربة العصبيَّة ما قاله لجبلة بن الأيهم ملك غسان عندما قال له : "أتقتص مني وأنا ملك وهو سوقة ؟ فقال "الإسلام سوى بينكما" وقال قولته الخالدة لعمرو بن العاص والي مصر مستنكرا : "متى استعبدتم النَّاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟

وموقفه رضي الله عنه من شعر الهجاء الذميم وإثارة العصبيَّة موقفاً حازماً فقد حبس الحطيئة لهجائه الزبرقان بن بدر بدون حق، وشدد عليه السجن، وكان مُصراً على قطع لسانه لولا أنه استعطف وبكى، وتاب، فأخرجه من السجن بعد أن تعهد أن لا يهجو أحدًا

---

(١) العصبيَّة، عبدالملك الشيباني، ٨٩.

(٢) المرجع السابق.

(٣) عُبِّيَّةَ الجاهليَّة : هي الكبر والتفاخر والتعاظم، انظر، غريب الحديث، الخطابي، ١/٢٩٠.

(٤) العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، خريسات .، ٢١١-٢١٢.

من المسلمين" وكان جل شعراء الجاهليَّة دعاة عصبيَّة وملقحي فتن ومورثي أضغان[١].

وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال - يعلم النَّاس حقوقهم تجاه الأمـــراء - : ((يا أيها النَّاس! إني والله ما أرسل إليكم عمالاً ليضربوا أبشـــاركم، ولا ليأخـــذوا مـــن أموالكم، ولكني أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم. فمن فعل به شيء مـــن ذلـــك فليرفعه إليَّ، فو الذي نفس عمر بيده لأقصنه منه..."، فوثب عمرو بن العاص فقال: "يا أمير المؤمنين أرأيتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعيته، فأدب بعض رعيته، إنك لتقص منه؟ "، قال عمر: "أي والذي نفس عمر بيده، إذا لأقصنه منه، وكيف لا أقص منه، وقـــد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه، ألا لا تضـــربوا النَّـــاس فتـــذلوهم، ولا تجمـــروهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم))[٢][٣].

(وكان عمر بن الخطاب يأمر قضاته وولاته أن يعاقبوا من ينادي بالعصـــبية الجاهليَّـــة حسماً لمادة الفساد، ولقد روي أن أبا موسى الأشعري عاقب النابغة الجعدي بجلده خمسين جلده؛ لأنه اشتد بعصبية وقال يا لعامر)[٤]، وكتب الفاروق رضي الله عنـــه في إحـــدى رسائله الموجهة إلى أحد قواده سعد بن أبي وقاص : ((وإذا كانت بين القبائل ثائرة – فتنـــة هائجة – وتداعوا يا آل فلان أي تنادوا بالعنصرية والعصبيَّة القبليَّة فإنما هي نجوى الشيطان، فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله وإلى الإمام، وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضبة – اســـم قبيلة – تداعوا : يا آل ضبة، وأني والله ما أعلم أن ضبة ساق الله بها خيراً، ولا منع بها مـــن سوء قط، فإذا جاءك كتابي هذا، فأنهكهم عقوبة حتى يفرقوا – يخـــافوا – إن لم يفقهـــوا

---

(١) لا للتعصب العرقي، عيد الدويهيس، http://www.saaid.net/.

(٢) رواه أبو داود ، كتاب الديات ، باب القود من الضربة ، وقص الأمير من نفسه ، بـــرقم : (٤٥٣٧) . وضعفه الألباني.

(٣) انظر، هذا الدين، سيد قطب، دار الشروق، ط٩، ١٤٠٧هـ، ٨٤-٨٥.

(٤) انظر، الوحدة الإسلاميَّة، أبو زهره، ١١٢.

...)) [1][2].

((واستأذن رجل على عمر بن الخطاب ﷺ فقال : استأذنوا لابن الأخيار، فقال عمر : ائذنوا له، فلما دخل قال له عمر : من أنت ؟ قال فلان بن فلان، قال : فجعل يعدّ رجـــالاً من أشراف الجاهليَّة، فقال عمر : أنت يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم؟! قـــال : لا، قال : ذاك ابن الأخيار، وأنت ابن الأشرار، إنما تعد عليَّ رجالًا من أهل النار))[3].

ومما يسطر لعمر بن الخطاب مقولته الشهيرة : ((أبو بكر سيدنا أعتق ســـيدنا، يعـــني بلالاً))[4] وهو عبد حبشي، وهذه صورة حية من واقع الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام تدل على أثر تعاليم الدين في نفوسهم .

وفي عهد عثمان بن عفان ﷺ ومع استقرار القبائل المهـــاجرة في أماكنـــها الجديـــدة واحتكاكها مع القبائل المجاورة إما عن طريق الجوار أو المصاهرة إلا أن القبائـــل لم تـــنس عصبيتها التي حملتها معها إلى المواطن الجديدة، بل زاد الأمر خطورة ظهور عصبيات جديدة تمثلت بالعصبية الإقليمية أو عصبيَّة الأمصار، فأصبح أهل الشام يتعصبون لمصرهم، وأهـــل العراق يتعصبون كذلك، وبعد كثرة الفتوحات الإسلاميَّة اتجهت القبائل للشـــام والعـــراق ومصر، ثم انقلبت العصبيَّة إلى عصبيَّة الأمصار بدلاً من عصبيَّة القبائل، وبدأ كـــل مصـــر يتعصب لمصره فافتخر كل مصر على الآخر في المكان والمكانة، وعـــن الأرض وخيراتهـــا وموقعها الجغرافي وظهر التعصب حتى في الروايات التاريخية وفي العلـــم والفكـــر كـــل إلى

---

(١) ذكره الجاحظ في البيان والتبيين : (٢/٢٠١).

(٢) الإسلام والعنصرية، قاره، ٨٤.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك : (٢/٣٧٨)، برقم : (٣٣٢٦) . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مســـلم ولم يخرجه . ووافقه الذهبي.

(٤) رواه البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، برقم : (٣٧٥٤).

مصره[1].

وكتب عثمان رضي الله عنه إلى جميع الأمصار كتاباً قال فيه: « إني آخذ عمالي بموافاتي كل موسم، وقد سلطت الأُمَّة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فلا يرفع عليَّ شيء ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته، وليس لي ولا لعمالي حق قبل الرعية لا متروك لهم، وقد رفع إلى أهل المدينة أن أقواماً يشتمون ويضربون، فمن ادعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم، يأخذ حقه حيث كان، مني أو من عمالي، أو تصدقوا، إن الله يجزي المتصدقين »[2][3].

وفي عهد علي رضي الله عنه اتسعت حدود العصبيَّات القبليَّة وانقسم عالم القبائل إلى ثلاث كتل : اليمن وربيعة ومضر هذا بالإضافة إلى العصبيَّة الإقليمية بين البصرة والكوفة، وقد شدّد رضي الله عنه وبين خطرها فقال " وإذا رأيتم النَّاس بينهم الثائرة وقد تداعوا إلى العشائر والقبائل فاقصدوا لهامهم ووجوههم بالسيف حتى يفزعوا إلى الله والي كتابه وسنة نبيه، فأما تلك الحمية من خطرات الشياطين "، وقال علي رضي الله عنه في خطبة أخرى بعد أن أوضح مساوئ العصبيَّة وأخطارها فإن كان لا بُدَّ من العصبيَّة فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الفعال"[4].

وتأمل معي أخي الكريم إلى ما قاله الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز في إنكاره للعصبيَّة القبليَّة حين كتب إلى الضحاك بن عبدا لرحمن ما نصه : « ثم إن ما هاجني على كتابي هذا أمر ذكر لي عن رجال من أهل البادية، ورجال أمروا حديثا، ظاهر جفاؤهم، قليل علمهم بأمر الله اغتروا فيه بالله غرة عظيمة، ونسوا فيه بلاءه نسيانا عظيما، وغيروا فيه

---

(١) العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، خريسات، ٢٤٨-٢٦٢.

(٢) ذكره الطبري في تاريخه : (٤/ ٣٤٢).

(٣) انظر، هذا الدين، سيد قطب، ٨٥.

(٤) انظر، العصبيَّة القبليَّة في صدر الإسلام، خريسات، ٥٦٦.

نعمه تغييرا لم يكن يصلح لهم أن يبلغوه، وذكر لي أن رجالا من أولئك يتحاربون إلى مضر وإلى اليمن، يزعمون أنهم ولاية على من سواهم، وسبحان الله وبحمده ما أبعدهم من شكر نعمة الله، وأقربهم من كل مهلكة مذلة وصغر، قاتلهم الله أية مترلة نزلوا، ومن أي أمان خرجوا، أو بأي أمر لصقوا، ولكن قد عرفت أن الشقي بنيته يشقى، وأن النار لم تخلق باطلا، أو لم يسمعوا إلى قول الله في كتابه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات: ١٠]، " وقوله : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وقد ذكر لي مع ذلك أن رجالا يتداعون إلى الحلف لا حلف في الإسلام قال: وما كان من حلف في الجاهليَّة فلم يزده الإسلام إلا شدة))[1].

فكان يرجو أحدا من الفريقين حفظ حلفه الفاجر الآثم الذي فيه معصية الله ومعصية رسوله، وقد ترك الإسلام حين انخلع منه وأنا أحذر كل من سمع كتابي هذا، ومن بلغه أن يتخذ غير الإسلام حصنا، أو دون الله ودون رسوله ودون المؤمنين وليجة، تحذيرا بعد تحذير، وأذكرهم تذكيرا بعد تذكير، وأشهد عليهم الذي هو آخذ بناصية كل دابة، والذي هو أقرب إلى كل عبد من حبل الوريد، وإني لم آلكم بالذي كتبت به إليكم نصحا، مع أني لو أعلم أن أحدا من النَّاس يحرك شيئا ليؤخذ له به، أو ليدفع عنه، أحرص – والله المستعان – على مذلته من كان: رجلا أو عشيرة أو قبيلة أو أكثر من ذلك، فادع إلى نصيحتي وما تقدمت إليكم به، فإنه هو الرشد ليس له خفاء ، ثم ليكون أهل البر وأهل الإيمان عونا بألسنتهم ، وإن كثيرا من النَّاس لا يعلمون. نسأل الله أن يخلف فيما بيننا بخير خلافة في ديننا وألفتنا وذات بيننا والسلام"[2].

---

(١) انظر، سيرة عمر بن عبد العزيز، أبي محمد عبد الله بن عبد الحكم، صححه أحمد عبيد، مكتبة وهبه بمصر، ط٢، ص٩٣.

(٢) المرجع السابق.

المطلب الرابع : تعزيز مبدأ الأخوة الإيمانية وإحلالها بدلاً من العصبيَّة القبليَّة :

الأخوة الإيمانية هي الرابطة السامية التي تربط بين المسلمين في العالم .. هـذه الرابطة المحكمة التي يمكن أن تقوم بين البشر جميعا على مختلف لغاتهم وأوطانهم وأنسابهم وألوانهم تحت شعار واحد وراية واحدة، شعار يستوي فيه البشر جميعا ولا يرتفع أحد بلونه أو نسبه أو وطنه بل كل هذه الاعتبارات لا قيمة لها أمام هذا الشعار السامي؛ لأنها من نتاج الجاهليَّة العمياء التي تذكى نار العداوة والبغضاء بتغذية هذه الاعتبارات ورفعها، شعار يرفع المظلوم الذي استضعفه المجتمع الجاهلي وهضمه حقوقه، وكبت فيه روح التنافس والطموح، إما لنسبه أو لونه أو غير ذلك من الاعتبارات والمقاييس الجاهليَّة فأحلَّه هذا الشعار السامي منزلة عالية، وسلمه قيادة البشرية، فإذا بالعبيد والمستضعفين من رجال الفكر الذين أَبعدهم المجتمع الجاهلي عن القيادة نجدهم سادة للأمم وروادًا للإصلاح والتوجيه، هذا الشعار هو شعار الأخوَّة الإسلاميَّة الذي يقتضى وزن النَّاس بميزان الإسلام الرحيم العادل لا بمقاييس الجاهليَّة الجائرة(١).

لقد جاء الإسلام فوجد النَّاس يتجمعون على آصرة النسب، أو يتجمعون على آصرة الجنس، أو يتجمعون على آصرة الأرض، أو يتجمعون على آصرة المصالح والمنافع القريبة... وكلها عصبيات لا علاقة لها بجوهر الإنسان، إنما هي أعراض طارئة على جوهر الإنسان الكريم، وقال الإسلام كلمته الحاسمة في هذا الأمر الخطير، الذي يحدد علاقات النَّاس بعضهم ببعض تحديداً أخيراً، قال: إنه لا لون ولا جنس، ولا نسب ولا أرض، ولا مصالح ولا منافع، هي التي تجمع بين النَّاس أو تفرق.. إنما هي العقيدة... هي علاقتهم بربهم التي تحدد علاقتهم بعضهم ببعض. فعلاقتهم بالله هي التي منحتهم إنسانيتهم، ومن ثم فهي التي تقرر مصائرهم في الدنيا والآخرة سواء، إن النفخة التي جاءتهم من روح الله هي التي جعلت من الإنسان إنسانا، وهي التي كرمت هذا الإنسان وسخرت له ما في السماوات وما في الأرض، فعلى أساس هذه الحقيقة يتجمع النَّاس أو يفترقون إذن، لا على أساس أي عرض

---

(١) انظر، الأخوَّة الإسلاميَّة هي الرَّابطة العالميَّة، عبد العزيز الحميدي، ٢.

آخر طارئ على حقيقة الإنسان(١).

الآصرة فكرة تعمر القلب والعقل، وتصور يفسر الوجود والحياة... ويرتبط بالله، الذي من نفخة روحه صار الإنسان إنساناً، وافترق عن البهائم والوحوش، وافترق تجمعه عن تجمعها، وامتاز بالتكريم من الله، وقال الله للمؤمنين به في كل أرض، وفي كل جيل، ومن كل جنس ولون، ومن كل فريق وقبيل، على مدار القرون؛ من لدن نوح عليه السلام، إلى محمد – عليه الصلاة والسلام – وإلى آخر الزمان : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾[الأنبياء: ٩٢]، وفاضل بين النَّاس بعضهم وبعض على أساس العقيدة، مهما تكن روابط النسب بينهم(٢).

ولذلك يجب تعميق الرابطة الدِّينيَّة، ثم يجب جذم جذور العصبيَّة لغير الكتاب والسنة مهما ظهرت في أي مسلاخ، فهي عصبيات جاهلية منتنة تثير الشغب وتشعل الفتن، وتضرم المشاكل وتزرع الإحن، فواجب محاصرتها وإطفاؤها وتحطيم جمعها، سواء أكانت عصبيَّة قبلية أم غيرها من العصبيَّات(٣).

ولقد جاء البيان في القرآن الكريم بأن المؤمنين جميعا إخوة على مختلف أجناسهم ولغاتهم كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الحجرات: ١٠]، فالأخوة الإيمانية هي التي تربط بين المؤمنين جميعا وهي أقوى من رابطة الدم واللون واللغة وغير ذلك من الروابط الجاهليَّة، لأن أُخوة الإيمان منبثقة من رابطة العقيدة الدِّينيَّة وهذه العقيدة أشد رسوخا وأعظم ثباتا في النفس من الروابط الجاهليَّة الواهية، حيث إن هذه العقيدة تشد معتنقيها إلى تصور حياة أخرى أكمل من هذه الحياة الدنيا فيشعرون بمسؤولية الحساب ويرجون الثواب ويخافون من العذاب(٤).

---

(١) انظر، هذا الدين، سيد قطب، ٨٥.

(٢) نظر، هذا الدين: سيد قطب، ٨٥.

(٣) انظر، ٢٠ ضمان لجزيرة العرب، بكر أبو زيد، ص ١١-١٢.

(٤) انظر، الأخوَّة الإسلاميَّة هي الرَّابطة العالميَّة، عبد العزيز الحميدي، ص١٧.

ورسول الله ﷺ يرشدنا إلى هذه الأخوة ويأمرنا بها حيث يقول : « وكونوا عباد الله إخوانا »[(١)]، فهي السياج القوي الذي يحمي المجتمع من التقاطع والمعاملة السيئة التي تهبط بأفراد المجتمع نحو الرذائل .ويبين رسول الله ﷺ قوة هذه الأخوة ومدى عمقها بقوله "ولو كنت متخذًا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته" وفي رواية « ولكن أخوة الإسلام أفضل »[(٢)]. فالنبي ﷺ يصور قوة الأخوَّة الإسلاميَّة في إيجاد الروابط والعلاقات المتينة بالتمثيل بما بينه وبين أبي بكر من علاقة، ولا يوجد في الإسلام علاقة أقوى من العلاقة التي بين رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه وقد أرجعها النبي ﷺ إلى أخوة الإسلام[(٣)].

الأخوّة في الله هي منحة قدسية وإشراقة ربانية يقذفها الله في قلوب المخلصين من عباده والأصفياء من أوليائه والأتقياء من خلقه، وهي قوة إيمانية تورث الشعور العميق بالعاطفة والمحبة والاحترام والثقة المتبادلة، وأهلها وجوههم نور، ومغفورو الذنوب، وهم في ظل عرش الرحمن يوم القيامة، وفي كنف المحبة الإلهية، وهم المتذوقون لحلاوة الإيمان، الساكنون جنة الرحمن[(٤)].

وإذا نحن ألقينا نظرة على المجتمع العالمي قبل مجيء الإسلام ثم نظرنا إليه بعد مجيء الإسلام نجد الفرق واضحا بين العصرين، فالعالم في الجاهليَّة كان مفرقا إلى دول وقبائل،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، برقم : (٦٠٦٤) . ومسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر، برقم : (٢٥٥٨).

(٢) الرواية الأولى، رواها البخاري، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، برقم : (٤٦٦) . والرواية الثانية، رواها البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لو كنت متخذا خليلا »، برقم : (٣٦٥٧).

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢.

(٤) انظر، الأخوَّة الإسلاميَّة، عبد الله ناصح علوان، دار السلام للطباعة، الإصدار الأوَّل، ٣-٨.

فبدأ النبي ﷺ بالإسلام يجمع الأُمَّة العربية أوَّلا نظرا إلى أنها هي المحيطة بالدعوة وقد نزل القرآن بلغتها وبعث الرسول منها، فجمع بين المؤمنين من أهل مكة أوَّلاً على الرابطة الإسلاميَّة، وأزال الفوارق العرقية التي كان العرب يفتخرون بها، فكان بلال الحبشي وصهيب الرومي مع سائر المؤمنين من قريش وغيرهم من العرب، وجمع الله بالإسلام بين الأوس والخزرج وزالت عنهم العصبيَّة الممقوتة التي سببت بينهم الحروب الطاحنة، وقد جاء الإسلام وانتشر بينهم ولم تندمل جراح معركة " بعاث " التي هي آخر المعارك بينهم، فأصبحوا بالإسلام إخوانا وسُمُّوا بعد تآلفهم ونصرتهم جميعا لرسول الله ﷺ بالأنصار، وهذه الوحدة بينهم خطوة عظيمة ما كانوا يحلمون بها من قبل، ولكنها تحققت بمجرد انتشار الإسلام بينهم فأصبحوا مع المهاجرين يكَوِّنون أول مجتمع إسلامي(١).

ثم بعد ذلك أصبحت قبائل العرب تدخل في الإسلام شيئًا فشيئًا، وبمجرد دخولها في الإسلام تزول منها العصبيَّة القبليَّة وتحل محلها العصبيَّة الدِّينيَّة، فتبغض الكفار وإن كانوا من أفراد قبيلتها وتحب المؤمنين وإن كانوا من أفراد القبيلة التي كانت من قبل تحاربها، فاجتمعت على هذا المبدأ قبائل العرب كلها، واتحدت أهدافهم وبالتالي اتحد مناهجهم في العمل، فأصبح الجيش الإسلامي مكونا من تلك القبائل التي كانت قبل سنوات قليلة لا تتقابل إلا وفي أيديها السلاح الذي تتقاتل به في الميدان، فتحققت باتفاق العرب معجزة ما كان باستطاعة أحد من البشر أن يحققها؛ لأن العرب أمة لا تعرف في حياتها التبعية والانقياد، وقد بلغت بها العصبيَّة القبليَّة حدا أذهب قوتها ومركزها بين الأمم مع أنها تملك رصيدا ضخما من الشجاعة والخشونة والسخاء، وهذه من مؤهلات القوة التي لا تملكها الأمم الأخرى التي أترفتها حياة المدن فأصبحت تحب الدعة والسكون(٢).

إن تعزيز القيم الخلقية والمبادئ الإسلامية كفيل بإقامة مجتمع متماسك ومتآلف بعيد كل البعد عن التعصب والتمزق والخلاف، ومن هذه القيم التي تحتاجها المجتمعات : الإخاء

(١) انظر، الأخوَّة الإسلاميَّة هي الرَّابطة العالميَّة، عبد العزيز الحميدي، ص٥١.

(٢) المرجع السابق، ص٥٢.

والتسامح ، وهو ما حرص عليه النبي ﷺ حين دخل المدينة حيث آخى بين المهاجرين والأنصار ، وحثّ على التسامح مع غير المسلمين وعدم ظلمهم ، وكذلك فإن الإيثار والمواساة خلق إسلامي نبيل يزيد من عمق الأخوّة الإيمانية وتماسكها ، وبه ترقى العلاقة بين المسلم وأخيه ، فيقدّم الأخ أخاه على نفسه ويواسيه في كل ما يتعرض له ، وإن الحب والتراحم صفتان عظيمتان ، متى ما وجدتا بين الناس كان الأفراد كالبنيان المرصوص، فيلين بعضهم لبعض ويقدّر كل منهم الآخر ، وإذا حدث خصومة أو مشاحنات فيكون مبدأ العفو والصفح هو ما ينهي هذه الخلافات والتراعات بين الناس ، وهذه القيم والمبادئ لو أردنا التفصيل في الحديث عنها لطال بنا المقام وحسبنا الإشارة إلى ذلك .

الخاتمة

وتتضمن النتائج والتوصيات

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات والصلاة والسلام على المبعوث بالرحمات محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات وبعد .... وفي خاتمة المطاف كان من الضروري أن نشير إلى أبرز النتائج والتوصيات من هذه الدِّراسة :

أبرز النتائج :

إن من أصول الإسلام الحرص والحث على الاجتماع والتعارف والوحدة والنهي عن الاختلاف والافتراق والتخاصم لتكون القلوب متصافية والنفوس متسامحة والأيدي متصافحة والأمة صفا واحداً لا يقبل الانقسام والاختراق، قال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

١ ـــ العصبيَّة القبليَّة هي : الاجتماع والتناصر والدفاع عن القبيلة والوقوف معها حمية أو نعرة ومحاباة للتغلب على الغير في كل ما تحتاج إليه .

٢ ـــ العصبيَّة القبليَّة المقيتة لا تدخل في مجتمع إلا فرقته ومزقته تروجها مجالس الدهماء وتنقلها أشعار الجهلاء، وهي تصنيف اجتماعيّ قاس ينافي العدالة الاجتماعيَّة .

٣ ـــ العصبيَّة في معناها العام يمكن إسقاط أنواع عدة من العصبيَّة عليها مثل المذهبية والطبقية والقومية وعصبية اللون وقد تكون عصبيَّة دينية أو حزبية .

٤ ـــ العصبيَّة القبليَّة مفهوم له عدد من المرادفات التي توافقه والتي ذكرت في الكتاب والسنة، ومن هذه المعاني : الحمية وعُبِّيَّةَ الجاهليَّة والنعرة ودعوى الجاهليَّة ومن هذه المعاني التَّفاخر ويرادفها في المعنى كذلك العنصرية والشّعوبيّة .

٥ ــــ العصبيَّة القبليَّة لها درجات تتفاوت في قوتها وشدتها، وتكون عالية إذا كانت في الأسرة القريبة والفخذ الواحد، وتصغر وتكون ضعيفة كلما امتدت وبعدت وكبر فرعها .

٦ ــــ العصبيَّة القبليَّة أكثر ما تكون في الظلم والنصرة على الباطل، وهو الأغلب، وقد تكون على الحق ونصرة المظلوم، وهنا تكون ممدوحة، قال شيخ الإسلام " المحذور من ذلك تعصب الرجل لطائفته مطلقاً على أصل الجاهليَّة، فأما نصرها بالحق من غير عدوان فحسن واجب أو مستحب "[١].

٧ ــــ القبيلة في المجتمعات العربية كانت تنقسم إلى ثلاث طبقات (طبقة الأمراء والصرحاء ـ طبقة الموالي - طبقة العبيد والرقيق) .

٨ ــــ العصبيَّة القبليَّة لم تكن وليدة في العصر أو محصورة في العرب، بل هي قديمة وضاربة في المجتمعات السَّابقة على مر التاريخ وقد ظهرت عند الرومان والإغريق وفارس ومتجذرة عند اليهود، ولم يسلم منها الهنود، وتجد الطَّبقيَّة واضحة المعالم عند النَّصارى .

٩ ــــ العصبيَّة القبليَّة كظاهرة اجتماعية ونظام قبلي له عدد من الصور والمظاهر كالمفاخرة والأخذ بالثأر والحروب القبليَّة ومنها أيضا صور سليمة مثل الأحلاف والإجارة .

١٠ ــــ العصبيَّة القبليَّة لها أسباب عامة تشترك فيها مع غيرها كالجهل والحسد والتقليد وحب الدنيا مع كيد أعداء الأُمَّة والمتربصين بها .

١١ ــــ إن طبيعة النفس البشرية وميلها للعصبيَّة وحاجتها للأمن والغذاء مع حبها للظهور والزعامة وانتصارها للقريب جعلها تزيد من الالتفاف والتحلق في محيط القبليَّة والتعصب له .

١٢ ــــ ضعف المؤسسات والقنوات التربوية في القيام بدورها المنوط بها يزيد

---

(١) الفتاوى، ابن تيميَّة، ج١ ص٧٢.

من انتشار وتفشي التعصب القبلي .

١٣ ـــــ وحدة الدم في النسب والأحلاف والاشتراك في اللغة والمكان وموارد المياه هي الأساس التي تقوم عليه العصبيَّة القبليَّة، وهي عوامل تساهم في نشوء العصبيَّة القبليَّة.

١٤ ـــــ وجود بعض الأنظمة الإدارية كنظام المشيخة والانتخابات البرلمانية والبلدية يولد التحالفات القبليَّة ويزيد من التعصب حولها .

١٥ ـــــ التعصب القبلي ينتشر عبر وسائل وطرق من أهمها :الشعر والأعلام بجميع قنواته الحديثة منها والتقليدية ويزيد في المجالس والحفلات القبليَّة كمزاين الإبل.

١٦ ـــــ العصبيَّة القبليَّة لها آثار سلبية في الدين والفكر والسلوك الاجتماعيّ ولها تأثير بالغ على الأخلاق والمبادئ الإسلاميَّة .

١٧ ـــــ إن من أهم أسباب سقوط الدول الإسلاميَّة مثل الدولة الأموية والعباسية والعثمانية ودولة الأندلس هي العصبيَّة التي استحكمت في نفوس النَّاس يأتمرون بأمرها ويقتلون من أجلها .

١٨ ـــــ ساهمت الثَّقافة الإسلاميَّة في توجيه وإعلاء العصبيَّة القبليَّة وأن المولاة في الدين أهم وأحق من موالاة النسب .

١٩ ـــــ معيار التَّفاضل ومقياس الكرامة يكون بتقوى الله، وليس في التَّفاخر بالأحساب والأجداد والطعن في الأنساب والتي هي من أعمال الجاهلية .

٢٠ ـــــ إن سيرة النَّبيّ ﷺ وهديه القويم ومواقفه المتكررة علاج نبوي في إعلاء وتوجيه التعصب القبلي وتحويله إلى التعصب والحمية للدين بدلاً من القبيلة .

٢١ ـــــ يجب إحلال الأخوة الإيمانية ومبادئها بديلاً شرعياً عن العصبيَّة القبليَّة .

٢٢ ـــــ الانتماء للقبلية أمر فطري مركوز عند البشر ولا يذم، ومع ذلك فلا يجوز الافتخار والتعاظم وانتقاص الآخرين .

٢٣ ـــــ جميع الحروب الأهلية والنفوس التي أزهقت ظلما سببها الرئيس هـــو العصبيَّة القبليَّة .

٢٤ ـــــ المساواة بين النَّاس مبدأ إيماني رفيع يحقق العدالة الاجتماعيَّة .

٢٥ ـــــ العصبيَّة القبليَّة يغلب عليها الظلم وهي دالة على القـــبح والإيـــذاء وانحراف النية وجهل صاحبها مع براءة الإسلام منها وسوء خاتمة من مـــات عليها .

٢٦ ـــــ الإسلام لم ينقص حق القبيلة و لم يقض بإهدارها ، و لم ينـــه عـــن الانتساب إليها، بل حرص على ضبط أصولها وحماية كيانها، وحث علـــى تعلّم الأنساب وحفظها ، وكلّ هذا بعيداً عن التعصب الجاهلي بها.

أبرز التوصيات والمقترحات :

١ ـــــ عودة الأمَّة الإسلامية إلى كتاب ربها وسنة نبيها صـــلى الله عليـــه وسلم؛ ليكون منهجاً لها في مواجهة العصبية القبلية البغيضة .

٢ ـــــ الاقتداء بالمنهج النبوي الكريم والسيرة المحمدية العطرة في مواقفه عليه الصلاة والسلام في توجيه وإعلاء العصبية القبلية وكيفية مواجهتها ومن بعده الخلفاء الراشدين وصحبه الكرام .

٣ ـــــ إكساب أفراد الأمة وتدريبهم على القيم والأخلاق الإسلامية الـــتي تواجه تيار التعصب القبلي كالعدل والمساواة والأخوة الإيمانية والمحبة والتسامح والإحسان .

٤ ـــــ نشر الوعي الثقافي عن سلبيات وآثار التعصب القبلي وأخطاره على الأفراد والمجتمعات والسلوك وجميع المجالات والنواحي الاقتصادية والسياســـية والفكرية، وبيان أن هذه الظاهرة تتعارض وتتنافى مع مبادئ الإسلام.

٥ ـــــ عقد الندوات والدورات واللقاءات التي تعالج العصبية القبلية .

٦ ـــــ قيام العلماء المخلصين والدعاة وطلبة العلم والمفكـــرين وأصـــحاب الأقلام والتربويين بالتصدي لظاهرة التعصب القبلي والإقناع بالحوار العلمـــي المفيد، وبيان حكم الإسلام في ذلك بأسلوب واضح ومفصّل والقيام في ذلك بمبادرات ومشاريع وبرامج مجتمعية تعالج التعصب.

٧ ـــــ قيام المؤسسات التربوية (المدرسة، المسجد، الأسرة) بدورها الكبير في توجيه الناشئة والشباب في البعد عن كل أسباب ومؤثرات التعصب القبلي .

٨ ـــــ بعد العلماء وطلبة العلم عن القبائل هو سبب ما وقعوا فيه من الجهل والتعصب وتحكيم الأعراف والعادات، فيجب علي أهل العلم القرب منـــهم وتوجيههم، وتصحيح مسار القبيلة لما فيه الخير والصلاح .

٩ ـــــ إصلاح الإعلام بكل أطيافه (المسموع، المقروء، المرئـــي، الإعـــلام الجديد) ليؤكد على الاجتماع ونبذ الفرقة و التعصبات الجاهليـــة والتمييـــز القبلي المرفوض، وجعله سلاحاً ناجحاً ومثمراً لنشر الخير والألفة والمحبة بـــين الناس .

١٠ ـــــ تفعيل وتنشيط دور مؤسسات المجتمع المدني كالأندية الثقافية والأدبية ولجان التنمية الاجتماعية والجهات والجمعيـــات الخيريـــة وإضـــعاف دور التجمعات والتعصبات القبلية الداعية للتعصب المقيت .

١١ ـــــ إجراء البحوث والدراسات النظرية والميدانية لدراسة ظاهرة التعصب القبلي وتشخيص الواقع ومناقشته بصورة علمية وعميقة لوضـــع الحلـــول الناجعة المبنية على علم شرعي وخبرة تربوية في هذا المجال .

١٢ ـــــ توجيه وإصلاح الوسائل والطرق التي تساهم في نشـــر التعصـــبات القبلية كالشعر القبلي والحفلات والمجالس القبائلية .

وختاماً أقول : الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وآخر دعوانا أن الحمـــد لله رب

العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد .

الفهارس العامة

وتشـــتمل على:

١. فهرس الآيات القرآنيّة .

٢. فهرس الأحاديث النَّبويَّة والآثار .

٣. فهرس الأعلام المترجمين .

٤. فهرس المصادر والمراجع .

٥. فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنيّة

الفاتحة	
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]	٢٧٥
البقرة	
﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ﴾ [البقرة: ٨٥]	١٦٨
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ۝١٧٠﴾ [البقرة: ١٧٠]	٨١
﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ [البقرة: ١٧٩]	١٩٢
﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]	١٥٧
آل عمران	
﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ۝١٤﴾ [آل عمران: ١٤]	٨٦
﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ﴾ [آل عمران: ٢٨]	٢٩٣
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٦﴾ [آل عمران: ٩٦]	٢٧٥
﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٨﴾ [آل عمران: ٩٨]	٢٥٧
﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٩٩﴾ [آل عمران: ٩٩]	٢٥٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ۝١٠٠﴾ [آل عمران: ١٠٠]	٧٩، ٢٥٧
﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]	٦، ١٩٦، ٢٨٨، ٢٩٠، ٣١٧
﴿وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]	١٩٧
﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣]	٢٢٤

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣]	٢٨٩
﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٥]	١٩٩
﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٥]	٢٥٧
﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢]	٢٩٠
﴿إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢]	١٩٦
﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥]	٢٨٠
النساء	
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]	٢٩٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]	٢٩٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ [النساء: ١٩ - ٢١]	٢١٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ﴾ [النساء: ٢٩]	١٥٧
﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء: ٣٦]	٢٦٩
﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ٥٤﴾ [النساء: ٥٤]	٨٢، ١٨٨
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠]	١٧٠
﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾ [النساء: ٧٨]	٢٨٠
﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ٨٥﴾ [النساء: ٨٥]	٧١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ﴾ [النساء: ١٣٥]	١٠٢

الأعراف	
﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ١٢﴾ [الأعراف: ١٢]	١٠١، ١٨٨
﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٢٨﴾ [الأعراف: ٢٨]	٨١
﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ٨١﴾ [الأعراف: ٨١]	٢٩٨
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ﴾ [الأعراف: ٨٥]	٢٩٨
﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ١٣٨﴾ [الأعراف: ١٣٨]	٧٤
﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]	٥٣
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١]	٩٧
الأنفال	
﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ﴾ [الأنفال: ٤٦]	٢٠٠
﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٦٣﴾ [الأنفال: ٦٣]	١٧٦، ٣٠٠
﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]	٤٨، ٢٧٨
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٧٥﴾ [الأنفال: ٧٥]	٣٠١
التوبة	
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [التوبة: ٢٣]	٢٧٧

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤]	٢٩٣
هود	
﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [هود: ١٠]	٣٤
﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [هود: ٢٩]	٧٤
﴿يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [هود: ٧٧]	١٧
﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ [هود: ٨٠]	٤١
﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾ [هود: ٩١]	٢٦٥، ٤١
يوسف	
﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ [يوسف: ٨]	١٨
الرعد	
﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الرعد: ٢٠ - ٢١]	٢٢٩
إبراهيم	
﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢ - ٣]	٨٩
الحجر	
﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الحجر: ٨٢]	٩٥
النحل	
﴿ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [النحل: ٢٩]	٩٢
﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾ [النحل: ٧١]	٢١١
﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨	٧٧

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ [النحل: ١١٢]	٩٦
الإسراء	
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٣]	١٩٢، ١٩٢
﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ ﴾ [الإسراء: ٣٧]	٩١
﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ﴾ [الإسراء: ٣٧]	٩١
﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧]	٩١
﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٢]	٨٧
الكهف	
﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨]	٢٩٨
﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الكهف: ٣٤]	١٠١
﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٥]	٢٨١
طه	
﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه: ٥٥]	٢٨٠
﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ [طه: ١١٨ – ١١٩]	٩٦
الأنبياء	
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]	٣١٢
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]	٢٧٥
المؤمنون	
﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠١]	٢٦٢، ٢٩٥

الشعراء	
﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤]	١٣٣
﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤ – ٢٢٧]	١٣٥
النمل	
﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ [النمل: ٤٩]	٤١
﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النمل: ٥٥]	٧٤، ٢٩٨
القصص	
﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ﴾ [القصص: ٧٨]	١٠٢
﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ﴾ [القصص: ٨٣]	٩١
الروم	
﴿الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [الروم: ١ – ٦]	١٧٨
لقمان	
﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨]	٩١
السجدة	
﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة: ٧ – ٩]	٢٧٩
الأحزاب	
﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢]	٦٦

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]	٢٥٢، ٢٨٨
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦]	٢٠٢
﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧]	٢٩٤
﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨]	٢٦٣
ص	
﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢﴾ [ص: ٧١ - ٧٢]	٤٩
الزمر	
﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: ٦]	٢٧٩
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: ٣٠]	٢٨٠
﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٦٠﴾ [الزمر: ٦٠]	٩٢
غافر	
﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ۝٣٥﴾ [غافر: ٣٥]	٩٢
﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۝٣٩﴾ [غافر: ٣٩]	٨٥
﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ [غافر: ٥٦]	٩٤
﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٦﴾ [غافر: ٧٦]	٩٢
الزخرف	
﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ۝٢٢﴾ [الزخرف: ٢٢]	٨٠
﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢﴾ [الزخرف: ٥٢]	١٠١
محمد	

[الحجرات: ١٤]	
الرحمن	
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]	٢٨٠
الحديد	
﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٣]	٣٤
المجادلة	
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١]	٧٤
﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١]	٢١١
﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]	١٧٦، ٢٧٦، ٢٩٢
الممتحنة	
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]	٢٣٨
﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨]	١١٧
الصف	
﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف: ٨]	٧٨
القلم	
﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم: ١٠ - ١١]	٢٣٣
القيامة	
﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ [القيامة: ٢٠ - ٢١]	٨٦
الإنسان	
﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإنسان: ٢٧]	٨٨

النازعات	
﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾ [النازعات: ٢٤]	١٠١
الزلزلة	
﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨]	٢٨٠
العاديات	
﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠﴾ [العاديات: ٩ – ١٠]	٢٨٠
التكاثر	
﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢﴾ [التكاثر: ١ – ٢]	٢٥٧
قريش	
﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾ [قريش: ٤]	٩٥
الإخلاص	
﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص: ٤]	٢٠٢

فهرس الأحاديث النَّبويَّة والآثار

فهرس الأعلام المترجمين

فهرس المصادر والمراجع

• **القرآن الكريم .** (مصحف المدينة النَّبويَّة للنَّشر الحاسوبي) .

الكتب المطبوعة :

١ ــــ الاتجاهات التعصبية، معتز سيد عبد الله، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٩م.

٢ ــــ أحكام أهل الذمة، محمد بن ابي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق : طه عبدالرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٣ ــــ إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة، بيروت.

٤ ــــ الأخلاق الإسلامية، عبد الرَّحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٥، ١٤٢٠هـ.

٥ ــــ الأخوة الإسلامية، عبد الله ناصح علوان، دار السلام للطباعة، الإصدار الأول.

٦ ــــ أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي محمد حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة، بدون طبعة، ١٩٨٧م.

٧ ــــ الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الشاذلي الخولي، دار المعرفة بيروت، ط٤، ١٤٢٣هـ.

٨ ــــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت.

٩ ــــ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

١٠ ــــ أسباب الردة ومظاهرها في عهد الصديق، بحث علمي منشور، حسن محمد الربابعة، مجلة مؤتة للبحوث والاستشارات، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، ٢٠٠٣م.

١١ ــــ أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الاثير أبي الحسن علي محمد الجزري، تحقيق : علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢ ــــ الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة د . عمرو فروخ، دار العلم للملايين، بيروت .

١٣ ــــ الإسلام والتفرقة العنصرية، عبد العزيز كامل، مطابع دار المعارف بمصر.

١٤ ـــــ الإسلام والعروبة، مناقشة لآراء التيار الأصولي، مجدي رياض، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، ط١، ١٩٨٩ م.

١٥ ـــــ الإسلام والعنصرية، عبد العزيز عبد الرَّحمن قاره، دار البشير، جده، ط٢، ١٤١٦هـ.

١٦ ـــــ الإسلام والمشكلة العنصرية، عبدالحميد العبادي، دار العلم للملايين، ١٩٦٩م.

١٧ ـــــ أضواء البيان في إيضاح القران بالقران، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر بيروت لبنان، إشراف بكر أبو زيد، ١٤١٥هـ.

١٨ ـــــ الإعلام الإسلامي، د إبراهيم الإمام، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط١، ١٩٨٠م.

١٩ ـــــ إعلام الموقعين، ابن القيم، تحقيق : محمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.

٢٠ ـــــ الإعلام في العالم الإسلامي الواقع والمستقبل، سهيلة زين العابدين حماد، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٤هـ.

٢١ ـــــ الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، تحقيق : إحسان عباس ورفقاه، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤٢٩ه.

٢٢ ـــــ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة اصحاب الجحيم، ابن تيمية، تحقيق ناصر العقل، دار عالم الكتب بلبنان، ط٧، ١٤١٩هـ.

٢٣ ـــــ أم القرى، عبد الرَّحمن أحمد الكواكبي الملقب بالسيد الفراتي، دار الرائد العربي لبنان بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.

٢٤ ـــــ أنساب الأشراف، أحمد يحي جابر البلاذري، تحقيق : سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ .

٢٥ ـــــ البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي، تحقيق : علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢٦ ـــــ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي، تحقيق : محمد بهجه الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٧ ـــــ بيان العلم الأصيل والمزاحم الدخيل، عبدالكريم صالح الحميد، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤٢٤هـ.

٢٨ ـــــ البيان والتبيين، ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق : عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ.

٢٩ ـــــ تاج العروس، محمد عبدالرزاق الحسيني الزبيدي، تحقيق مجموعة من المؤلفين، دار الهداية.

٣٠ ـــــ تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الإيمان، ط١.

٣١ ـــــ تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٣٢ ـــــ تاريخ الجاهلية، د عمرو فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨ م.

٣٣ ـــــ تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، بكري حسين محمد الديار، المطبعة الوهابية.

٣٤ ـــــ تاريخ الشعر السياسي، أحمد الشايب، دار القلم، بيروت لبنان، ١٩٧٦م.

٣٥ ـــــ تاريخ العرب القديم، توفيق برو، دار الفكر ط٢، ١٤٢٢هـ.

٣٦ ـــــ تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهره، دار الفكر العربي بيروت ١٩٨٧ م.

٣٧ ـــــ التاريخ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

٣٨ ـــــ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.

٣٩ ـــــ تحفة الاحوذي شرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبدالرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٠ ـــــ التربية إزاء تحديات التعصب والعنف في العالم العربي، علي أسعد وطفة، ٢٠٠٢م، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

٤١ ـــــ تطريز رياض الصالحين، فيصل عبد العزيز الحريملي النجدي، تحقيق عبد العزيز آل حمد، دار العاصمة للنشر الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.

٤٢ ـــــ التعريفات، علي بن محمد علي لجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي .

٤٣ ـــــ التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي، خالد كبير علال، دار المحتسب، ١٤٢٩هـ.

٤٤ ـــــ التعصب المذهبي والتطرف الديني وأثرهم على الدعوة الإسلامية، د حسن الجوجو الجامعة الإسلامية بغزة، كلية الدعوة واصول الدين مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر ٨ ربيع الاول ١٤٢٦ هـ .

٤٥ ـــــ التعصب دراسة نفسية اجتماعية، معتز سيد، دار غريب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م.

٤٦ ـــــ تعنيس النساء بعضل الاولياء، د عبد الرَّحمن علي الطريقي، بحث محكم، مجلة العدل، عدد٣١، رجب، ١٤٢٧هـ.

٤٧ ـــــ التغير الاجتماعي والالتزام بالعشيرة دراسة تطبيقية على المجتمع الريفي السعودي، د محمد الأمين نوري، مجلة جامعة أم درمان، عدد ١٥، ١٤٢٩هـ.

٤٨ ـــــ تفسير الدر المنثور، عبد الرَّحمن بن الكمال أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.

٤٩ ـــــ التفسير الميسر، نخبة من العلماء، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ط٢، ١٤٣٠هـ.

٥٠ ـــــ تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرَّحمن ابن الجوزي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٥١ ـــــ تهذيب اللغة، محمد أحمد الأزهري، تحقيق : محمد مرعب، إحياء التراث، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٥٢ ـــــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرَّحمن السعدي، دار ابن الجـوزي، الـدمام، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٣ ـــــ جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر، الرسالة ط١، ١٤٢٠.

٥٤ ـــــ جامع بيان العلم وفضله، يوسف عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق : أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ.

٥٥ ـــــ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد أحمد القـرطبي، دار الكتـب المصـرية، القـاهرة، ط٢، ١٣٤٨هـ.

٥٦ ـــــ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد الخطيب البغدادي، تحقيق د محمود الطحان، نشر مكتبة المعارف، ١٤٠٣هـ.

٥٧ ـــــ جدل العصبية القبلية والقيم، علي مصطفى عشّا، مجلة اللغة العربية بدمشق، جزء ١ مجلد ٨٣ ص ١-٣.

٥٨ ـــــ جمهرة أنساب العرب، علي أحمد سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق : عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٥ .

٥٩ ـــــ حضارة الإسلام، صلاح الدين خودا بخش، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١ م.

٦٠ ـــــ حياة الحيوان الكبرى، محمد الدميري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٦١ ـــــ الحيوان، الجاحظ، تحقيق محمد بدر، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٥هـ.

٦٢ ـــــ ختم النبوة بالنبوة المحمدية، أحمد سعد الغامدي، رسالة ماجستير، دار طيبة الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ.

٦٣ ـــــ الخديعة حقيقة القومية العربية، محمد الغزالي، دار نهضة، مصر، ط ١.

٦٤ ـــــ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر عمر البغدادي، تحقيق : عبدالسلام هارون، مكتبـة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ.

٦٥ ـــــ خصائص جزيرة العرب، بكر أبو زيد، ط٢.

٦٦ ـــــ درء تعارض العقل والنقل، ابن تيميه، تحقيق : محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سـعود الإسلامية بالرياض، ط، ٢، ١٤١١هـ.

٦٧ ـــــ دراسات اجتماعية أخلاقيَّة خلق ودين، إبراهيم سلامه، شركة و مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٧٣هـ.

٦٨ ـــــ دراسات على مقدمة ابن خلدون، ساطع الحصري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ.

٦٩ ـــــ دراسات في تاريخ العرب، د السيد عبد العزيز سالم، الإسكندرية، ١٩٦٨م.

٧٠ ـــــ الدولة الأمويَّة عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، علي محمد الصلابي، دار المعرفــة، بــيروت، ط٢، ١٤٢٩هـــ، ٢/٥٧٧.

٧١ ـــــ ديوان الحطيئة، عناية : حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـــ، ص ٢١.

٧٢ ـــــ ديوان الحماسة، أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٨هـــ.

٧٣ ـــــ ديوان المتنبي، وضعه عبد الرَّحمن البرقوقي، المكتبة التجارية القاهرة.

٧٤ ـــــ ديوان تميم بن أبي بن مقبل، تحقيق عزه حسن، وزارة الثقافة بدمشق.

٧٥ ـــــ ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه، حققه : د وليد عرفات، دار صادر، بيروت، بــدون طبعــة، ٢٠٠٦م.

٧٦ ـــــ ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة، عبد الله محمد الغنيمان، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة، عدد ٦٥، محرم ١٤٠٥هـــ.

٧٧ ـــــ روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، دمشق، ط٣، ١٤٠٠هـــ، طبع على نفقة حسن شربتلي.

٧٨ ـــــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـــ.

٧٩ ـــــ الروضة الندية شرح الدرر البهية، محمد صديق خان، دار المعرفة.

٨٠ ـــــ زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرَّحمن علي محمد الجوزي، تحقيق : عبدالرزاق مهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـــ.

٨١ ـــــ زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، الرسالة بيروت ط٢، ١٤١٨هـــ، تحقيــق شــعيب وعبدالقادر الأرناؤوط.

٨٢ ـــــ الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد علي ابن حجر الهيتمي، دار الفكر، ط١، ١٤٠٧ه .ـــ

٨٣ ـــــ سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب محمد أمين البغدادي المشهور بالسويدي منشورات محمد علــي بيضون دار الكتب العلمية بيروت.

٨٤ ـــــ سبل السلام، محمد إسماعيل الصنعاني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٤، ١٤٠٨ه.

٨٥ ـــــ سلسلة شرح الرسائل للإمام محمد بن عبد الوهاب، شرح الشيخ صالح الفوزان.

٨٦ ـــــ السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، الناشر دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـــ.

٨٧ ـــــ السيرة الحلبية، علي إبراهيم أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـــ.

٨٨ ـــــ السيرة النبوية، عبدالملك ابن هشام أيوب الحميري المعافري، تحقيق : مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٧٥ه.

٨٩ ـــــ السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي، دار ابن كثير، دمشق.

٩٠ ـــــ سيرة عمر بن عبد العزيز، أبي محمد عبد الله بن عبد الحكم، صححه أحمد عبيد، مكتبة وهبه بمصـــر، ط٢.

٩١ ـــــ شاعر المليون أخطاء شرعية وأغلاط شعرية، ذياب سعد حمدان الغامدي، مكتبة المزيني، الطائف، ط١، ١٤٢٩هـــ.

٩٢ ـــــ شرح السنه، أبو محمد الحسين الفراء البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط و محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي دمشق، ط٢، ١٤٠٣هـــ.

٩٣ ـــــ شرح المعلقات، شرح أبي زكريا التبريزي، تحقيق لايل، طبعة كلكتا، ط١، ١٨٩٤.

٩٤ ـــــ شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، دار الوطن ط١٤٢٦هـــ.

٩٥ ـــــ شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي عبدالملك، تحقيق : ياسر إبراهيم، مكتبـــة الرشـــد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـــ.

٩٦ ـــــ شرح مسائل الجاهلية ، صالح فوزان الفوزان ، دار العاصمة للنشر ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢١هـــ .

٩٧ ـــــ شرح مقدمة ابن خلدون، علي عبدالواحد وافي، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٦م .

٩٨ ـــــ شريعة العشائر في الوطن العربي، فاروق الكيلاني، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ت ١٩٨٢م.

٩٩ ـــــ الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣هـــ.

١٠٠ ـــــ الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمَّة العربية، د عبد الله سلوم السامرائي مكتبة جزيرة الورد القاهرة ط ١ – ٢٠١٢.

١٠١ ـــــ صبح الأعشى، أحمد علي أحمد الفزاري القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٢ ـــــ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل حماد الجوهري، تحقيق : أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـــ.

١٠٣ ـــــ الطبقات، لابن سعد، تحقيق : زياد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٠٨هـــ .

١٠٤ ـــــ ظاهرة ضعف الإيمان الأعراض والأسباب والعلاج، محمد صالح المنجد، مطبعة سفير بالريـــاض، الأولى ١٤١٣هـــ، ١٣.

١٠٥ ـــــ العرف وأثره في الشريعة والقانون، أحمد سير المباركي، ط١، ١٩٩٢م.

١٠٦ ـــــ العصبية القبلية في صدر الإسلام، د محمد خريسات، دار اليازوري، عمان الأردن، ط١.

١٠٧ ـــــ العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، دار الفكر، ط٢، ١٩٧٣م.

١٠٨ ــــ العصبية بنية المجتمع العربي، عبد العزيز قباني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـــ.

١٠٩ ــــ العصبية عند العرب، علي مظهر، مطبعة مصر، ١٢٤٢هـــ.

١١٠ ــــ العصبية في ضوء الإسلام، هاشم محمد المشهداني، دار الثقافة، قطر، ط١، ١٤٣٣هـــ.

١١١ ــــ العصبية، عبدالملك الشيباني، دار الكتب اليمنية، صنعاء، ط٥، ١٤٣٤هـــ، ص ٢٦.

١١٢ ــــ العصر الأموي، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت.

١١٣ ــــ عصر الخلافة الراشدة، أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض ط١ ١٤٣٠.

١١٤ ــــ العقد الفريد، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـــ.

١١٥ ــــ العنصرية اليهودية وأثرها على المجتمع، أحمد عبد الله الزغيبي، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٧ هـــ.

١١٦ ــــ العنصرية والفصل العنصري في جنوب إفريقيا واسرائيل، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٧م.

١١٧ ــــ عون المعبود شرح سنن أبي داوود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق : عبد الرَّحمن عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط٢، ١٣٨٨ه.

١١٨ ــــ غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، محمد أحمد سالم السفاريني، تحقيق : محمد الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣ه .

١١٩ ــــ غريب الحديث، أبو سليمان أحمد محمد إبراهيم الخطابي، تحقيق : عبدالكريم العزباوي، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـــ.

١٢٠ ــــ غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق :عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٧هـــ.

١٢١ ــــ غريب الحديث، الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق : محمد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٣٩٦هـــ .

١٢٢ ــــ الفتاوى، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـــ.

١٢٣ ــــ الفتاوى، محمد بن عبد الوهاب، تحقيق صالح الأطرم ومحمد الدويش . طبعة جامعة الإمام.

١٢٤ ــــ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد علي بن حجر، دار الريان للتراث، القاهرة ط٢، ١٤٠٧هـــ.

١٢٥ ــــ فتح القدير، محمد علي الشوكاني، داربن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٤هـــ.

١٢٦ ــــ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرَّحمن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق : محمد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط٧، ١٣٧٧ه .

١٢٧ ــــ فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات والأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر، بكر عبد الله أبو زيد، الرسالة بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

١٢٨ ــــ فجر الإسلام، أحمد أمين، دار الكاتب العربي، بيروت، ١٩٦٩م.

١٢٩ ــــ الفرق بين النصيحة والتعيير، زين الدين عبد الرَّحمن بن أحمد ابن رجب، خرجه وعلق عليه : علي عبدالحميد، دار عمان، عمان، ط٢، ١٤٠٩هـ.

١٣٠ ــــ فصل الخصومات عند القبائل، علي سعد العصيمي، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القرى كلية الشريعة قسم الفقه، ١٤٢٢هـ.

١٣١ ــــ الفقه الإسلامي وأدلته، وهبه الزحيلي، دار الفكر بدمشق، ط٤.

١٣٢ ــــ الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرَّحمن الجزيري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ.

١٣٣ ــــ الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد علي ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق : عادل الغرازي، دار ابن الجوزي السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ ..

١٣٤ ــــ فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، محمد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٥، ١٩٩٢م.

١٣٥ ــــ الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ .

١٣٦ ــــ في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط١٧، ١٤١٢هـ.

١٣٧ ــــ فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف الحدادي المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ .

١٣٨ ــــ القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٨هـ .

١٣٩ ــــ القاموس المحيط، محمد يعقوب الفيروز آبادي، إشراف محمد العرقسوسي، الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ .

١٤٠ ــــ القبائل العربية في بلاد الشام، د محمد عزب دسوقي، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٨م.

١٤١ ــــ قبيلة آدم، علي محمد العيسى، مكتبة الحرمين، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٤٢ ــــ القبيلة بين الشريعة والقانون، سيف محمد الجوفي، الناشر هيئة الكتاب اليمنية، ط١، ١٤٣٤هـ.

١٤٣ ــــ القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، عبد الله محمد الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٢٠٠٩، ٢ م.

١٤٤ ــــ القنوات الفضائية وتغير القيم الاجتماعية وأنماط السلوك، عبد الله محمد شلبي، دراسة في الاتصال، مجلة كلية التربية القسم الأدبي، مجلد، ٥ .

١٤٥ ــــ القول المبين في سيرة سيد المرسلين، محمد الطيب النجار، دار الندوة الجديدة، بيروت.

١٤٦ ـــــ الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن الأثير، تحقيق : عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـــ .

١٤٧ ـــــ كتاب الردة، محمد عمر الواقدي، تحقيق د يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٠م.

١٤٨ ـــــ كتاب شريعة العشائر في الوطن العربي لفاروق كيلاني ط١، بيروت، ١٩٧٣م.

١٤٩ ـــــ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبي البقاء ايوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـــ.

١٥٠ ـــــ لسان العرب، محمد مكرم علي ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـــ.

١٥١ ـــــ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوي، مكتبة المنصورة، مصر طبعة جديدة شرعية.

١٥٢ ـــــ مجمع الأمثال، أبي الفضل أحمد محمد النيسابوري الميداني، مطبعة السـنة المحمديـة، تحقيـق : محمـد عبدالحميد.

١٥٣ ـــــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـــ .

١٥٤ ـــــ مجموع فتاوى الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع وطبع : محمد سعد الشويعر .

١٥٥ ـــــ محاسن التأويل، محمد جمال الدين محمد سعيد قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق : محمد السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـــ.

١٥٦ ـــــ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم محمد المعروف بالراغب الأصفهاني دار الارقم بن أبي الارقم، بيروت، ط١، ١٤١٠هـــ .

١٥٧ ـــــ المخالفات الشعرية في قصائد مسابقة شاعر المليون، فهد عبد العزيز السنيدي، مدار الـوطن للنشـر، الرياض، ط١، ١٣٤٥هـــ.

١٥٨ ـــــ مختصر منهاج القاصدين، نجم الدين أبو العباس أحمد عبد الرَّحمن ابن قدامه المقدسي، مكتبة دار البيان دمشق، ١٣٩٨هـــ.

١٥٩ ـــــ مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، تحقيق محمد البغـدادي، دار الكتاب العربي بيروت، ط٣، ١٤١٦.

١٦٠ ـــــ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، نور الدين على محمد الهروي القاري، تحقيق : صدقي العطار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـــ .

١٦١ ـــــ مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر، ط٥، ١٣٩٣هـــ .

١٦٢ ـــــ المزهر في علوم اللغة، عبد الرَّحمن جلال السيوطي، شرح محمد أبو الفضل، دار الفكر، بي روت.

١٦٣ ـــــ المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الدين محمد الأبشـيهي، عـالم الكتـب، بـيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

١٦٤ ـــــ مصادر الشعر الجاهلي وقيمته التاريخية، د ناصر الدين الأسد، مصر، ١٩٥٦م.

١٦٥ ـــــ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد محمد الفيومي الحموي، المكتبة العلمية، بيروت.

١٦٦ ـــــ المصنف، ابن أبي شيبه أبو بكر عبد الرحمن حمد إبراهيم، تحقيق : حمد الجمعه و محمد اللحيدان، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٦٧ ـــــ معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين البغوي، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التـراث العربي بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٦٨ ـــــ معالم السنن شرح سنن أبي داوود، أبو سليمان حمد الخطابي، المطبعة العلمية حلب، ط١، ١٣٥١هـ.

١٦٩ ـــــ معالم حول كتابة التاريخ الإسلامي، محمد العبده، مجلة البيان ص ٧٥ عدد.

١٧٠ ـــــ معجم العلوم الاجتماعية، إبراهيم مدكور و نخبة من الأساتذة المختصين، الهيئـة المصـرية للكتـاب، ١٩٧٥م.

١٧١ ـــــ معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط١٤٢٩١هـ.

١٧٢ ـــــ معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي و حامد صادق قنيبي، دار النفائس، ط٢، ١٤٠٨هـ.

١٧٣ ـــــ معجم ما استعجم، عبد الله عبد العزيز محمد البكري الأندلسـي، عـالم الكتـب، بـيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

١٧٤ ـــــ معجم مصطلحات عصر العولمة إسماعيل عبدالفتاح عبد الكافي الدار الثقافية للنشر بيروت ١٤٢٥.

١٧٥ ـــــ معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد ابن فارس، تحقيق : عبدالسلام هارون، دار الفكـر، بـيروت، ١٣٩٩هـ .

١٧٦ ـــــ المغني، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي الحنبلي، مكتبة القاهرة، بدون طبعة، ١٣٨٨هـ.

١٧٧ ـــــ مفاتيح الغيب، محمد عمر الحسن التيمي الرازي، دار الكتب العلمية بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

١٧٨ ـــــ مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم، د سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ، دار عـالم الكتـب، الريـاض، ١٩٨٦.

١٧٩ ـــــ المفردات، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق : صـفوان الـداودي، دار القلـم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.

١٨٠ ـــــ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د . جواد علي، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ.

١٨١ ـــــ المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ط٦ بيروت.

١٨٢ ـــــ مقاييس اللغة، أحمد فارس زكريا القزويني الرازي، تحقيق : عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـــ.

١٨٣ ـــــ مقدمة في التربية الإسلامية، صالح أبو عراد، دار الصولتية للتربية، الرياض، ١٤٢٤هـــ.

١٨٤ ـــــ مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، د عبد العزيز الدوري، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط٢، ١٩٦٨م.

١٨٥ ـــــ المقدمة، ابن خلدون، تحقيق : أحمد جاد، دار الغد الجديد، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـــ .

١٨٦ ـــــ مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي.

١٨٧ ـــــ من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، دار السلام للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـــ .

١٨٨ ـــــ من مخازي الرافضة عبر التاريخ، علي نايف الشحوذ . الطبعة الثانية ١٤٣٢هـــ.

١٨٩ ـــــ المنتقى في منهاج الاعتدال، تقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية بالقاهرة، ١٣٧٤هـــ.

١٩٠ ـــــ المنح الوهبية في ذم القبلية والعصبية، عثمان شيخ عمر الصومالي، راجعه وصححه : عبدالناصر حسين، ط٢، ١٤٢٨هـــ.

١٩١ ـــــ منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق : محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـــ.

١٩٢ ـــــ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحي شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـــ.

١٩٣ ـــــ منهج التربية الإسلامية، محمد بن قطب بن إبراهيم، دار الشروق، ط١٦ .

١٩٤ ـــــ موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، عبد العزيز السلمان، ط٣٠، ١٤٢٤هـــ، طبعة خيرية موكل بها إبراهيم العودة.

١٩٥ ـــــ الموسوعة الفقهية الكويتية، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ط١، ١٤١٥هـــ .

١٩٦ ـــــ الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة، حسين عوده العوايشة، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، و، دار بن حزم، بيروت، ط١، من ١٤٢٣ه إلى ١٤٢٩هـــ .

١٩٧ ـــــ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، مانع حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ط٤، ١٤٢٠هـــ.

١٩٨ ـــــ موسوعة فقه القلوب، محمد إبراهيم عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، تنسيق وفهرسة علي نايف الشحود.

١٩٩ ـــــ نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، مصطفى الخن ومصطفى البغا، الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٧٧م.

٢٠٠ ـــــ نصيحة ذهبية إلي الجماعات الإسلامية من درر ابن تيمية جمع وتعليق مشهور حسن سلمان دار الراية ط ١- ١٤١٠هـــ.

٢٠١ ــــ نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول، مجموعة مؤلفين، إشراف : صالح بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جده، ط٤ .

٢٠٢ ــــ نظام الرق في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، دار السلام للنشر، ط ٥، ٢٠٠٤.

٢٠٣ ــــ النظام القبلي في ظفار منذ ٣٥٠ سنة إلى مرحلة تطبيق قوانين الدولة الحديثة، أحمد سعيد المعشني.

٢٠٤ ــــ نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري، عمر عوده الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٣٩٥هـ.

٢٠٥ ــــ نظرات في كتاب الله، حسن البنا، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، ١٤٢٣هـ.

٢٠٦ ــــ نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، أحمد بن عبد الله القلقشندي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط٢ ١٤٠٠هـ.

٢٠٧ ــــ النهاية في غريب الحديث والاثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الاثير، تحقيق : محمود الطناحي و طاهر الزاوي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٢٠٨ ــــ نيل الأوطار، الشوكاني، دار الخير، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٢٠٩ ــــ الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي، د محمد ياسين مظهر صديقي (اردو)، ترجمة د سمير إبراهيم، دار الصحوة ط١، ١٤٠٨هـ.

٢١٠ ــــ هذا الدين، سيد قطب، دار الشروق، ط٩، ١٤٠٧هـ.

٢١١ ــــ هكذا علمتني الحياة، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي الرابعة ١٤١٨هـ.

٢١٢ ــــ الوحدة الإسلامية، محمد أبو زهره، دار الفكر العربي، القاهرة .

الدوريات والمجلاّت والأبحاث والمواقع الإلكترونيّة :

١ ــــ الأحاديث النبوية في ذم العنصرية الجاهلية، عبدالسلام برجس العبدالكريم، تقديم الشيخ : صالح الفوزان، إعداد موقع روح الإسلام(www.islamspirit.com).

٢ ــــ الاخوة الإسلامية هي الرابطة العالمية، د عبد العزيز عبد الله الحميدي. مكتبة صيد الفوائد، /http://www.saaid.net/Doat/alhmeedy

٣ ــــ الاخوة في الله حقوق و واجبات، أبو سعد الأثري، مكتبة المشكاة./www.**almeshkat**.net/books

٤ ــــ الأدلة الشرعية في الزجر عن العصبية القبلية، جمع وترتيب وتعليق، أحمد عبد الرَّحمن حيفو، موقع جماعة الاعتصام بالكتاب والسنة، http://ictisaam.net/.

٥ ـــــ تفسير سورة الحجرات، عطيه محمد سالم، دروس صوتية مفرغة من موقع الشبكة الإسلامية درس رقم ١٢ http://www.islamweb.net.

٦ ـــــ جريدة الرياض السعودية، تقرير عن شاعر المليون، الأحد رمضان ١٤٢٨هـ العدد١٤٣٤٢.

٧ ـــــ جريدة الرياض السعودية، تقرير عن مزاين الإبل، الأحد رمضان ١٤٢٨هـ العدد١٤٣٤٢.

٨ ـــــ خطبة جمعة من الحرم المكي، الشيخ عبد الرَّحمن السديس، موقع مركز دراسات العصبية القبلية، رابط :http://www.asabia.com/Articles/ArticleDetails.aspx?ArticleID=61.

٩ ـــــ دراسة علمية بعنوان " التربية الأخلاقيَّة في ضوء سورة الحجرات " د . عبدالسلام حمدان اللوح، مقدم للمؤتمر التربوي الاول بالجامعة الإسلامية بغزه، ٢٣-٢٤/١١/٢٠٠٤م.

١٠ ـــــ دور التربية الإسلامية في مواجهة العصبية في زمن العولمة الاجتماعية، عايض محمد عايض حجراف، بحث منشور، كلية التربية، جامعة أم القرى ١٤٣٣هـ.

١١ ـــــ سقوط الأندلس دروس وعبر، ناصر سليمان العمر، موقع صيد الفوائد، الرابط http://saaid.net/book/open.php?cat=84&book=1021

١٢ ـــــ شرح رياض الصالحين، أحمد حطيبه، http://www.islamweb.net.

١٣ ـــــ الشعر في القنوات الشعبية ما له وما عليه، سعد ضيدان السبيعي، كتاب مصور، http://elibrary.mediu.edu.my/books/SDL1216.pdf

١٤ ـــــ الشعر في ضوء الشريعة الإسلامية، محمد عبد الرَّحمن شميلة الأهدل، طبعة الجامعة الإسلامية المدينة ١٣٩٧هـ العدد الاول جمادى الاخرة.

١٥ ـــــ صحيفة الوطن السعودية، العدد ٣٨٣٣، في ٢٤/٤/١٤٣٢هـ.

١٦ ـــــ صحيفة سبق الإلكترونية، ٢٢ صفر ١٤٣٤هـ http://sabq.org/KQtfde.

١٧ ـــــ صحيفة سبق الإلكترونية، عدد ١٤/٧/١٤٣٢هـ، http://sabq.org/1pYede.

١٨ ـــــ صحيفة عكاظ الجمعة ٢١/١/١٤٣٣هـ العدد 16٣٨٣٤.

١٩ ـــــ صحيفة عكاظ العدد ٤٦٥٠ في ١٠/٥/١٤٣٥هـ.

٢٠ ـــــ صندوق القبيلة أحكامه وضوابطه وعلاقته بالعاقلة، د صالح علي الشمراني، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، عدد ٥٠، رجب ١٤٣١هـ.

٢١ ـــــ صور الاعلام الإسلامي، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، جامعة المدينة العالمية الإسلامية بماليزيا ط ١٤٣٢هـ.

٢٢ ــــ العادات والأفكار الحديثة، مقال لــ : فــواز بــن ناصــر حضــرم المحمــدي، موقــع الألوكــة، ٢٦/١٠/١٤٣٣هـــ

ـ١http://www.alukah.net/Spotlight/10919/44203/#ixzz2NVsppU5R.

٢٣ ــــ العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، خالد عبد الرَّحمن الجريسي، توزيع مؤسسة الجريســي للطباعــة والنشر، توزيع خيري من شبكة الألوكة .

٢٤ ــــ العصبية القبلية وانعكاساتها على المجتمعات العربية، أحمد إبراهيم عبد الله الحاج، موقع الركن الأخضر، http://www.grenc.com/show_article_main.cfm?id=28626.

٢٥ ــــ العنصرية عند الأمم وموقف الإسلام منها، عابد سليمان المشوخي، بحث غير منشور، ماجستير مــن قسم الثقافة بكلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، " النتــائج والخاتمــة "، ١٤٠٥ – ١٤٠٦ه.

٢٦ ــــ القبلية في ميزان الشرع وحقيقة تكافؤ النســب، البــدراني، كتــاب مصــور، مكتبــة المشــكاة، http://www.almeshkat.net/books/open.php?cat=63&book=7380

٢٧ ــــ لا للتعصب العرقي، عيــد الــدويهيس، مكتبــة صــيد الفوائــد، الطبعــة الأولى ١٤١٩هـــ، http://www.saaid.net/.

٢٨ ــــ مجلة البحوث الإسلامية، تصدر عن الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية.

٢٩ ــــ محمد إسماعيل المقدم، درس صوتي رقم ١٠٦، http://www.islamweb.net.

٣٠ ــــ محمد إسماعيل المقدم، دروس صوتية مفرغة، http://www.islamweb.net.

٣١ ــــ مقال " النظام القبلي عند العرب " د محمد الخطيب، د أحمد موسى بدوي، منتدى الكتب الإلكترونية، الرابط : http://www.ejtemay.com/archive/index.php/t-١٦٥٥٠html.

٣٢ ــــ مقــــال "الطعــــن في الأنســــاب " القاســـم موســـى، ملتقــــى أهــــل الحديثhttp://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=179900.

٣٣ ــــ مقال : أكرم ضياء العمري، بعنوان : الفخر والتفاخر، موقع الألوكة نت، alukakh.net.

٣٤ ــــ مقــــال : عبــــدالقادر طــــاش، موقــــع الإســــلام اليــــوم http://islamtoday.net/bohooth/services/saveart-43-3559.htm.

٣٥ ــــ مقال : مفهوم الجاهلية في الشعر الجاهلي، محمد الناصر، مجلة البيان.

٣٦ ــــ مقــال : نقــد فهــم المســاواة، فــؤاد العبــدالكريم، موقــع المســلم، ٥/٤/١٤٢٨هـــ، http://www.almoslim.net/node/82345.

٣٧ ــــ مقال بعنوان "الأمراض الستة في سورة الحجرات " أحمد بازز، مجلة البيان عدد١٣٥ ص ٢٢.

٣٨ ـــــ مقال بعنوان : الأشهر الحرم، محمد خيري مجلة هدي الإسلام مجلد ٥٥ العدد العاشر ١٤٣٢هـــ.

٣٩ ـــــ مقال بعنوان : الأمن والحرب والاشهر الحرم، أحمد طه نصر، مجلة التوحيد، ٣٠ العدد الاول.

٤٠ ـــــ مقال بعنوان : الباب المفتوح ضوء على التعصب القبلي وضرورة التصدي له، سعد محمد الكثيري، مجلة البيان، ١٣٩-١٤٣.

٤١ ـــــ مقال بعنوان : علاج العصبية القبلية، محمد ولي الصومالي، موقع جماعة الاعتصام بالكتاب والسنة، ١٨/يوليو/٢٠١٣م.

٤٢ ـــــ مقال بعنوان : كيف نعالج سرطان العصبية والقبلية، حسن البصري، http://arabic.alshahid.net/columnists/43569.

٤٣ ـــــ مقال بعنوان : كيف نعالج سرطان القبليّة والعصبية في الصومال، حسن البصري، شبكة الشاهد، ٧/١/٢٠١١م http://arabic.alshahid.net/columnists/43569.

٤٤ ـــــ مقال بعنوان عالمية الإسلام، د بدر عبدالحميد هميسه، موقع صيد الفوائد http://www.saaid.net/Doat/hamesabadr/174.htm.

٤٥ ـــــ مقال للشيخ : علوي عبدالقادر السقاف موقع الدرر السنية http://www.dorar.net/enc/firq/37.

٤٦ ـــــ مقال، كيف عالج الإسلام القبلية، محمد الناصر، العدد السابع، ذو الحجة، ١٤٠٧هـــ، ص٥٣.

٤٧ ـــــ موسوعة الأخلاق الإسلامية الدرر السنية، مجموعة مؤلفين، dorar.net.

٤٨ ـــــ موسوعة الدين النصيحة، علي نايف الشحود، http://www.islamadvice.com.

٤٩ ـــــ الموسوعة الشاملة للحكم والأمثال، وهذه الابيات : لـــ : أحمد محمد الواسطي الرابط : http://www.islamport.com/.

٥٠ ـــــ موقع الجزيرة نت الأربعاء ٢٩/١٠/١٤٣٢ه ــhttp://www.aljazeera.net.

٥١ ـــــ موقع المسلم، للشيخ ناصر العمر.

٥٢ ـــــ موقع شبكة الشعر الفصيح، alfaseeh.com.

٥٣ ـــــ موقع شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية، رابط المقال http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=13041.

٥٤ ـــــ موقع مشكاة الإسلاميhttp://www.almeshkat.net/vb/showthread.php?t=62124.

٥٥ ـــــ النعرات القبليَّة ومزاين الخيلاء، ماجد محمد الجهني، مقال في موقع صيد الفوائد ، الرابط : www.saaid.net/arabic/majed/91.htm

٥٦ ـــــ وقفة شرعية مع مزاين الإبـــل، أبـــو ســـليمان المختـــار بـــن العـــربي مـــؤمن، موقـــع الألوكـــة http://www.alukah.net/sharia/0/39334/.

٥٧ ـــــ الولاء القبلي في الخليج العربي، د علي عبدالهادي الشاوي، دراسة علمية بقسم العلوم الاجتماعية كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، بحوث ودراسات، شؤون اجتماعية، العدد ١٢١ ربيع ٢٠١٤م السنة ٣١ .

٥٨ ـــــ يوسف أحمد العثيمين، مقال بعنوان مزايين الإبل، جريدة الرياض الســـعودية، الاثـــنين ١٠، شـــوال ١٤٢٨هـــ.

فهرس الموضوعات